



سِرِّ الْمَحْبَبِينَ

فِي رَمَضَانَ

جَمَعَ وَتَرْتِيبَ

مَجْلِسِ حَسْبَاءِ رِجَالِ

مَكْتَبَةِ سِرِّ الْقُلُوبِ

مَكْتَبَةِ الْقُلُوبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَ مِنْ نَفْسٍ وَجَسَدٍ مِمَّا تَرَوْنَ وَبَيْنَ ذَٰلِكُمْ أَنْفُسٌ بَشَرٌ لَّكُم مِّنْهُ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا اللَّهَ الْقَبُولَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد :

فإخوتي في الله ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ؛ إني أحبكم في الله ، وأسأل الله جل جلاله أن يجمعنا بهذا الحب في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، اللهم اجعل عملنا كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد غيرك شيئاً .

أحبني في الله . .

أجل شيء في هذه الدنيا أن يستعملك الله عز وجل في الطاعة ، الشعور أن الله عز وجل يستعملك في طاعته إحساس رائع يتملكك ، حتى إنك لتكاد تشعر أن يدا حانية تلمس خدك لتدير وجهك وتلفت نظرك إلى ما يرضي ربك ، وتشعر بهذه اليد تمسك بيدك بحنو بالغ فيه قوة ؛ لتقوذك وترفعك إلى عبادات وطاعات وقربات لم تكن لك على بال ، وتشعر هذه اليد حانية قوية دافئة في ظهرك تمنعك من التراجع ، وتدفعك إلى التقدم ، تمنعك من السقوط وتشعرك أنك مسنود .

سبحان الملك ١١ ، والله إنه لشعور رائع حقاً ، إحساس الإنسان أنه مدفوع لفعل الخير مشغول به ، تفتح أمامه أبواب الطاعات ويُسِرُّ له ويُعَانُ عليها . ولك أن تقارن بين هذا الإنسان وبين آخر كلما اتجه إلى طاعة تعسرت عليه وضُرب عنها ، وأينما التفت أخذت قلبه وعينه ويده ورجله معصية من المعاصي .

قال ابن القيم عليه رحمة الله : « إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده ، تحمّل الله سبحانه حوائجه كلها ، وحمل عنه كل ما أهمله ، وفرغ قلبه لمحبه ، ولسانه لذكره ، وجوارحه لطاعته ، وإن أصبح وأمسى والدنيا همه ؛ حمّله الله همومها وغمومها وأنكأها ! ، ووَكَّلَهُ إلى نفسه .

فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ، ولسانه عن ذكره بذكرهم ، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم ، فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره ، كالكبير يتفخ بطنه ويمصر أضلاعه في نفع غيره ، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبه بُلِي بعبودية المخلوق ومحبه وخدمته ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَمُشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف : ٣٦] اهـ^(١) .

(١) الفوائد (١٥٩) ط مكتبة المريد ، تحقيقه : بشير محمد عيون .

ظهر لك الآن أيها الحبيب جملة الأسباب المطلوبة :

(١) جمع الهم ، فلا يكون همك إلا رضا الله وحده .

(٢) همّة عالية ونية صحيحة .

(٣) هجر العوائد ، وقطع العلائق ، وتخطي العوائق .

ثم إنك - أيها الحبيب المحب - إن كنت تشعر ثقلاً ، وصعوبة في الأخذ بالأسباب التي ذكرتها لك ؛ فلان من رحمة الله بعباده وإكرامه لهم سبحانه أن هيا لهم فرصاً ومناسبات في أيام زمانهم يكون الوصول فيها أسهل وتصبح الإعانات مجانية للجميع ، قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ كَلِمَةً وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَنۢكَرَ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٢] ، فهناك مواسم ومناسبات يكون الوصول والدخول على الله سبحانه وتعالى في هذه المواسم بمواهب وهدايا ولطائف في يوم أو ليلة بلمحة خاطفة من خفايا لطفه سبحانه ، قال رسول الله ﷺ : « إن لله في أيام الدهر نفحات فتمرضوا لها فلمل أحدكم تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبداً »^(١) .

من هذه المواسم شهر رمضان المعظم ، أنعم وأكرم ، بيوم واحد منه .

في أول ليلة من رمضان تُصَفَّد الشياطين ، وتغلق أبواب النيران ، وتفتح أبواب الجنان ، ويأتي المدد من الله الرحمن ، بأن يأمر منادياً ينادي : يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ، فإذا بك ترى الاستجابة السريعة في كل مكان ، المساجد امتلأت بالمصلين ، وسمعت من النوافذ والأبواب صوت الأذان والقرآن ، كثرت الصدقات ، وتوقلت المصاحف ، وتنافس الأئمة في ختام القرآن ، يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر .

(١) أخرجه الطبراني (٢٣٣/١٩) ، وحسنه الألباني (١٨٩٠) في «السلسلة الصحيحة» .

فإذا بك في ساعة واحدة بمجرد رؤية الهلال ترى ثورة شاملة في حياة المجتمع كله ، وتغييراً عميقاً على كل صعيد .

• يا باغي الخير أقبل •

فرصة ثمينة نادرة فيها الرحمة والمغفرة ودراعيهما متيسرة ، والأعداء عليها كثيرون ، وعوامل الفساد محدودة ومردة الشياطين مصفدون ، والله عتقاء في كل ليلة ، وأبواب الجنة مفتحة ، وأبواب النيران مغلقة ، فمن لم تنله الرحمة مع كل ذلك فمتى تناله إذن ؟ ، ولا يهلك على الله إلا هالك ، ومن لم يكن أهلاً للمغفرة في هذا الموسم ففي أي وقت يتأهل لها ، ومن خاض البحر اللجاج ولم يظهر فماذا يظهره ؟ !

إذا الروض أسمى مُجيباً في ربيعہ ففي أي حين يستبرئ ويخصب

وقد وضعت هذا الكتاب بين يديك إعانة على الطاعة ، وتحذيراً من الغفلة ، فاغتنم ما فيه واستعن بالله وأعن غيرك ، ولن أهدم منك دعوة صالحة يظهر الغيب كل ليلة من رمضان ، أستودعكم الله ، وأنا أحبكم في الله .

وكتب

أبو الملا

محمد بن حسين آل يعقوب

عفا الله عنه وغفر له ولوالديه وزوجاته وأولاده

والمسلمين والمسلمات

القاهرة : ليلة الجمعة ، السابع والعشرون من رجب ١٤٢٦ هـ

١/٩/٢٠٠٥ م

فَضَائِلُ الْمَضَائِكِ

الْغَنِيْمَةُ الْبَارِدَةُ
وَفُرْصٌ لَا تَعُوضُ

فضائل رمضان .. وفرص لا تعوض

الحمد لله اللطيف الرؤوف العظيم المنان ، الكبير القدير الملك الديان ،
الغني العلي القوي السلطان ، الحليم الكريم الرحيم الرحمن ، الأول فالسبق
لبقه ، المنعم فما قام مخلوق بحقه ، الموالي بفضله على جميع خلقه بسرائف
المنائح على نوالي الزمان ، ﴿قِيَّامِي مَا لَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ .

جلُّ عن شريك وولد ، وعزُّ عن الاحتياج إلى أحد ، وتقدس عن نظير
وانفرد ، وعلم ما يكون وأوجد ما كان ، ﴿قِيَّامِي مَا لَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ .

أنشأ المخلوقات بحكمته وصنعها ، وفرق الأشياء بقدرته وجمعها ، وذخا
الأرض على الماء وأوسعها ، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ .

سالت الجوامد لهيبته ولانت ، وذلت الصعاب لسطوته وهانت ، وإذا بطش
﴿انْتَفَتَبَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ .

• السبحانه •

يُعز ويذل ، ويُفقر يُغني ، ويُسعد ويُشقي ، ويُقي ويُفني ، ويُشِين ويُزِين ،
وَيَنْقُض وَيَبْنِي ، ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ لِي شَأْنٌ﴾ .

قدر التقدير فلا راد لحكمه ، وعليم ميز العبد وباطن عزيمه ، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ
أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِي﴾ ، ولا يستقل قدم من مكان ، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ①
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ .

مدُّ الأرض فأوسعها بقدرته ، وأجرني فيها أنهارها بصنعه ، وصبغ ألوان
نباته بحكمته ، فمن يقدر على صبغ تلك الألوان ، ﴿وَلَلْخَبْرُ ذُو الْقُرْآنِ

وَالرَّيْحَانُ ، ثبَتَهَا بِالْجِبَالِ الرُّوَاسِي فِي نَوَاحِيهَا ، وَأَرْسَلَ السَّحَابَ بِمِيَاهِ
تُحْيِيهَا ، وَقَضَى بِالْفَنَاءِ عَلَى جَمِيعِ سَاكِنِيهَا ، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ .

من خدعه طامعًا في فضله نال ، ومن لجأ إليه في رفع كربه زال ، ومن
عامله أريحه وقد قال : ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ .

• السبحانه •

إله يثيب عباده ويعاقب ، ويهب الفضائل ويمنح المناقب ، فالفور للمنتهي
والعز للمراقب ، ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ .

أنعم على الأمة بتمام إحسانه ، وعاد عليها بفضله وامتنانه ، وجعل شهرها
هذا مخصوصًا بعميم غفرانه ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

أحمد على ما خصنا فيه من الصيام والقيام ، وأشكره على بلوغ الآمال
وسبوغ الإنعام ، وأشهد أنه الذي لا تحيط به العقول والأفهام ﴿يَسْتَلِمُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ .

وأن محمدًا ﷺ أفضل خلقه وبريته ، المقدم على الأنبياء بقاء معجزته ،
الذي انشق ليلة ولادته الإيوان ، ﴿فَيَأْتِي مَالًا وَرَيْحًا شَكَّابًا﴾ .

وعلى أبي بكرٍ رفيقه في الغار ، وعلى عمرٍ فاتح الأمصار ، وعلى شهيد
الدار عثمان ، وعلى عليٍّ كاشف غمِّ سيد الشجعان ، ﴿بِئْرَكَ أَنْتُمْ رَبُّكَ ذِي الْقُلُوبِ
وَالْأَلْوَاحِ﴾ .

إخواناه . .

جاء شهر الصيام بالبركات ، فأكرم به من زائرٍ هو آت ، كان النبي ﷺ يبشر
أصحابه بقدرم رمضان ، فمن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يبشر
أصحابه يقول : «قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك كتب الله عليكم

صيامه ، فيه تُفْتَحُ أبوابُ الجنان ، وتُغْلَقُ فيه أبوابُ الجحيم ، وتُثَقَّلُ فيه الشياطين ، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر ، من حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ^(١).

قال بعض العلماء : هذا الحديث أصلٌ في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان ، وكيف لا يبشِّرُ المؤمن بفتح أبواب الجنان ؟! ، كيف لا يبشِّرُ المذنب بخلق أبواب النيران ؟! ، كيف لا يبشِّرُ العاقل بوقت تغل فيه الشياطين ؟! ، فمن أين يشبه هذا الزمان زماناً؟! ، وكان بعض السلف يدعو ببلوغ رمضان ، فكان إذا دخل رجب يقول : «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان».

إخوتاه ..

جاء رمضان بما فيه من خير وبركة .. جاء رمضان يحمل البشريات للعاملين .. ويهيج بطيب أيامه قلوب المتقين .. جاء رمضان فرصة للعابدين .. جاء رمضان ليغسل ذنوب التائبين النادمين .. جاء ليرفع في الجنة درجات المحبين الصادقين .. جاء رمضان إخوتاه فهل من مشر ؟! .. جاء رمضان فإليكم بعض مناقبه ؛ لعلكم تُقَدِّرُون الضيف قَدْرَهُ ، لعلكم تعرفون مكانته وفضله :

أولاً : رمضان هو الشهر الذي اختاره الله واصطفاه ليكون ميقاناً لنزول كتبه ورسالاته ، فهو شهر الصلة بين الأرض والسماء ، يُنَزَّلُ الله فيه كلامه ، ويخاطب فيه خلقه ، ويث فيه نوره ، ويوحى فيه إلى صفوة عباده ، فأعظم به من شهر ، سببُ الخير ، ومنبعُ النور ، ومنطلقُ الرحمة ، ومهبطُ البركة من السماء إلى الأرض ، فمن وائلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ أنه قال : «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان ،

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٣٠) ، وصححه شعيب الأرناؤوط (٧١٤٨).

وانزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان ، وانزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان ، وانزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان^(١).

واختصه الله بصفة أخص بنزول أعظم كتاب لأعظم أمة ، اختصه من بين الشهور بذلك فقال جل جلاله : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، فالقرآن العظيم الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور نزل في هذا الشهر العظيم الفضيل ، فهل بعد هذه منقبة ؟!

ثانياً : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به »^(٢) ، استأثر الله سبحانه وتعالى بالصيام لنفسه سبحانه من بين سائر الأعمال ، ولهذا قال بعد ذلك : « إنه إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ».

قال ابن عبد البر : كفى بقوله : « الصوم لي » فضلاً للصيام على سائر العبادات ، وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى : « الصوم لي وأنا أجزي به » ، مع أن الأعمال كلها له ، وهو الذي يجزي بها ، على أقوال : أحدها : أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره ، **قال القرطبي :** لما كانت الأعمال يدخلها الرياء ، والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله ، فأضافه إلى نفسه . وقال أبو عبيد في غريبه : قد علمنا أن أعمال البر كلها لله وهو الذي يجزي بها ، فنرى والله أعلم أنه إنما خص الصيام ؛ لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب ، وذلك لأن الأعمال لا تكون إلا بالحركات ، إلا الصوم فإنما هو بالنية التي تخفى على الناس .

(١) أخرجه أحمد (١٠٧/٤) ، وحسنه الألباني (١٥٠٩) في « صحيح الجامع » .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري (١٨٥٠) ، مسلم (١١٥١) .

وكما هو معلوم أن كل ما تُنسب إلى الله عز وجل نال شرفاً بذلك فهو أشرف الأمور ، فنسب الله تعالى الكعبة إلى نفسه وهي أشرف الأماكن على الإطلاق ، ونسب لفسه شهر المحرم ؛ فقال رسول الله ﷺ : «الفضل الصيام بعد رمضان صوم شهر الله المحرم»^(١) ، ونسب لفسه الصوم فدل ذلك على أنه من أفضل الأعمال .

قال الحافظ ابن رجب - عليه رحمة الله تعالى : وقد كثر القول في معنى «الصوم لي» وذكروا فيه وجوهاً كثيرة ، ومن أحسن ما ذكر فيه وجهان :

أحدهما : أن الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها لله عز وجل ، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى غير الصيام ؛ لأن الإحرام إنما يُترك فيه الجماع ودواحيه من الطيب دون سائر الشهوات من الأكل والشرب ، وكذلك الاعتكاف مع أنه تابع للصيام ، وأما الصلاة فإنه وإن ترك المصلي فيها جميع الشهوات إلا أن مدتها لا تطول ، فلا يجد المصلي فقد الطعام والشراب في صلاته ، بل قد نهي أن يُصلي ونفسه تنوق إلى طعام بحضرته حتى يتناول منه ما يُسكن نفسه ؛ ولهذا أمر بتقديم الغشاء على الصلاة .

وهذا بخلاف الصيام ؛ فإنه يستوعب النهار كله ، فيجد الصائم فقد هذه الشهوات ، وتنوق نفسه إليها خصوصاً في نهار الصيف لشدة حره وطوله ؛ ولهذا روي أن من خصال الإيمان الصوم في الصيف ، وقد كان رسول الله ﷺ يصوم رمضان في السفر في شدة الحر دون أصحابه ، **كما قال أبو الدرداء** : كنا مع النبي ﷺ في رمضان في سفر ، وأحدنا يضع يده على رأسه من شدة الحر

(١) أخرجه : مسلم (١١٦٣) .

وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة ، وفي الموطأ أنه ﷺ كان بالفرج يُضَبُّ الماء على رأسه وهو صائم من العطش أو الحر .

فلإذا اشتد تَوَقَّان النفس إلى ما تشتهي مع قدرتها عليه ثم تركته لله عز وجل في موضع لا يَطْلُع عليه إلا الله ، كان ذلك دليلاً على صحة الإيمان ، فإن الصائم يعلم أن له رباً يطلع عليه في خلوته ، وقد حُرِّم عليه أن يتناول شهواته المَجْبُول على الميل إليها في الخلوة ، فأطاع ربه وامتنل أمره واجتنب نهيهِ ، خوفاً من عقابه ورغبة في ثوابه ، فشَكَرَ الله تعالى له ذلك ، واختص نفسه عمله هذا من بين سائر أعماله ؛ ولهذا قال سبحانه بعد ذلك : « إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي » .

قال بعض السلف : طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعِد غيب لم يره .

لما علم المؤمن الصائم أن رضا مولاه في ترك شهواته قَدْ مَرَّ رضا مولاه على هواه ، فصارت لذته في ترك شهوته لله لإيمانه باطلاع الله عليه ، وإيمانه بثوابه وعقابه ، فصار ذلك أعظم من لذته في تناول شهوته في الخلوة إيثاراً لرضا ربه على هوى نفسه ، بل المؤمن يكره ذلك في خلوته أشد من كراهته لأكم الضرب ، ولهذا تجد كثيراً من المؤمنين لو شرب على أن يفطر في شهر رمضان لغير عذر لم يفعل ؛ لحلمه كراهة الله لفطره في هذا الشهر .

وهذا من علامات الإيمان ، أن يكره المؤمن ما يلائمه من شهواته إذا علم أن الله يكرهه ، فتصير لذته فيما يرضي مولاه ، وإن كان مخالفاً لهواه ، ويكون ألمه فيما يكرهه مولاه ، وإن كان موافقاً لهواه ، إذا كان هذا فيما حُرِّم لعارض الصوم من الطعام والشراب ومباشرة النساء ؛ فينبغي أن يتأكد ذلك فيما حرم على الإطلاق ، كالزنا وشرب الخمر وأخذ الأموال أو الأعراض بغير حق ، وصنفك الدماء المحرمة ؛ فإن هذا يُسَخِّطُ الله على كل حال وفي كل زمان ومكان .

فإذا كُملَ إيمان المؤمن كره ذلك كله أعظم من كراهته للقتل والضرب ؛ ولهذا جعل النبي ﷺ من علامات وجود حلاوة الإيمان : « أن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يُلقي في النار »^(١) ، وقال الله سبحانه وتعالى عن يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ انْجِنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف : ٣٣] .

مثل ذر النون المصري : متى أحبُّ ربي ؟ قال : إذا كان ما يكرهه أمرٌ عندك من الصبر ، **وقال غيره :** ليس من أعلام المحبة أن تحب ما يكرهه حييكَ ، وكثيرٌ من الناس يمشي على العوائد دون ما يوجبه الإيمان ويقتضيه ؛ فلهذا كثيرٌ منهم لو ضرب ما أفطر في رمضان لغير عذر ، ومن الجهال من لا يفطر لعذر ولو تضرر بالصوم جرئاً على العادة ، مع أن الله يحب من أن يقبل رخصته ، وقد اعتاد مع ذلك ما حرم الله من الزنا وشرب الخمر وأخذ الأموال والأعراض أو الدعاء بغير حق ، فهذا يجري على عوائده في ذلك كله ، لا على مقتضى الإيمان .

ومن عَمِلَ بمقتضى الإيمان صارت لذته في مصابرة نفسه عملاً تعبيل نفسه إليه إذا كان فيه سخط الله ، وربما يرتقي إلى أن يكره جميع ما يكرهه الله منه ، وينفر منه وإن كان ملائماً للنفس كما قيل :

إِنْ كَانَ رِضَاكُمْ فِي سَهْرِي فسلام الله عليّ وسنبي
وقال آخر :

هَلَابَةُ فَيْكَ هَذَبُ	وُفْدَةُ فَيْكَ قُرْبُ
وَأَنْتَ جِنْدِي كَرُوجِي	بَلْ أَنْتَ مِنْهَا أَحَبُ
خُشِّي مِنْ الْحُبِّ أَنِّي	بِمَا يُحِبُّ أَحَبُ

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٦٩٤) ، ومسلم (٤٣) .

الوجه الثاني : أن الصيام سرٌّ بين العبد وربّه لا يطلع عليه غيره ؛ لأنه مُركَّب من نية باطنة ، لا يطلع عليها إلا الله ، وتَرْكُ لتناول الشهوات التي بُسِّتْخَفِنُ بتناولها في العادة ؛ ولذلك قيل : لا تكتبه الحفظة ، وقيل : إنه ليس فيه رياء ، فإن من ترك ما تدعوه نفسه إليه لله عز وجل حيث لا يطلع عليه غيرٌ من أمره ، أو نهاه ؛ دل ذلك على صحة إيمانه .

والله تعالى يحب من عباده أن يعاملوه سرًّا بينهم وبينه ، وأهل محبته يحبون أن يعاملوه سرًّا بينهم وبينه ، بحيث لا يطلع على معاملتهم إياه سواه ؛ حتى كان بعضهم يود لو تمكن من عبادة لا تشعر بها الملائكة الحفظة . وقال بعضهم لما أُطْلِعَ على بعض سرائره ، إنما كانت تطيب الحياة لما كانت المعاملة بيني وبينه سرًّا ، ثم دعا لنفسه بالموت ، فمات .

المحبون يغارون من اطلاع الأغيار على الأسرار التي بينهم وبين من يحبهم

ويحبونه .

وقوله : « ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي » ، فيه إشارة إلى المعنى الذي ذكرناه ، وأن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام والشراب والنكاح ، وهذه أعظم شهوات النفس ، **وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد منها :**

(أ) كسر النفس ؛ فإن الشَّبع والرَّي ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة .

(ب) تُخَلِّي القلب للفكر والذكر ؛ فإن تناول هذه الشهوات قد تُقَسِّي القلب وتُغَيِّبه ، وتحوِّل بين العبد وبين الذكر والفكر ، وتستدعي الغفلة .

وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب ويوجب رقته ويزيل قسوته ويخليه للذكر والفكر .

(ج) أن الغني يعرف قدر سعة الله عليه ؛ بإقداره له على ما منعه كثيراً من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح ؛ فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص ، وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من مُنِع من ذلك على الإطلاق ؛ فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنن ، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك .

(د) أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم ، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فتسكن بالصيام وساوس الشيطان ، وتنكسر سُوْرَةُ الشهوة والغضب ؛ ولهذا جعل النبي ﷺ الصوم رجاء ؛ لِقْطْعِهِ شهوة النكاح .

إشارة مهمة :

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حُرِّم في كل حال ، من الكذب ، والظلم ، والعدوان على الناس في دعائهم وأموالهم وأعراضهم ؛ ولذلك قال النبي ﷺ : « من لم يدع قول الزور ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »^(١) ، في حديث آخر : « ليس الصيام من الطعام والشراب ؛ إنما الصيام من اللغو والرفث »^(٢) ، وقال بعض السلف : أهون الصيام ترك الشراب والطعام ، وقال جابر : إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقارٌ وسكينةٌ يومَ صومك ، ولا تجعل يومَ صومك ويومَ فطرك سواء ، وقال النبي ﷺ : « رُبُّ صَائِمٍ حَقْلَةٌ من الصيام الجوعُ والمعش ، ورُبُّ قَائِمٍ حَقْلَةٌ من القيام السهر »^(٣) .

(١) أخرجه البخاري (١٨٠٤) .

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٢٤٢/٢) ، وصححه الألباني (٥٣٧٦) في « صحيح الجامع » .

(٣) أحمد (٣٧٣/٢) ، وصححه الألباني (٧٥٩) في « صحيح الجامع » .

وبير هذا: أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات ، فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل ، وإن كان صومه مجزئاً عند الجمهور بحيث لا يؤمر بإعادته ؛ لأن العمل إنما يبطل بارتكاب ما نهى عنه فيه لخصوصه دون ارتكاب ما نهى عنه لغير معنى يختص به . اهـ كلام ابن رجب .

ولهذا المعنى والله أعلم ورد في القرآن بعد ذكر تحريم الطعام والشراب على الصائم بالنهار ، ذكر تحريم أكل أموال الناس بالباطل ، فإن تحريم هذا عام في كل زمان ومكان بخلاف الطعام والشراب ، فكان إشارة إلى أن من امتثل أمر الله تعالى في اجتناب الطعام والشراب في نهار صومه ، فليمتثل أمره في اجتناب أكل أموال الناس بالباطل فإنه محرم على كل حال ، لا يُباح في وقت من الأوقات .

ثالثاً: المنقبة الثالثة من مناقب رمضان : فيه ليلة خير من ألف شهر ، هذه من بركات الله سبحانه ورحمته وإكرامه لهذه الأمة فنحن أمة مرحومة ، لما كانت هذه الأمة تتراوح أعمارها بين الستين والسبعين وقليل منهم من يجاوز ذلك ، أعطاه الله البركة في الأعمال ، فالحسنة بعشر أمثالها ، وقراءة حرف من القرآن بعشر حسنة ، وليلة القدر في رمضان خير من ألف شهر . . هل تأملت هذا المعنى : خير من ألف شهر ١٢ ، فوالله لا يُحرّم خيرها إلا محروم مخدول ، وقيامها فيه غفران ما تقدم من الذنوب ؛ فيالها من نعمة على المؤمنين صابغة .

تأمل معي: أنك لو قمت ثلاثين أو أربعين ليلة قَدِر ، كل ليلة ببضع وثمانين سنة ؛ لصار عمرك أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، سبحانه الملك !! ، اللهم زدنا من بركاتك ، اللهم وفقنا لقيام ليلة القدر ولا نحرمتنا أجزائها .

رابعاً : تُفتح فيه أبواب الجنة وتُغلق فيه أبواب النار .. أخي في الله .. حبيبي في الله .. هل استشعرت هذا المعنى أيضاً : أن أبواب الجنة تكون مفتحة لطلابها وتُغلق فيه أبواب الجحيم ، وليست هذه المَنقبة لشهر آخر من الشهور ، فأعرف شرف الشهر العظيم .. ولست أدري إن لم تدخل الجنة وهي مفتحة الأبواب متى تدخلها؟ ، وإذا كنت لا تنصرف عن النار وهي موصدة الأبواب ، وترجع راغباً عنها فمتى تنصرف؟ .. عفا الله عنى وعنك .

خامساً : في رمضان تُسلسل الشياطين .. تُغلُّ مردة الجن .. تصير فيه الشياطين مكبله مقيدة تثبتها الأغلال وتمرقلها القيود ، وكل هذا لتنتقل النفس حرة طليقة في أجواء العبودية لله جل جلاله ، فماذا يمنعك من أن تكون رجلاً بذولاً فيه للخير وقد قيدت الشياطين ؟!

هكذا أزيلت حجبتك ، وأبطلت أعذارك ، وأزيلت معوقاتك ؛ فلا شيطان يوسوس لك ، ولا مارداً يحاربك ويحجبك ؛ إنما هي نفسك الأمارة وتسويلها بالسوء ، أقبل وتخلص من سلطانها ، كفانا الله وإياك شرها .

سادساً : قال رسول الله ﷺ «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر»^(١) . . من أراد الطاعة في هذا الشهر الكريم فسييلها سهل ميسور ، فأقبل بكل عزمك .. بادر بكل أشواقك .. ومن أراد معصية الله في هذا الشهر نودي : كُفْ عن عصيانك واحذر ..

يا باغي الخير اقبل .. فإنك معانٍ موفقٍ معدد ..

ويا باغي الشر أقصر .. فإنك مخذول مكروه متبوء مطرود ..

(١) أخرجه الترمذي (٦٨٢) ، وصححه الألباني (٧٥٩) في «صحيح الجامع» .

سابعاً : جماعية الطاعة في رمضان تبعث في النفس نشاطاً وثباتاً ؛ فالناس كلهم صائمون ، ويجتمعون في صلاة التراويح ، والنفس من عاداتها أنها تنشط عند المشاركة وتغتر بالكثرة الكثيرة ؛ ولذلك ثبت كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة توبته بعدما ضغط عليه أهله حتى كاد يعود فيكذب نفسه ، ثبت لما علم برجلين صالحين شهدا بدرأ أصابهم ما أصابه ، وكذلك قال موسى عليه السلام : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِّنْ أَهْلِ ﴾ (٢٥) هَارُونَ أَيُّ (٢٦) أَشَدَّ يَوْمَ أَتَيْتُ (٢٧) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٢٨) كَيْ تُسَبِّحَ كَثِيراً (٢٩) وَتَذْكُرَكَ كَثِيراً (٣٠) [طه : ٢٩-٣٤] ، هكذا يشد أزرك في العبادة بكثرة المشاركين لك فيها ، فانطلق واعبد وستجد لك أعواناً ومحبيين ، فتستفيد ويستفاد منك .

ولذلك يعتبر رمضان ثورة عبادية شاملة ، فتجد من بركته إقبال الناس على الخير . . ويبحث الناس عن الخير . . تميل القلوب إلى الدين . . وتقبل نحو المساجد ، فيا دعاة الإسلام . . يا ورثة الأنبياء هذه فرصتكم فاغتنموها . . لا تضيعوا هذه الفرصة من أيديكم ودلوا الناس على الله . . عرفوا الناس دينهم ، فإنهم في هذا الشهر مهيئون للاستجابة السريعة ؛ فاغتنم دعوتهم واكسب أجرهم . .

ثامناً : في رمضان تجتمع أمهات الطاعات . . فالصلاة والصيام وزكاة الفطر فيه فرائض واجبة ، ثم هناك تلاوة القرآن . . والذكر . . والدعاء . . والصدقة . . والعمرة . . وإطعام الطعام . . من المستحبات المؤكدة ، وحصول هذه الطاعات وغيرها في هذا الشهر يجعله بمثابة توبة أمة ؛ ولكن أين المشغرون لاستغلال الفرص ١٤

تاسعاً : في رمضان أسباب كثيرة لغفران الذنوب والعتق من النار ، قال

رسول الله ﷺ : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه »^(١) ، وقال ﷺ : « من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه »^(٢) ، وقال ﷺ : « من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه »^(٣) .

خذ هذه الغنيمة البادرة ثلاث فرص في شهر لمغفرة ما تقدم من ذنبك .
ثلاث فرص لتطهر من ماضيك وتبدأ صفحة جديدة على بياض .
بالحا من فرصة لو كنت رجلًا . .

حاشراً : ثم أيضًا فرصة لتدخل في زمرة الأكابر ، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الصلوات الخمس ، وأديت الزكاة ، وصمت رمضان وقمته ، فممن أنا ؟ قال رسول الله ﷺ : « من الصديقين والشهداء »^(٤) ، سبحان الملك ! أمامك فرصة لتكون ممن قال الله فيهم : ﴿ وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ وَفِيحَقًا ﴾ [النساء : ٦٩] ، سبحان الله العظيم ! ، غنيمة واللّهِ باردة ، وفرص واللّهِ لا تعوض ، سبحان الملك ! ، كم فرصة في الشهر للمغفرة والعق ، بل كم فرصة كل ليلة ، حقًا يا ويله من فاتته تلك الفرص أو أضاعها .

وعن جابر بن سُمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني جبريل فقال : يا محمد ، من أدرك أخذَ والديه فمات لدخل النار فأبعده الله ، قل : آمين ، فقلت : آمين ، قال : يا محمد ، من أدرك شهر رمضان فمات ولم يغفر الله

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٨) ، ومسلم (٧٦٠) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٣٧) ، ومسلم (٧٥٩) .

(٣) متفق عليه ، البخاري (٣٥) ، ومسلم (٧٦٠) .

(٤) أخرجه ابن حبان (٢٢٣/٨) ، وصححه الألباني (٩٩٣) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

فدخل النار فأبعده الله ، قل : آمين ، فقلت : آمين ، قال : ومن ذكرت عنده
قلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله ، قل : آمين ، فقلت : آمين»^(١).

الحادي عشر : سُئِلَ الاعتكاف في رمضان تعد بمثابة غرفة عناية مركزة ،
لاستئصال سرطان الذنوب من القلوب .. تعتبر بيئة معقمة بعيدة عن شوائب
الدنيا وأدائها ، وكان حبيبنا ونبينا محمد ﷺ يعتكف العشر الأواخر من
رمضان ، وفي العام الذي تُوفِّي فيه اعتكف عشرين يومًا ، ولما فاتته الاعتكاف
مرة قضاء فاعتكف العشر الأول من شوال ، وفعله هذا يُنيك عن أهمية هذه
العبادة ، وحرصه ﷺ عليها يدفعك لأن تحرص عليها .

وفي الاعتكاف خلوة ، وقطع التعلق بالبشر ، والتخلص من سموم
المخالطة ، وفوائد أخرى عظيمة منها جمع الهم على الله ، وجمع شمل القلب
بعد تشتته ، وتغيير الطباع البشرية في العادات من الأكل والشرب والنوم ،
وقضاء الحاجة والوجوه المخالطة ، وفي كل هذا فوائد نفيسة لمن استحضرها
واستجمعها واستغاد منها فأقبل ، واستمع بالله ولا تعجز ، اعتكف ولا تهمل ،
اخسر شيئًا من الدنيا واكسب الآخرة ، واعلم أن كل هذه الطاعات والعبادات
سبيل لتزول رحمة الله جل جلاله ، فتعرض لرحمة الله عساك أن ترحم ،
اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

الثاني عشر : لله في كل ليلة من هذا الشهر عتقاء من النار ؛ فكن منهم
تسعد في الدنيا والآخرة ، قال رسول الله ﷺ : «لله عند كل فطر عتقاء»^(٢).

أخي الحبيب .. هل تعرف معنى هذه الجملة ؟ (اللهم أعتق رقابنا من
النار) برغم أنها تتكرر كثيرًا على الألسنة ، إلا أننا لم نتدبر معناها جيدًا كما

(١) أخرجه ابن حبان (٤٠٩) ، وصححه الألباني (٧٥) في «صحيح الجامع» .

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٦/٥) ، وصححه الألباني (٢١٧٠) في «صحيح الجامع» .

ينبغي ، لك أن تتصور في معنى العتق قول الله عز وجل : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُسْلِمَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ تُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بِتَنبِهِمْ يُسْرَرُ لَهُمْ هَابٌ بِأَيْمُنِهِمْ فِيهِ الرِّحْمَةُ وَعَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ الْمَوْتُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَفْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانَةُ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَصَرَّفَكُمْ بِاللَّهِ الْفَرُودُ ﴿١٤﴾ قَالِيَوْمَ لَا يُخَذُّ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَرِيشَ الصَّيْبِ﴾ [المعبد: ١٣-١٥] .

ركز جيدا على قوله تعالى : ﴿مَأْوِيَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَرِيشَ الصَّيْبِ﴾ ، نفهم حينئذ أن العتق هو الخروج من هذه الولاية ، ألا تكون النار مولاك ، وفي الآيات الأخرى : ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ، فالعتق : التخلي عن هذا الملك ، ملكية النار للإنسان ، سبحانه الملك العظيم ، أدركت الخطر المذلهم الذي تنجو منه بالعتق ، اللهم أعتق رقابنا من النار .. اللهم اجعلنا من عتقائك من النار ومن المرحومين ، هذه فرصة عظيمة في هذا الشهر ، فكاكك من النار .

الثالث عشر : قال رسول الله ﷺ : «إن لله عطاء في كل يوم وليلة لكل عبد منهم دعوة مستجابة»^(١) ، وقال رسول الله ﷺ : «ثلاث لا ترد دعوتهم» وذكر منهم «الصائم حتى يفطر»^(٢) ، أخي : هل لك إلى الله حاجة ؟

أبشر .. مسرور لك في ثلاثين حاجة ، سبحانه الله العظيم ! ، كم يشتهي الإنسان أشياء تُقضى بدعوة عند الإفطار لأن قبل الإفطار في آخر النهار يكون الإنسان في أحسن حالات استعمار الانكار ، وإظهار الافتقار ، ومد يد الضراعة ، وبظهور الذل والحاجة ، يستجيب الله دعاء الصائم المكين .

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٥٤) ، وصححه الألباني (١٦٩) في «صحيح الجامع» .

(٢) أخرجه أحمد (٢/٣٠٤) ، وصححه الألباني (٣٠٣٠) في «صحيح الجامع» .

اغتم الفرصة واستعد قبل الغروب بتجهيز كشف المطالب والتبرؤ من العيوب، واجعل لنا نصيباً في دعائك أيها الحبيب المحبوب، ولا تنس أن تجعل من دعائك دعاءً للأمة جميعاً أن يفرج الله عنها جميع الكرب.

الرابع عشر: الصيام يشفع لأهله يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعه الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: أي رب منعه النوم بالليل فشفعني فيه» فيشفعان^(١)، يقول الله تعالى: ﴿هَكَأُنْتَ هَكَؤُلَاءِ جَدَلْتَهُ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَصِيلاً﴾ [النساء: ١٠٩]، يحتاج الإنسان يوم القيامة إلى وكيل يدافع عنه، وشفيع يشفع له في مدلهجات هذا اليوم العظيم، فإذا وجد هذا الشفيع المشفع كانت قمة السعادة، فاحرص أن يعرفك الصيام ويعرفك رمضان، ويعرفك القرآن، ويعرفك الرسول ﷺ؛ فيجتمع لك الشفعاء، فتكون النجاة بفضل الله.

الخامس عشر: قوله ﷺ: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه»^(٢)، وكما يشتبه الإنسان في هذا الزمان وسط الحزن والنكد، والهم والألم فرحة تُشبع قلبه، وينشرح لها صدره؛ فإذا به عند الإفطار يجد فرحة عظيمة بثنا الله في قلبه، فأما فرحة الصائم عند فطره، فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا مُنعت من ذلك في وقت من الأوقات، ثم أبيع لها في وقت آخر؛ فرحت بإباحة ما منعت منه، خصوصاً عند اشتداد الحاجة إليه؛ فإن النفوس تفرح بذلك طبعاً، فإن كان ذلك محبوباً لله كان محبوباً شرعاً.

(١) أخرجه أحمد (١٧٤/٢)، وصححه الألباني (٣٨٨٢) في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٠٥).

وأما فرحته عند لقاء ربه فيما يجده عند الله من ثواب الصيام مُذْخَرًا ، فيجده أخرج ما كان إليه ، كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّجِدُوهُ عِنْدَ كَلِّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَثَرًا﴾ [المزمل : ٢٠] ، وقال تعالى : ﴿يَوْمَ نَجِدُ هَاسِكًا تَقَرُّسًا مَا صَبَّغَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْمَرًّا﴾ [ال عمران : ٣٠] ، وقال سبحانه : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة : ٧] . ومن أهم مميزات الصيام أنه لا يحبط بالقصاص في أداء مظالم العباد .

قال مفيان بن عينة - رحمه الله : فإذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم ، فيحمل الله عز وجل ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة .

الصيام لله عز وجل ، فلا سبيل لأحد إلى أخذ أجره من الصيام ، بل أجره مُذْخَرٌ لك عند الله عز وجل ، وحينئذ فقد يقال : إن سائر الأعمال قد يكفر بها ذنوب صاحبها ، فلا يبقى لها أثر ، فإنه روي أنه يوازن يوم القيامة بين الحسنات والسيئات ويقتصر بعضها من بعض ، فإن بقي من الحسنات حنة دخل بها صاحبها إلى الجنة ، فيحتمل أن يقال في الصوم : إنه لا يسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها ، بل يوفر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة فيوفي أجره فيها . قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا يَوَدُّ الصَّالِحُونَ أَنْ يُبْرَهُمْ مِنِّي بِحَسَبِ﴾ [الزمر : ١٠] .

السادس عشر : رمضان شهر التقوى : **قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد :**

«لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات ، وفطامها عن المألوفات ، وتعديل قوتها الشهوانية لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها ، وقبول ما تركوه به مما فيه حياتها الأبدية ، ويكسر الجوع والظما من جذتها وسؤورتها ، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين ، وتضييق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب ، وتُحْبَسُ قوى الأعضاء عن

استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها ، ويسكن كل عضو وكل قوة عن جماحه ، وتلجم بلجامه ، فهو لجأ المتقين ، وجنة المحاربين ، ورياضة الأبرار والمقربين ، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال .

فإن الصائم لا يفعل شيئاً ، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده ، وهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إشاراً لمحبة الله ومرضاته ، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه ، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة ، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده ؛ فهو أمر لا يطلع عليه بشر ، **وذلك حقيقة الصوم .**

وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة ، والقوى الباطنة ، وجنيئها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة ، التي إذا استولت عليها أفدتها ، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها ؛ فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ، ويبعد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات ، فهو من أكبر العون على التقوى كما قال الله تعالى : ﴿ يَهَيِّئُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَيْبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُيِّبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ، اهـ .

بعد هذا الكلام العتيق لابن القيم في ذكر أسرار الصيام ؛ علمت أن المقصود الأعظم من الصيام التقوى ، وهي الدرة المفقودة والغاية المنشودة ، وفرصتك في تحصيلها في هذا الشهر أعظم ؛ فبادر والله المستعان .

وقفة

بعد هذه الفوائد والمتاقب والتحف والطرائف لفضائل شهر رمضان

المعظم ؛ لا بد من وقفة :

هل تحصيلها بمجرد ترك الطعام والشهوة من الفجر إلى المغرب أم أن لذلك شروطاً أخرى ؟

وهنا أقول لك - أيها الحبيب المحب - : إن حقيقة وسر الصيام المطلوب ليست أمراً شكلياً يؤدي كيفما اتفق ؛ ولكن هناك أسرار لهذه العبادة العظيمة لا بد من معرفتها وإتقانها علماً وعملاً ، ثم هناك مراتب للصائمين .. ليسوا سواء .. وإنما تتفاوت الأعمال بقدر ما تتفاوت الهمم وأحوال القلوب :

قال الحافظ ابن حجر : نقل ابن العربي عن بعض الزهاد أن الصوم على أربعة أنواع :

• صيام العوام : وهو الصوم عن الأكل والشرب والجماع .
• وصيام خواص العوام : وهو هذا مع اجتناب المحرمات من قول أو فعل .

• وصيام الخواص : وهو الصوم عن غير ذكر الله وعبادته .
• وصيام لخواص الخواص : وهو الصوم عن غير الله ، فلا فطر لهم إلى يوم القيامة ، وهذا مقام عالي .

وقال ابن الجوزي : الصوم ثلاثة : صوم الروح وهو قصر الأمل ، وصوم العقل وهو مخالفة الهوى ، وصوم الجوارح وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع .

وقال : وما من جراحة في بدن الإنسان إلا ويلزمها الصوم في رمضان وغير رمضان ، فصوم اللسان : ترك الكلام إلا في ذكر الله تعالى ، وصوم السمع : ترك الإصغاء إلى الباطل وإلى ما لا يحل سماعه ، وصيام العينين : ترك النظر والغضب عن محارم الله .

فيا أخي ..

يا من طالت غيبته عن الله أبشر .. أبشر يا من دامت خسارته طول العام ؛

فقد أقيمت التجارة الرابعة ، من لم يربح في رمضان متى يربح ، من لم يتب فيه إلى مولاه ؛ فهو على بُعْدِهِ لا يبرح .

كم يُنادي : حي على الفلاح وأنت خاسر ، كم تدعى إلى الصلاح وأنت على الفساد ماثر ، إذا رمضان أتى مقبلاً فأقبل فبالخير يُستقبل ، لعلك تحطه قابلاً وتأتي بغد فلا تقبل .

إخواناه . . من يضمن أن يعيش إلى رمضان ١٩ ، كم من أمل أن يصوم هذا الشهر فخانه أمله ؛ فصار قبله إلى ظلمة القبر ! كم مستقبل يوماً لا يستكمه ، ومؤمل غداً لا يدركه !!

إخواناه . .

تالله لو قيل لأهل القبور تمنوا لتمنوا يوماً من رمضان . .

قيل : الشهور الاثنا عشر كمثل أولاد يعقوب عليه السلام ، وشهر رمضان بين الشهور كبوسف بين إخوته ، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب ، كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب .

إن كان في يوسف من الحلم والعفو ما غمر جفاهم حين قال : ﴿لَا تَزِرُ وَرَيْهَ ظَنِّكُمْ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢] ؛ فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات والنعمة والخيرات ، والعتق من النار ، والغفران من الملك القهار ، ما يغلب جميع الشهور .

جاء إخوة يوسف معتمدين عليه في سد الخلل ، وإزاحة العلل بعد أن كانوا خطايا زلل ، فأحسن لهم الإنزال ، وأصلح لهم الأحوال ، وبلغهم غاية الآمال ، وأطعمهم في الجوع ، وأذن لهم في الرجوع ، وقال لغنيانه : ﴿اجْعَلُوا بَيْنَهُمْ فِي رَحْمَتِهِمْ لَقَدْهُمْ بِمَرْحُومَتِي﴾ [يوسف: ٦٢] ، فسد الواحد خلل أحد عشر ؛

كذلك رمضان واحدٌ والشهور أخذَ عشر، وفي أعمالنا خللٌ وأي خلل، ويرجو العبد أن يتلافى في شهر رمضان ما قرط فيه في سائر الشهور.

كان ليعقوب أحد عشر ولداً ذكوراً بين يديه حاضرين، ينظر إليهم ويراهم ويطلع على أحوالهم وما يبدو من فعالهم، ولم يرتد بصره بشيء من ثيابهم، وارتد بقميص يوسف بصيراً، وصار يصره منيراً، فكذلك المذنب، إذا شم روائح رمضان، وجلس فيه مع المذكرين وقراء القرآن، وصحبهم بشرط الإسلام والإيمان، وترك الغيبة والبهتان؛ يصير إن شاء الله مغفوراً له بعد ما كان عاصياً، وقريباً بعد ما كان قاصياً، ينظر بقلبه بعد العمى، ويسعد بقربه بعد الشقا، ويقابل بالرحمة بعد السخط.

قَالَ اللَّهُ: اغتنموا هذه الفضيلة، في هذه الأيام القليلة، تعقبكم النعمة الجزيلة، والدرجة الجليلة، والراحة الطويلة.

والحالة الرضية، والجنة السرية، والعيشة الرضية، لا تُنال إلا بالوقار لهذا الشهر، ومن لا يُوقره كان مصيره إلى النار.

من رُجم في رمضان فهو المرحوم، ومن حرم خيره فهو المحروم، ومن لم يتزود لمعاده فهو ملوم ..

فإني متي أنت في ثياب البطر، أما تعلم مصير الصُّور؟، أما ينفعك ما ترى من العبر؟، أصمُّ السمع أم عُشى البصر؟، تالله إنك لعلئ خطر .. أن الرحيل ودنا السفر، وعند الممات يأتبك الخبر .. كلما خرجت من ذنوبٍ دخلت في آخر ١؟، يا قليل الصفا إلى كم هذا الكدر ١؟، أنت في رمضان كما كنت في صفر ١؟ .. إذا خسرت في هذا الشهر فمتى تريح ١؟، وإذا لم تسافر فيه نحو الفوائد فمتى تريح ١؟ ..

يا من إذا تاب نقض، يا من إذا عاهد غدر، يا من إذا قال كذب، كم سترناك على معصية، كم غطيناك على مخزية ١!

يا ذا الذي ما كفاه اللب في رجب
قد أظلك شهر الصوم بعدما
ورتل القرآن وسبح فيه مجتهدًا
واحمل على جسد ترجو النجاة له
كم تعرف من صام في سلف
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم
ومنجب بثياب العبد يقطعها
حتى متى يعمُر الإنسان منكم

حتى عصى ربه في شهر شعبان
فلا نصيره أيضًا شهر عصيان
فإنه شهر تسبيح وقرآن
فسوف تُضرم أجساد بنيران
من بين أهل وجيران وإخوان
حيًا فما أقرب القاصي من الدان
فأصبح بها غذا ألوانا وأكفان
صغير منكم قبر لإنسان

أحبي في الله ..

إنني واثق من أنكم تريدون أن تعرفوا كيف نصوم رمضان ، وإن مطالعتك الآن لهذا الكلام دليل على ذلك ، فها أنا تضيفون إلى ذلك العمل .. نويتم أن تعلموا فهل نويتم أن تعملوا ؟ .. ولكن اعلّموا أنه قبل العمل لابد من الاستعداد والتهيؤ للعمل ؛ فلذلك أبدأ معكم متدرجًا : نبدأ بالاستعداد للعمل .. ها خذ عذتك .. والبس لأمتك .. وأصلح نيتك .. واشحذ عزيمتك .. وامض ولا تلتفت متوكلاً على الله .. خذ كلامي عملاً .. وبادر به الأجل .. اللهم ارزقنا العمل بما علمنا ، وعلمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، واجعل ما علمتنا حجة لنا لا علينا ، اللهم ارزقنا العمل ، واكتب لنا خير رمضان وما فيه ؛ إنك ولي ذلك والقادر عليه .

... أحبكم في الله ...



الاستعداد للإبرمضان

(وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً)

وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ

وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ)

كيف نستعد لرمضان ؟

احبتي في الله ..

لقي أحد السلف أخا له فقال له : أترضى حالتك التي أنت عليها للموت؟ قال : لا .

قال : فهل عرضت عليها توبة من غير تسويف ؟ قال : لا .

قال : فهل تعلم دارًا تعمل فيها غير هذه ؟ قال : لا .

قال : فهل للإنسان نفسان إذا ماتت إحدهما عمل بالآخرى ؟ قال : لا .

قال : فهل تأمن هجوم الموت على حالتك هذه ؟ قال : لا .

قال : فما أقام على ما أنت عليه عاقل .

إنني - إخوتاه - إذا تخيلت أن هذه الأسئلة وجهت إلي أو إليكم ، فلن نجيب بأكثر مما أجاب هذا الرجل الصالح ، إنها أسئلة أود أن أوجهها لكل منكم بذاته وشخصيته ، **أسألك وأجب أنت فيما بينك وبين ربك :**

(١) أترضى حالتك التي أنت عليها للموت؟ ، بمعنى هل ترضى أن تموت الآن؟

(٢) أترضى أن تقبض روحك هذه الساعة ؟

لعل بعض الناس يقول : نعم ، لكي أستريح ، أقول : وما يدريك أنك مستريح ؟! ، لعلك تخرج من نكد الدنيا وعذابها إلى نار الجحيم التي هي أنكى وأشد وأبقى .

(٣) أترضى حالتك التي أنت عليها للموت ؟

لعل بعضنا يقول : نعم وهو لا يدري ماذا في قلبه ، إنه لا يرضى بالموت الساعة إلا غافل جاهل .

(٤) أترضى حالنك التي أنت عليها للموت ، لا ؟

(٥) فهل عزمت على توبة من غير تسويف ؟ ، الصادق يقول : لا ، ذكرت في كتاب « كيف أتوب » أن الذي يقرأ القرآن وينظر إلى النساء ، يقوم الليل ثم يدخلن .. يصوم ثم يكذب ، أن هذا علامة من علامات فساد القلوب ، وهو قدح في التوبة .

لا بد لهذه التوبة من شروط ، وشروطها ثلاث وهي : الإقلاع والندم والعزم ، الإقلاع عن الذنب والندم على ما فات والعزم على عدم العودة ، فإذا استحضرنا هذا ومثلنا الآن : هل تنوي توبة من غير تسويف ؟ ، ستقول : لا .

ثم ياتيک السؤال العالی :

(٦) هل هناك دار للعمل غير هذه الدنيا ؟ يعني هل هناك زمان للعمل غير عرك ؟ ، بالطبع لا .

(٧) فهل لك نغان إذا ماتت إحداهما تعمل بالأخرى ؟ ، بالطبع لا .

(٨) فهل تأمن من هجوم الموت عليك الآن ؟ ، بالطبع لا ، لهذه حالة لا يقيم عليها عاقل .

اللهم بلغنا رمضان ، فإن الذنوب تتكاثر علينا ، اللهم بلغنا رمضان ، فإن القلوب قد اسودت منا ، اللهم بلغنا رمضان ؟ فقد أثقلت الخطايا كواهلنا ، اللهم بلغنا رمضان فقد اشتد شوقنا إليه ، اللهم بلغنا رمضان فقد طال انتظارنا له ، إنا نتظر بالفرح حلول رمضان ، وكيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان ؟ ، وكيف لا يسعد العذنب بغلاق أبواب النيران ؟ فالسعادة في دخول رمضان .

ولكن أي فرح ؟ ، إنه الفرح بفضل الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] ، إننا ننتظر رمضان الساعة تلو الساعة ، فلا بد أن نعلم بماذا نفرح ؟

فالفرح فرحان : فرح بالحق ، وفرح بالباطل ، الفرح بالحق هو الفرح برحمة الله وفضله ، أن تفرح بتوبة الله عليك من المعاصي والذنوب ، تفرح بتوفيق الله لك بقيام الليل كل ليلة لمدة شهر ، تفرح لأن الله أعطاك فرصة لأن تحسن إلى الخلق فتطعم المساكين ، وأن تدعو الله في صيامك وعند فطرك ونشعر أن للصائم دعوة مستجابة .

أما الفرح بالباطل فهو كمن يفرحون بالمسلسلات والأفلام ، ينتشي أحدهم لأن في رمضان سيكون هناك فوايز ومسرحيات ، يفرح لأن في رمضان كرة ومباريات ، دورات رياضية واحتفالات ، خيام رمضانية وسهرات ، فهذا فرح بالباطل ، قال تعالى : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَيِّمِ الْمَنَىٰ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أَذْخَلُوا آبُوتَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الحل: ٧٥-٧٦] .

يفرح المؤمن بالحق ، فيفرح بفتح أبواب الجنة وخلق أبواب النار ، ويستبشر فيه بوقت تغل فيه الشياطين ، ولكن لابد من الاستعداد لهذا الفرح ، لابد من إعداد العدة لهذا المهرجان ، لابد من التجهز قبل قدوم الضيف . .

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ صَكَّرَهُ اللَّهُ أَيُّمَانَهُمْ فَتَبَطَّلَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [الصوبة: ١٦] ، إن من من الله العظيمة وآلائه الجميمة ونعمه الكريمة علينا أن يطلعنا رمضان ، واعلم أيها الحبيب أن من النعم التي يغفل أكثر الناس عن شكرها نعمة الإمهال .

سبحان الملك الحليم ! ، كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمته

سبقت غضبه ، وأن مواخذته سبقت عقابه ، سبحانه فهو الكريم ، فاشكر
نعمة الله على ذلك ، كم رآك على معصية طيلة السنة فسترك وعافاك وأمهلك
وأخرك حتى أدركك رمضان ، ومنحك الفرصة لتتوب فيتوب عليك ويكرمك
ويعطيك ويمنحك ويغفر لك ما تقدم من ذنوبك طيلة عمرك ؛ ولكن لا بد من
الاستعداد لهذا الشهر قبل مجئه ، حتى تتروض النفس على الطاعة قبل الشروع
فيها ، لا بد من إعداد العدة وأخذ الأهبة لرمضان .

قال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦] ،
فلما لم يعدوا العدة للخروج علم أنهم غير صادقين ؛ لذلك عوقبوا بالتشريط
والخذلان ، فإن كنت تريد العتق من النار في رمضان . . . إن كنت تريد أن
تقبل ، وتمحي خطيبتك فلا بد من إعداد العدة ، **يقول ابن القيم كتحفة** : «حذار
حذار من أمرين : أن يأتي واجب الوقت وأنت غير مستعد له ومتهيء لفعله ،
فتعاقب بالشيط عن فعله والتخذيل عن تحصيله ، قال تعالى : ﴿فَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى
إِلَهِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَسْتَفْذُوهُ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُفْرَجُوا مِنْ أَهْكَ وَلَنْ تُقْتَلُوا مَعِيَ حُدُودَ الْكُفْرِ
رَضِيئُكُمْ بِالْقَوْمِ أُوَّلَ مَرَّةٍ فَأَعِدُّوا مَعَ الْفَرِادِيِّينَ﴾ [التوبة: ٨٣] .

وحذار من رد الأمر لأول وهلة لمخالفته هواك ؛ فتعاقب بتقليب القلب ،
قال تعالى : ﴿وَتَقَلَّبُ أَيْدِيَهُمْ وَأَبْصَرَ لَهُمْ أَيْدِيَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] .

من هنا علم أنه لا بد من الاستعداد لشهر رمضان قبل دخوله حتى لا تعاقب
بالشيط عن أفعال الخير والتخذيل عن زيادة الطاعات في رمضان ، وافهم الآية في
ضوء هذا الكلام ، أن كراهية الله أنبعاثهم وتبليطهم كانت نتيجة عدم استعدادهم
أصلاً وعدم صدق رغبتهم في ذلك ، إما إذا استعد الإنسان للعمل وتجهز لأدائه
واقبل على الله راغباً إليه ؛ فإن الله سبحانه أكرم من أن يرذ عبداً أقبل عليه .

ولذلك كان السلف يستعدون لرمضان استعدادًا حقيقيًا يبدأ ذهنيًا ، فيدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعون الله ستة أشهر أخرى بعد رمضان أن يتقبل رمضان ، فكان السنة كلها رمضان ، ومن الاستعداد أيضًا أن رسول الله ﷺ كان يكثر الصيام في شعبان حتى كان يصومه كله إلا قليلًا ، وما روي في شهر هو أكثر صيامًا من شعبان ، وما استكمل صيام شهر قط إلا رمضان .

هؤلاء السلف كانوا يعرفون قدر رمضان ، قال يحيى بن أبي كثير : كان من دعائهم : اللهم سلّني إلى رمضان وسلم إليّ رمضان ، اللهم سلمنا لرمضان وسلم رمضان لنا ، وتسلمه منا متقبلًا .

بلوغ رمضان نعمة من الله علينا :

أيها الإخوة ، إن بلوغ شهر رمضان ، وصيامه نعمة عظيمة على من أقدره الله عليه ، يدل على ذلك هذا الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رجلان من بلى من قضاة أسلما مع النبي ﷺ ، واستشهد أحدهما وأُخِر الآخر سنة ، قال طلحة بن عبيد الله : فأريت الجنة فرأيت فيها المؤخر منهما أذجل قبل الشهيد ففجيت لذلك ، فأصبحت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « ليس قد صام بعد رمضان ، وصلّى ستة آلاف ركعة أو كذا وكذا ركعة صلاة السنة ؟ » ، وفي رواية قال : « وأدرك رمضان فصامه ، وصلّى كذا وكذا سجدة في السنة ؟ » قالوا : بلى ، قال رسول الله ﷺ : « إن الذي بينهما لأبعد مما بين السماء والأرض »^(١) .

فبلوغ رمضان نعمة ، ومن حرم من رمضان فهو المحروم ، من حرم غيره فهو المحروم ، ومن لم يتزود لاستقباله فهو ملوم . .

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٣٣) ، وصححه الألباني (٣٧٢) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

أنتى رمضان مزرعة العبادة لتطهير القلوب من الفساد
فلا حقوقه قولاً وفعلًا وذاك فاتحة للمعاد
فمن زرع الخبوت وما سقاها نأوة نادماً يوم الحصاد

وقد ذكر العلماء أن شهر رجب شهر البذر، وشعبان شهر السقي،
ورمضان شهر جني الثمار، فلنكن نحني الثمار في رمضان لا بد من بذر يبذر،
وأن يبقى حتى تكون له ثمرة .

أيها الإخوة، إننا ينبغي ابتداء أن نستعد لرمضان وذلك بخطوتين :

الأولى : إثارة الشوق ، بأن يثور من قلوبنا شوق لأن نستقبل رمضان فترحم
فيه وتعتق رقابنا من النار .

والثانية : إنك لو اشتقت لشممت ريح رمضان عن بعد كما شم يعقوب ريح
يوسف ، فلو شممت ريح رمضان ولبست قميصه لعاد قلبك بصيرًا ،
فالاستعداد لرمضان بخطوتين : الشوق ، وبصيرة القلب .

أما الشوق فإنه عملية غليان في القلب تحفزًا لاستقبال محبوب غائب طال
انتظاره ، وأما البصيرة والنور في القلب فإنها تجعل الإنسان يرى فضل الأيام
وثمرات الأعمال ووعود الآخرة ، فيكون ذلك دافعًا لعلو الهمة في الاستقبال
والاستعداد .

إخوتاه، حررتي بنا أن نستعد استعدادًا حقيقيًا لاستقبال شهر رمضان ، أن
نعلم كيف نصومه حقًا . إنك في عبادة من ساعة نويت الصوم عند طلوع الفجر
كأنك دخلت الصلاة بتكبيرة إحرام ، فأياك أن يلتفت قلبك عن الله أثناء
النهار ، في أثناء النهار أنت صائم يعني عابد لله ، فاحذر من الضغاث القلب ،
وهذه هي بصيرة القلب ، أن ترى بعين قلبك طيلة نهار الصيام نفسك قائمًا بين
يدي الله عز وجل .

وشهر رمضان عند الله شهرٌ معظم ، قال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وهذا يكفي تعظيماً له ؛ أن القرآن أنزل فيه ، وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر ، فهو شهر عظيم معظم فيه الطاعة وتعمم فيه كذلك المعصية ، فافهم هذه القضية لتعلم خطورة الجناية على النفس بالمعاصي في رمضان .

قال العلماء : إذا قوي الداعي وتم الترك عظم الأجر ، وإذا ضعف الداعي وتم الفعل عظم الوزر .

وقد استخرجوا هذه القاعدة من حديث النبي ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : «ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال ، فقل : إني أخاف الله»^(١) ، الداعي إلى المعصية هنا قوي ؛ لأنها هي الطالبة ، ولأنها ذات منصب وجمال ، ولكنه ترك ذلك لله ، فهو في ظل عرش الرحمن ، «وشاب نشأ في عبادة الله» هذا في ظل عرش الرحمن أيضاً ؛ لأن الداعي إلى المعصية الحامل عليها قوي ، وتم الترك فعظم الأجر .

والمعكس بالعكس ، إذا ضعف الداعي وتم الفعل عظم الوزر ، قال النبي ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكّيهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر»^(٢) ، شيخ زان أي رجل كبير السن وقع في الزنا ، فهذا إضافة إلى عقوبة الزنا أنه لا يكلمه الله ، ولا يزكّيه ، ولا ينظر إليه ، فكيف إذا جنت يوم القيامة فلم يكلمك الله ؟ ، ولم ينظر إليك ؟

(١) البخاري (١٣٥٧) ، ومسلم (١٠٣١) .

(٢) أخرجه مسلم (١٠٧) .

يا له من هجر! لعلك تتمنى ساعتها أن تكون تراثاً ، فليس ثمة عقوبة أشد من أن تحرم من رؤية الله ، فكيف إذا أعرض عنك لا يكلمك ، ولا يذكرك ، ولا ينظر إليك ، يا لها من عقوبة ! لو علمتها قلوبنا لانفطرت ، اللهم لا تصرف وجهك في القيامة عنا . .

وفي رمضان يضعف - بلا شك - الداعي إلى المعصية ؛ لأن المحيين على المعصية مفقود ، أبواب الجنة مفتحة ، وأبواب النار مغلقة ، والشياطين سلة وأكثر المسلمين مشغولون بالطاعات ، ثم تعصي الله !! فيكون العاصي في رمضان قد ارتكب عظيمًا اللهم عافنا من الذنوب والمعاصي .

أخي الحبيب :

إنه زمان طاعة ، وقد يسر الله لك الأمر وأعانك عليه ، بل وذكر سبحانه أيام الصيام فقللها بقوله جل وعلا : ﴿ أَيَّتَآمًا تَصُودُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، فاحترم الشهر ولا تحترم الآثام في تلك الأيام ، وأنا أحذرك من قطاع الطريق إلى الله ، الداعين إلى معصيته في هذا الشهر من وسائل الإعلام المختلفة في الجرائد والمجلات ، والراديو والتليفزيون ، والمسارح والسهرات ، إياك والمعاصي في هذا الشهر ؛ فإنه كما تضاعف الحسنات فيه تضاعف أيضاً السيئات ؛ لأنه ينضاف إلى المعصية الظاهرة من زنا العين بالنظر إلى الحرام وكذب اللسان بالزور والفحش والبهتان ، ينضاف إلى ذلك معصية قلبية من الكِبائر وهي عدم تعظيم حرمان الله ؛ فاحذر أن ينزل بك بطش الرحيم الرحمن في شهر رمضان .

أيها المسلمون . . عباد الله المؤمنين . . شهر رمضان كله رحمة ، وزيادة طاعات ، ومضاعفة حسنات ، فأبشروا يا معاشر المسلمين ، فهذه أبواب الجنة الثمانية في هذا الشهر لأجلكم قد فتحت ، ونسماتها على قلوب المؤمنين قد

تفتح ، وأبواب الجحيم كلها لأجلكم مغلقة ، وأقدام إبليس وذريته من أجلكم موثقة .

ففي هذا الشهر يؤخذ من إبليس بالثار ، وتستخلص العصاة من أسرهم ، فما يبقى لهم عنده آثار ، كانوا فرائخه قد غداهم بالشهوات في أوكارهم ، فهجروا اليوم تلك الأوكار ، نقضوا معازل حصونه بمعاول التوبة والاستغفار ، خرجوا من سجنه إلى حصن التوبة والإيمان ، فأمنوا من عذاب النار ، قصموا ظهره بكلمة التوحيد ، فهو يشكو ألم الانكسار ، في كل موسم من مواسم الفضل يحزن ، ففي هذا الشهر يدعو بالويل لما يرى من تنزل الرحمة ومغفرة الأوزار ، غلب حزب الرحمن حزب الشيطان ، فما بقي له سلطان إلا على الكفار ، عزل سلطان الهوى ، وصارت الدولة لسلطان التقوى فاعتبروا يا أولي الأبصار .

إخواناه . .

شهر رمضان شهر التنقيط ، شهر التحفظ ، إخواناه . . بين أيديكم سفر ، والأعمار فيها قصر ، وكلكم والله على خطر ، كونوا على حذر من الجبار وقد قدر ، اصرفوا قلز من قدر ، تذكروا كيف عصيتم وستر ، وأيم الله لو قمتم على البصر ، وسجدتم شكراً لله سجدتم على الإبر ، ما وفيتم شكر نعمة الله ولا على نعمة السر ، أما طوى القبيح والجميل نشر ؟ ، أما بعض نعمة السمع والبصر ؟

إخواناه . . أن الرحيل وما عندكم خير ! ، إلى كم توعظون ولا تتعظون ؟ ، إلى كم توقظون ولا تبصرون ، أكلغتم ما لا تطيقون ، أكلغتم بما لا تفهمون ؟ ، ما لكم عن مآلكم تعرضون ؟ ، ما هذا الفتور وأنت سالمون ؟ ، ما هذا الرقاد وأنتم متبهرون ؟ ، **إخواناه . .** أدركوا أنفسكم اليوم بتوبة قبل أن يدرككم الموت . . اللهم ارزقنا قبل الموت توبة ، وعند الموت راحة ، وبعد الموت جنة ونعيمًا .

هذه تهيئة لرمضان ، وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها : « ما كان رسول الله ﷺ يصوم في شهر من السنة أكثر من صيامه من شعبان كان يصومه كله »^(١) ، وفي رواية : « كان يصومه إلا قليلاً » ؛ فلذلك استعد لرمضان بكثرة الصيام حتى تنمو النفس على الصيام . . قم الليل في شعبان ، أكثر من تلاوة القرآن ، وأكثر من ذكر الله تعالى . . تمهيداً للدخول في رمضان .

قال السري الشافعي : السنة شجرة ، والشهور فروعها ، والأيام أغصانها ، والساعات أوراقها ، وأنفاس العبد ثمرتها ، ف شهر رجب أيام توريقها ، وشعبان أيام تفريعها ، ورمضان أيام قطفها ، والمؤمنون قطفها .

ويقول بعض السلف : رجب شهر الغرس ، وشعبان شهر السقي ، ورمضان شهر جني الثمار ، فإذا أردت جني الثمار في رمضان ؛ فلا بد من الغرس في رجب وسقي ذلك الغرس في شعبان .

إنني عندما أقول لك : صم في رجب وشعبان ، وقم الليل فيهما ، وتصدق فيهما ، واغرس الأعمال الصالحة في رجب وتعاهد بها بالسقي في شعبان ؛ إنما أقول ذلك لكي تستشعر بعد ذلك في رمضان لذة الصيام ، ولذة القيام وقراءة القرآن ، ولذة الصدقة وسائر اللذات ، لأن الأمر يحتاج إلى صبر ومصابرة وطول مُكث . . لا يأتي من أول وهلة ، وأيام رمضان قليلة ، ومرور أيامه سريعة ؛ فلذلك لا بد من الاستعداد الجدي قبله بفترة كافية .

فإذا كنت من أهل الصدق وأردت فعلاً الاستعداد ؛ فإليك أيها الحبيب برنامجاً عملياً للتأهيل والاستعداد :

• هيا إلى العمل •



(١) أخرجه مسلم (١١٥٦) .

تعريفات الاستعداد

التعريف الأول : التدريب على تجويد التوبة :

إن أول واجب للاستعداد لرمضان : التوبة ، اللهم تب علينا توبة نصوحاً ،
اللهم تب علينا توبة ترضيك ..

وذلك لأن التوبة وظيفة العمر ، تلزم العبد في كل لحظة ، قال الله عز
وجل : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] ،
وكان ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ، وكان يسمع
منه في المجلس الواحد مئة مرة يقول : « رب اغفر لي وتب علي ؛ إنك أنت
الغواب الرحيم »^(١).

ولست التوبة كما تفعل دائماً : تبت .. تقول : استغفر الله بلسانك وقلبك
غافل لاه .. أو تظن أن التوبة هي التوبة من النظر إلى المثيرجات ، أو التوبة
من الكذب والغيبة والنميمة فقط لا غير .. إنني أريد التوبة هذه المرة من
حياتك .. التوبة من نعمط الحياة التي نعيشها .. التوبة من نعمط التفكير الذي
تفكر به .. التوبة من الآمال العريضة التي نعيش لها .. التوبة من حياتنا ككل .
التوبة من هذه الحياة .. إننا نريد حقاً أن نتوب ، إننا نريد تجويد التوبة ، نريد
تدريباً عملياً على توبة جديدة جيدة .

أخي .. قبل دخول شهر رمضان جدد التوبة .. حسن التوبة .. أتقن
التوبة .. اصدق التوبة .. إنك بحاجة إلى أن تتوب أخي لا من الذنوب

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٤) ، وصححه الألباني (٧٣١) في صحيح الترمذي .

والمعاصي فحسب - وإن كانت هي الأولى والأولى ، ولكننا بحاجة إلى توباتٍ آخر . . بعد التوبة من الكبائر الظاهرة والباطنة ، والتوبة من المعاصي الملازمة والعارضة . . بحاجة إلى التوبة من أشياءٍ آخر منها :

أولاً : التوبة من تضييع الأوقات :

(١) الليل :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۚ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبا: ١٠-١١] ، وقال تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ ۚ ﴾ [الأنعام: ٦١] ، ﴿ وَالَّذِينَ يَسْتَفِرُّونَ ﴾ [الفرجات: ١٧-١٨] ، وحين وصف عباد الرحمن قال عنهم سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٤] ، فهذه وظيفة الليل في الإسلام ، السكون والراحة والخلوة مع الله والتعبّد ، هذا هو ليل المسلمين ، ولكن مع شديد الأسف ! انظر إلى ليل المسلمين هذه الأيام : يا حرةً على العباد !!

تحول ليل المسلمين إلى لعب ولهو ومعاصٍ وغفلة ، وحول بعضهم ليله نهارةً ، ونهاره ليلاً ، وضاع الليل . . ضمن الأوقات الضائعة . . ضاع الليل بساعاته الغالية وأوقاته النفيسة ، ضاع الليل بفرصه الذهبية وفتوحاته الربانية . . ضاع الليل وهم يقولون : شهر رمضان شهر السهر !! . . هذه فرصتك . . فتقرب إلى الله تعالى وتب من تضييع ليلك في المعاصي واللّهو ، وأثبت صدق توبتك هذه بقيامك بين يديه تتأججه وتستجديه أن يغفر لك ، فرصة لا تضيعها .

(٢) بالشروء الذهني في الفراغ :

أخي في الله ، هل تمر بك أوقات تجلس صامتاً لا تفعل شيئاً ، فقط تجلس شاخصاً ببصرك إلى الفراغ وتفكر في لا شيء ، هذا هو التجسيد الحقيقي للغفلة . . غفلة مطبقة على القلب . . على العقل . . غفلة مستحكمة ، وكلما

ازداد شغورك هذا زاد تمكنها منك ، تب من ذلك ولا تجلس فارغاً ، اشغل لسانك وقلبك بذكر الله ، واشغل عقلك بالتفكير في هذا الذكر . . توبة يتبعها عمل صالح .

(٣) مأساة المواصلات :

كم من الوقت يضيع منك يومياً في المواصلات أخي في الله ؟ ، على الأقل ثلاث ساعات يومياً ، وتضيع كلها في معصية الله ، من الاختلاط بالنساء وإطلاق البصر ، وغيرها ، ولو شئت في هذه الساعات لذكرت الله . . اغتنم هذا الوقت ولا تضيعه ، هذا الوقت يكفيك لآلاف من الذكر يومياً ، أيضاً جود هذه التوبة بيقينك أن هذه الفترة فرصة سانحة لذكر الله والانشغال به . . جود التوبة .

(٤) النوم :

قلت لكم سابقاً : هذا الشهر يحتاج لهمة عالية ، وأصحاب العشر ساعات نوم يومياً ليسوا ذوي همة عالية ، بل هم أهل البطالة والكسل ، فإذا قلت لي : إنك تحسب نومك هذا لله ، قلت : تحسب عشر ساعات !! بل وثمان أيضاً ، كيف تحسبها؟ الاحساب أن تقول : يا رب . . سأرقد فقط لأتقوى على طاعتك . . وهل تقوى على طاعة الله بعشر ساعات نوم ، لن أحدد لك عدد ساعات نومك ، ولكن كل هذا وقت ضائع من عمرك . . حدد أنت ما يكفيك ، والتوبة من ذلك أن تتوب من الخداع بأن تعلم أن الله الذي يراقبك يعلم سبحانه ما يكفيك ، فجود التوبة ولا تخادع .

ثانياً : التوبة من اللسان :

قال رسول الله ﷺ : « وأعوذ بك من شر لساني »^(١) ، وفي حديث معاذ بن

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٩٢) ، وصححه الألباني (٢٧٧٥) في « صحيح الترمذي » .

جبل الطويل حين سأل رسول الله ﷺ عن عمل يقربه من الجنة ويبعده عن النار؛ فقال له رسول الله ﷺ في نهاية الحديث: «ألا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه»، ثم قال: «هل أدلك على ملاك ذلك كله»، قال: نعم، قال: «أمسك عليك هذا»، وأمسك بلسان نفسه، فقال معاذ: أومأخذون نحن بما نتكلم فيه؟، فقال رسول الله ﷺ: «وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصاة ألسنتهم»^(١).

وهل يجزئ لسانك عليك إلا كل شر، فأنت إن تركته أهلكك: كذب .. غيبة .. نعيمة .. بهتان .. رياء .. عجب .. احتقار .. زنا .. اللهم إنا نعوذ بك من شرور ألسنتنا . ومن مآسي اللسان في عصرنا :

(١) مأساة التليفونات :

لا شك أن ثورة الاتصالات التي حدثت في عصرنا لها فوائد ونفع الله بها المسلمين في جوانب، وخدمت الدعوة الإسلامية في نواح متعددة؛ لكن مأساة التليفونات في عصرنا عجيبة، ولا بد لها من وقفة شرعية أيها الإخوة، فأكثر الناس في هذه الأيام يحمل أكثر من تليفون في جيوبه، والسؤال لك أيها المسلم الملتزم السني، يا طالب الآخرة، يا حريصاً على رضا الله، ماذا تصنع بهذا التليفون؟

دعونا من المراوغة وتعالوا نتكلم في الصميم، إن وجود التليفون في يد كثير من الناس مجرد منظرة مثل الناس، تقليد أعمى، فليس صاحبنا رجل أعمال خطير، ولا شخصية مهمة، ولا يمثل التليفون بالنسبة له أي

(١) أخرجه أحمد (٢٣١/٥)، وصححه الألباني (٥١٣٦) في «صحيح الجامع».

دور ولا أثر، فما الذي كان؟، الآفات الثلاثة التي يكرهها الله، قال رسول الله ﷺ: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»^(١).

اجتمعت تلك الآفات الثلاثة في التليفون، فليس في هذه الاتصالات إلا القيل والقال، وفواتير التليفونات وثمان الكروت صار إرهاقاً للميزانية يُقطع من فم الأولاد.

أخي الحبيب، تب إلى الله، وألق عنك هذا الجهاز قبل دخول رمضان، تستجمع شمل قلبك، وتفرغ همك للطاعة، ويقل الانشغال.

(٢) القصص والحكايات والمنامات، وكرة القدم والفن:

أيها الأحبة في الله، الكلام شهوة، حتى إنك تجد بعض الناس لا يكف عن الكلام، وإنك إذا جلست في مجلس - وجرب ذلك - ساكناً صامتاً تتأمل، تقل بصرك وأذنك لتسمع الأطراف المتحاور، تجد كلاماً فارغاً وحوارات سقيمة وحكايات عقيمة، قصص وحكايات، أخبار وروايات، كلها لا قيمة لها، تضر ولا تنفع.

ومما زاد الطين بلة كثرة الافتراءات في ذكر المنامات، فتجد الكل يؤلف ويحكى أنه رأى، والآخر يفتي ويؤزل... ومثله الكلام عن كرة القدم والفن وأكثره زور وهتان..

فتب إلى الله أيها الأخ الكريم من القصص والحكايات قولاً وسمعاً، واختم الوقت بذكر الله..

(١) متفق عليه، البخاري (١٤٠٧)، ومسلم (٥٩٣).

(٣) الوصف والمبالغات والتفاقي والمجاملات :

قال رسول الله ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه »^(١) ، وآفة الاختلاط بالناس ويدافع الفضول البشري والاستشراف للاطلاع على أسرار الخلق ، يجعل كل ذلك شغف الناس بكثرة الكلام ، ولكن المصيبة الأكبر أن يحصل نوع من المبالغات أو التوسع في الوصف الدقيق لموضوعات لا تحتاج ولا تحمل ..

والأبشع من كل ما مر : المجاملات الزائفة الكاذبة والتفاقي الاجتماعي المتبادل ، فهل من توبة من هذا الخطر المستطير الذي يهدد بخف ومخ وقذف ؟!

(٤) التهريج والمزاح ، والفحش والبذاء :

قال رسول الله ﷺ : « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البليء »^(٢) ، وقال رسول الله ﷺ : « لا تكثرُوا الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب »^(٣) .

صار من سمات الباطل في عصرنا خفة الدم زعموا .. وليس ثمة أثقل من كذب فاحش يستضحك الناس بالباطل ، والأخيث في الموضوع أن يشارك في هذا الأمر من يلتزمون بالدين ويظهرون حب الله ورسوله ، فيحولون أكثر المواقف جدية إلى مزاح !!

فاتقوا الله يا قومنا ، ونزهوا أنفسكم عن فضول الكلام ، فضلاً عن الفحش والبذاء والتهريج والمزاح .

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٣) ، وصححه الألباني (١٨٨٦) في « صحيح الترمذي » .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٦٠) ، وصححه الألباني (١٦١٠) في « صحيح الترمذي » .

(٣) أخرجه ابن ماجه ، وصححه الألباني (٤١٩٣) في « صحيح ابن ماجه » .

ثالثًا : التوبة من العلاقات :

(١) معارف للظروف :

كثيرًا ما نسال أحدهم : كم جزءًا قرأ من القرآن اليوم ، ويكون الجواب :
 أنا أتمنى والله أن أقرأ ، ولكن المشكلة .. ليس هناك وقت ! ، وحين تسأل :
 أين ضاع الوقت ؟ ، وكيف ضاع الوقت ؟ ، فإنك ستجد أن من أخطر ما يضيع
 الوقت كثرة الاختلاط بالناس ..

إننا نستهيئ بمكالمة لمجرد المجاملة ، قد يضيع فيها نصف ساعة ،
 ومصافحة وكلمتين «ع الماشي» بعد الصلاة أمام المسجد يضيع فيها نصف
 ساعة أخرى ، وهكذا ، تضيع الأوقات بغير فائدة ، والعبد مشغول عن عمره
 فيما أفناه .

أرجو أخي الحبيب قبل دخول رمضان أن تحجّم علاقاتك .. ان تختصر
 معارفك .. ليس هناك مجال لأداء حقوق كل هؤلاء ..

والتوبة من هذا تكون بتحقيق الإخلاص في العلاقات ، بإقامة صرح الحب
 في الله ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، فتتضبط العلاقات بضابط الحب
 في الله والبغض في الله فتكون عبادة .

(٢) مجاملات بالحرام :

في العلاقات الكثيرة المتشعبة لا بد من المجاملة ، وأحيانًا لا مجال
 للمجاملة إلا بالكذب ، أو على حساب الآخرين وكلاهما حرام ، فلا بد من
 التوبة من المجاملات ؛ قل الحق ولو كان مرًا ، والساكت عن الحق شيطانٌ
 أخرس فلا تجامل بالحرام ، وكُفّ لسانك .

(٣) الاختلاط المحرم :

أكبر آفات العلاقات أن تكون العلاقة أئمة بين رجل وامرأة مهما زعموا أنها علاقة بريئة ، دعونا نكون صرحاء ، ليست هناك علاقة بريئة ، كلها علاقات محرمة ، إننا يا قوم عبيد ، يحكمنا دين يقوم على أمر ونهي ، وليس الحاكم في ذلك العادات والتقاليد أو الهوى والشهوات . .

فتجب التوبة قبل دخول رمضان من كل علاقة أئمة حتى يظهر القلب . .

رابعاً : توبة القلب :

(١) التوبة من الخواطر :

أحلام اليقظة متعة بعض الناس ، أخي الحبيب : لا يقتلك الوهم ، عش الحقيقة وإياك وأحلام اليقظة ، إياك من الخواطر الرديئة ، اجعل خواطرك تحت السيطرة ، لا تدعها تخرج من تحت يدك ، إنك إذا تركت الخواطر ترعى في قلبك وعقلك بغير ضابط ولا رابط ؛ فستعيش الوهم وتصدق ، كم من أناس قتلهم وهم المشيخة ، وهم ليسوا على شيء ، وآخرون قتلهم وهم طلب العلم وعاشوا أحلام اليقظة في ثياب فضفاضة ليست من ثيابهم .

أخي الحبيب . قبل رمضان عش الحقيقة وانس الوهم ، وتب إلى الله ، انشغالك بالعمل يخرجك من هذا الوهم .

(٢) التوبة من التعلق بغير الله :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۖ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبَاعَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [سرم: ٨١-٨٢] ، إياك أخي الحبيب والتعلق بغير الله ، الكل سيخذلك ويتخلى عنك إلا الله العظيم ، فلا تنشغل

بالآخرين ، واجعل انشغالك بمن ينفعك انشغالك به ، تب من التعلق بالأسباب والتعلق بغير الله .

(٣) التوبة من الأمانى والتسويق وطول الأمل :

تلكم الثلاثة أمراض خطيرة تقتل الإيمان . .

إخوتي في الله : أحذركم من السين وسوف . . أحذركم من الاغترار بالأمانى ، قال الحسن البصري كذلك : ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وإن قومًا غرتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، قالوا نحسين الظن بالله وكذبوا ؛ لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

(٤) التوبة من المعجب والكبر والغرور ورؤية النفس :

وهذه الأمراض أيضًا تقتل الإيمان ، وتذهب بالعبد إلى الجحيم ، فالمعجب محبط عمله ، ولن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، والغرور قتال ، ورؤية النفس تجعلك تختال ، فاحذر يا مسكين ، فإنك لا تدري بم يختم لك ، تب من كل ذلك وانكسر واخضع وذل لربك لعل أحد هؤلاء الذين تزدريهم قد سبقك إلى الجنة بمراحل ، والله في خلقه شئون ، فاحذر . . عجل بالتوبة ، ومن تواضع لله رفعه .

خامسًا : التوبة من الكسل :

(١) كم بين العلم والعمل :

ونحن على أبواب رمضان ، والكل بلا استثناء يعرف فضائل رمضان ، ويحفظ الوعود على الأعمال ، ولكن ماذا أفاد هذا العلم ؟ ، وبم نفع هذا الحفظ ؟ ، أين العمل ؟ !

تب أيها المسكين من الكسل ، فقد استعاذ النبي ﷺ منه ، قال رسول الله ﷺ : «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والمعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدين ، وغلبة الرجال»^(١) ، فاستعد بالله وانتفض قائما ، واعمل بما علمت ، هذه توبة ..

(٢) ضعف اليقين في الوعد والوعد :

قال رسول الله ﷺ : «من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة في الجنة»^(٢) ، أنا قلت الآن : سبحان الله وبحمده ونظرت في الساعة فإذا هي ثانية واحدة ، لو ثبت يقينك في هذا الوعد أنك تكتسب بالثانية الواحدة نخلة في الجنة ، وقد قال رسول الله ﷺ : «ما من نخلة في الجنة إلا وساقها من ذهب»^(٣) فوزن ساق نخلة من ذهب مئات الكيلوات ، هذا ثمن كل ثانية من عمرك ، وأنت تضعه شئرا من .. لا تبالي ولا تذر ، وإنما أتيت من ضعف يقينك ، لو ثبت يقينك في ذلك الوعد : ما ضيعت لحظة من عمرك وما ركنت إلى الكسل وترك العمل .. اعمل يا كسلان .

(٣) الترخص المهيئ :

بعض الناس يريد التفلت من الدين ولكن بدين ، فهو يبحث عن الرخص ، ويتخذ الخلاف بين العلماء موعنا للهروب ، فكل المسائل عنده فيها خلاف بين العلماء ، وهو يرجح فيها بهواه ، ويختار ما يوافق شهوته ، ويظن أنه على شيء ، ﴿وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝﴾^(٤) استمرّد

(١) متفق عليه ، البخاري (٢٧٣٦) ، ومسلم (٢٠٨٨/٤) .

(٢) أخرجه الترمذي (٥١١/٥) ، وصححه الألباني (٦٤٢٩) في «صحيح الجامع» .

(٣) أخرجه الترمذي (٦٧١/٤) ، وصححه الألباني (٥٦٣٧) في «صحيح الجامع» .

عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَسْخَمُ ذِكْرَ اللَّهِ لَأُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٨-١٩﴾ [المجادلة: ١٨-١٩] .

تب أخي الحبيب من هذا الترخص المهين واستعن بالله على الأخذ بالمعزائم ، والعمل الجاد المثمر ، والله المستعان .

وقد جعلت الكسل آخر هذه العناصر ؛ حتى لا نكسل في التوبة ، فلنارع الآن .. حالا .. ونتوب إلى الله ..

إخوتاه .. هذه توبة لازمة .. ليست استعداداً لرمضان فحسب ؛ فلعلنا لا ندرك رمضان ؛ ولكنها لازمة استعداداً للموت ، فقد تموت الآن في هذه اللحظة ؛ إذا فتب ولا تسوف .

التدرب على تعظيم الشعائر :

غفلة القلب من أضر الأشياء على العبد ؛ ولذلك لابد في الاستعداد لرمضان من التدريب على يقظة القلب ، ولا شك أن من يقظة القلب أن يراعي شعائر الله وأن يعطيها حفظها من التوقيف والتعظيم وحفظ الحرمة ، وهذا مطلب خطير يجب أن يراعى في الاستعداد لرمضان .

فيجب أن نكون من داخلنا خائفين قلقين ؛ أن يفوتنا رمضان من غير أن نعتق من النار ونكتب من أهل الجنة .. أصحاب السبت لما لم يعظموا أمر الله في عدم الصيد يوم السبت ؛ مسخهم الله قرده ، قال تعالى : ﴿ قُلْنَا عَنَّا مَّا بُوَا عَنَّا قُلْنَا لَمْ كُونُوا قِرْدَةً خَاسِعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٦] .

والله سبحانه وتعالى قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَتَسْلَمُوا تَقْوَى ﴾ [البقرة: ١٨٣] ، فهذا أمر وفرض وشعيرة عظيمة ، من عظمها فهو التقى ، قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعْظِمْ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢] .

التعريف الثالث : التدريب على استقامة القلب :

لكي نستعد لرمضان لأبد من استقامة القلب ، بأن يكون الله أحب إلينا من كل شيء ، فندم محبة على كل شيء ، وأن نعظم أمره ونبيه ، لأن تعظيم الأوامر والنواهي من تعظيم الأمر الناهي ، وأن نقوم بعملية تطهير ظاهري وباطني .

ويكون ذلك بأمور منها :

١ - التعلق بالله :

أن يتعلق القلب بالله وحده ، وإن من أكبر عوامل فساد القلب التعلق بالأسباب ، لا تظن أنك بهذه الأسباب وحدها ستوفق لطاعة الله ، بل لابد من عون من الله لك ، لابد أن يتعلق قلبك بالله ، فأنت لا حول لك ولا قوة ، والحوول والقوة لله وحده ، ومن أخطر نتائج التعلق بالأسباب أن يحول الله بينك وبين قلبك ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ الْغُثَرِ ﴾ [الأنفال: ٢٤] .

لابد لك من شوق محرق يأخذ بيدك إلى ربك ، ولا يحصل لك ذلك إلا بأن تطالع أسماء الله وصفاته ، وتشاهد من الله عليك وفضله السابغ ، وتطالع جناتك فتتحسر على فوات الزمان في غير طاعة الله ، فتشوق لاستدراك الفائت ، وتهفو نفسك إلى عمل صالح يكفر ما قد كان من فعالك ، تذكر سبق السابقين وأنت لازلت قابع في شهواتك ، تذكر يوم الوعيد وأنت تأكل يديك حسرة وأهل الإيمان في الفردوس الأعلى قد تناءوا عن أمثالك .

٢- استيعاب القلب لأسرار الطاعات :

واستلھام حلاوة الإيمان .. فإذا فقه القلب أسرار الطاعة ، وذاق لذة الطاعة ، انصلح حاله .

إن آفة الأعمال أيها الأحبة أن تجري على الشكليات .. على المناظر .. على ما يبدو في الظاهر .. هكذا نشأ أكثر أهل عصرنا ، يتوضئون ويصلون ويصومون ويعتصرون ويحججون ، وكل العبادات يؤدون كما رأوا آباؤهم وأجدادهم يفعلون ، هكذا يستمرون ، كما يفعل الناس يفعلون ، دون دراسة حقيقية لأسرارها أو فقه لروحها ، وبالتالي ضاع أثرها .

وُغِدَتْ ترى صلاةً بغير خشوع ، وقرآنًا بغير تدبر ، وصيامًا بغير تهتل ، وحُجًّا وعمرة بغير حُبٍّ وشغفٍ وشوق .. كل العبادات تؤدي شكليًا أداة للواجب ، ولكن دون وعي صحيح بأسرار العبادة ؛ فكانت النتيجة أن تجد أعمالًا بغير نتيجة ، ولا أثر لها على شخصية العبد ولا على حاله مع الله .

إننا أيها الأحبة .. إذا أردنا أن نفوق طعم العبادة ، ولذة الطاعة فلا بد من معرفة حقيقية لأسرار العبادة ، ورمضان له أسرار ، وأسرار الصيام أعظم ، ولعلك إن قرأت هذا الكتاب بكامله تجمع لك من متفرقة أسرار هذه الطاعة العظيمة .

التمرين الرابع : تدرب القلب على الأنفة من المعاصي :

الأصل في القلب وجود هذه الأنفة بالفطرة ، ولكن الفطرة تتبدل كما هو معلوم ، وكما قيل : كثرة المساس تفقد الإحساس ؛ فلذلك ينبغي على الإنسان أن يتحرى قبل رمضان إعادة هذه الحاسة إلى قلبه عند عديمها ، أو تقويتها حال ضعفها ، فيستكشف أن يعصي الله عز وجل وخصوصًا إذا استشعر حاله الإيمانية أثناء الصيام . ولا بد لكي تُدرب القلب على الأنفة من المعاصي قبل

رمضان من معايشة المعاني الروحية العليا ، كي تعود القلب على التفور من الكذب واستهجان الغيبة والنميمة وإنكار المعاصي والحذر منها ، ولا بد أن يعايش معاني تدبر القرآن وتفهيم الأذكار ، ويذوق لذة المناجاة والتضرع بين يدي الله ، فمن ذاق الحلاوة أنف من مرارة المعاصي ؛ فتصبح همة متطلعة إلى معالي الأمور وتكره سفاسفها .

وفرصة الاستعداد لرمضان تدريب فعلي على الأنفة من المعاصي بكثرة الصيام وتلاوة القرآن ، وحال الانشغال بذلك لا يتصور عاقل أن يمارس المعصية حال أدائه للطاعة ، والأمر يحتاج إلى استنكار عقلي ، ثم رفض ذهني ، ثم انصراف فعلي عن المعاصي .

التمرين الخامس : الترويض على الانكسار لله عز وجل :

قال سبحانه وتعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاكٌ ۚ ﴿٦٦﴾ أَنْ رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا ۖ ﴿٦٧﴾ ۚ إِنَّ رُؤْيَا الْإِنْسَانِ لَنَفْسِهِ بِغِيثٍ غَبَرٌ إِلَى الطَّغْيَانِ وَمَجَاوِزُهُ الْهَدْمُ ، فَلَإِيَّ يَلْتَمِسُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا الْفَقْرَ ، وَهُوَ أَصْلُ خَلْقِهِ ، وَلَكِنْ هَذَا الْفَقْرُ الدَّاخِلِيُّ يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِشْعَارِ حَقِيقَتِهِ لِيُظْهِرَ أَثَرَهُ عَلَى الْجَوَارِحِ وَفِي الْفِكْرِ وَالْتِمَادِ .

ومعلوم أن الفقر وصف ذاتي لكل مخلوق ، وصف لازم له ، كما أن الغنى وصف ذاتي للمخالق جل جلاله ، قال الله تعالى : ﴿ يَتَأَبَّهَاتُ النَّاسُ أَنْتَ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۚ ﴾ [المائدة : ١٥] ؛ فلا بد أن تُظهر فقرك وذلك وانكسارك بين يديه سبحانه وتعالى .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] . . . وحينما تنظر في الفرق بين المسلمين يوم بدر ويوم أحد ؛ ماذا تجد ؟ . . . يوم بدر : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ ﴾ . . . يوم أحد : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظَرُوتُمْ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٤٣] . . . هناك فرق بين من

خرجوا للجهاد حفاة .. عراة .. جباة .. الرسول ﷺ ينجي ربه : «إن تهلك هذه العصاة فلن تعبد في الأرض»^(١) سن : ليرين الله ما أصنع .
في الأولى كانوا فيها في قمة الذل والانكسار .. وفي الثانية كان هناك شيء من رؤية النفس .. لم ينكسروا تمام الانكسار فكسرهم .. سبحانه عزيز لا يغالب .

أيها الإخوة، الطاعات مدد وأرزاق .. وحينما تدخل على الملك وأنت فقير يعطيك ، وإذا دخلت عليه وأنت مستعجل طردك ؛ لا بد أن تدخل بفقرك وضعفك وحاجتك ومسكتك .

وهذا الباب - باب الذل - باب عظيم يوصل إلى رضا الرب الكريم جل جلاله ، كما قال بعض السلف : أتيت الله من الأبواب كلها فوجدتها ملأى ؛ فأنته من باب الذل فوجدته خالياً ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يفتخر بفقره لربه ، وبأنه عريق النسب في الفقر إلى الله ، فيقول :

أنا المكذبي وابن المكذبي وهكذا كان أبي وجدّي

إن إظهارك الافتقار لله يستجلب لك رحمة الله وعفوه ، فأنت فقير إلى الله ، والله غني عنك وعن عملك ، وكل ما تعمل من عمل إنما هو لنفع نفسك : ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَنَا يَهْتَدِي لِقِيَوْمٍ وَمَنْ ضَلَّ فَأَنَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ١٠٨] ، فالله سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية ، ولو أن خلقه كلهم أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم ؛ ما زاد ذلك في ملكه شيئاً ، ولو أن أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منهم ؛ ما نقص ذلك من ملكه شيئاً .

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) .

التمرين السادس : استئصال الأورام الخبيثة :

أيها الإخوة .. قد يشرطنُ عيب .. وقد يتجدزُ ذنب .. وقد نتأصلُ عادة .. ولا يُجدي مع هذا أساليب العلاج التقليدية .. إنما هي عملية جراحية قبل دخول رمضان لاستئصال كل عيب .

أحد عشر شهرًا قضيناها في اللعب والتهريج ، لذلك فإن علاج أمراض ومآسي وذنوب ومخالفات وغفلة سبعة أشهر ليس بالأمر السهل ، لأنه من الممكن في هذه الفترة أن يظهر عيبٌ صغير ، ولكن تركه سبعة أشهر كاملة يتسبب في انتشار سرطانٍ في الإيمان .

ومشكلة السرطان أنه يغشى ويستر ويحلأ ما حوله .. فلا بد من الإسراع في معالجة هذه العيوب والذنوب والعادات السيئة ، لتلا تهيح وتقضي على القلب .. وعلاجها ليس تقليدًا بالمهدئات والمكّنات .. لا .. بل نحتاج لاستئصال سريع لإسفاف الحالة الإنسانية .. والاستئصال يعطاب خطرات

ثلاثة :

١ - ممة عالية .. شحذنا بالأعمال :

قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ فِي الشَّرْبِ ، لَنَالَهُ رِجَالٌ»^(١) .

وقال ابن القيم عليه السلام : الوصول إلى المطلوب موقوف على ممة عالية ونية صحيحة .

(١) متفق عليه ، البخاري (٤٦١٥) ، مسلم (٢٥٤٦) .

أحبي في الله ..

الكلام سهل ، والوصف والتوصيف غاية في البساطة ، والوهم قاتل ، والأمانى تفر ، والمحك هو العلم ، فأين الأعمال ؟ ، كثيرًا ما نسمع كلامًا ونحصل على وعود ولا نرى عملاً حقيقياً مؤثراً ، كما قيل : أسمع ضجيجاً ولا أرى طحناً .

كثير من الشباب في غاية الكسل ، لا يعمل ولا يتحرك ثم يشتكي الفتور . . . ويشكو عدم الخشوع ، ويشكو فسوة القلب ، ودواؤه بين يديه ، قم واعمل ، قال سبحانه وتعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيُصَلِّ عَلَيْهِمْ صَليًا وَلَا يَتَّبِعْهُ سُبُوحًا رَبِّهِ لَمَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

إننا وبين يدي رمضان ، نحتاج إلى همة عالية ، نحتاج أن ندخل رمضان بنفسية التحدي ، أكون أو لا أكون . . . وكأني بالصحابي العجيب أنس بن النضر وكان قد غاب عن غزوة بدر ، ونزل قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ هَامُوكُمْ هَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا فِي سُبُلِي الْقَوْمِ الْأَكْفَرِ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَآفَهُ عَقُودٌ رَجِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨] ، قال : والله لئن أشهدني الله مشهدًا ليرين ما أصنع . . . إنني أتعجب من هذه العزيمة . . . أنا في غاية الإعجاب بهذه الكلمة .

أخي الحبيب ..

كم فات في صمرك رمضان ، لم تعتق رقبتك فيه على كثرة الفرص ؟
 كم فات من صمرك رمضان لم تغفر ذنوبك المتقدمة على كثرة الفرص ؟
 كم فات من صمرك رمضان ، ولم تدرك ليلة القدر كما ينبغي على كثرة الفرص ؟

ليتك تصنع كما صنع أنس بن النضر فتقول كما قال : والله لئن بلغني الله رمضان . . . ليرين ما أصنع . . .

ولكن ، القضية كما ذكرت لك سابقاً ليست كلاماً ، إنها تحدّ وقوة وعزم . .
لأننا رأينا من قالها قبل ذلك في أول رمضان ثم نام . . وإنما كانت صادقة من
أنس بن النضر حتى إنه أشهد الله من نفسه البطولة في غزوة أحد بعدها
مباشرة ؛ لأنه انصدع قلبه عندما علم بأجر المجاهدين الذي فاته ، فتحرق قلبه
لنيل هذا الأجر ، فاستعد له قبل دخوله ؛ لذلك فإنني أريدك من الآن وقبل
رمضان أن تستعد وتتهيأ .

فيلزمنا العزم . . والقوة . . والعمل المكثف المستمر . . مع الهمة العالية ،
حتى نبدأ في استئصال الأمراض القلبية التي تفشت مع الغفلة الإيمانية خلال
السنة الماضية ، فالخطوة الأولى أن تكف عن الشكوى ، وتترك الكلام ، وتبدأ
العمل .

٢- لا تستعمل أي مخدر :

إننا نحتاج إلى بداية حقيقية ، دعونا من الخداع ، خداع النفس وخداع
الآخرين ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الْمُسْكِرِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ
وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَاىَ بَرَّاءُونَ النَّاسِ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا نَحِيلًا ۝
مُذَبِّحِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِنَ هَوْلَاءَ وَلَا إِنَ هَوْلَاءَ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾
[النساء : ١٤٢-١٤٣] ، بالمصارحة أقول : دعك من المسكنات ، ودعك من حقن
التخدير ، وأطباء التخدير الذي يصفون العلاج المؤقت ويعالجون بالوهم .

إننا حين نريد أن نستقبل رمضان بنفسية التحدي التي اتفقنا عليها سابقاً -
أكون أو لا أكون - لا يصلح أن أقول لك : تدرّج في العبادات ، في الصيام
والقيام والذكر وتلاوة القرآن ؛ فإن هذا الكلام لا يصلح اليوم ، إنما يصلح في
الأوقات العادية حينما يكون هناك متسع من الوقت ، أما الآن وفي الاستعداد
لرمضان . . ابدأ فوراً . . لا تستعمل المسكنات ، ولا ترضى بالتخدير ، وتحمل

الم البتر، بتر البطالة والكسل، بتر الغفلة واللغو واللعب، بتر الأمانى والخداع والجهل، بتر كل الأمراض ليصبح الإيمان.. ابدا فوراً.

٣- ابدا العملية الجراحية فوراً:

فوراً.. فوراً.. لا تسويف.. لك أسوة في أنعمتك من الرسل والأنبياء، انظر إلى سيدنا موسى عليه السلام كما جاء في الحديث: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يَرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَنْ ثَوَّرَ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآن؟^(١). نعم إن كان الموت لا بد منه فالآن.. عزيمة ماضية.

وكذلك سيدنا النبي محمد ﷺ، لما خير بين مفاتيح خزائن الأرض والخلد فيها وبين ما عند الله، اختار ما عند الله.

ولما استعد ﷺ للخروج إلى غزوة أحد ثم حاول بعض الصحابة أن يقتلوه بالمكث في المدينة، قال: «مَا كَانَ لِنَبِيِّ يُبْسَ لَأَمَّةٍ لِلْحَرْبِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَفْصَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ»^(٢).

في الاستعداد لرمضان، لبست لأمة الحرب وبدأت الاستعداد؛ فابدا فوراً بدون تسويف وبدون تأجيل، لا تقل: سأحاول، قل: قررت، لا تقل شيئاً، ابدا فعلاً في التخلص من أمراضك القلبية ومعاصيك الظاهرة والباطنة، التخلص من الغفلة والجهل، التخلص من كل ما يحرمك من رضا الله ويحول بينك وبين دخول الجنة.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣٥١/٣)، وصححه الألباني (١١٠٠) في «السلسلة الصحيحة».

لا بد من استعداد حقيقي ، استعداد عملي قبل رمضان ، لا بد من تمارين العزيمة .

ليلة تصلي فيها ركعة بخمسة أجزاء كما فعل النبي ﷺ حين صلى في ركعة بالبقرة والنساء وآل عمران .

ليلة تقول : هذه ليلة الركوع ، فيطول فيه التسييح والتعلق وتعظيم الرب .

ليلة تقول : هذه ليلة السجود ، وتنقضي الليلة في سجود طويل ينسم بالذل والبكاء والخوف والرجاء . .

ليلة تقوم الليل كله بآية واحدة ترددها وتبكي وتتوسل بها حتى الصباح .

وهكذا تمارين ، يوم للتسيح ، ويوم للتهليل ، ويوم للصلاة على النبي ﷺ ، وتمارين سرد الصيام ووصال ليلة إلى السحر . . تمارين ، وهكذا أخي الحبيب ابدأ تمارين العزيمة والهمة ، استعن بالله ولا تعجز ، واعلم أن النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وأن بعد العسر يسراً .

التمرين الثامن : ترويض الحواس :

وذلك بأن تعود حواسك على الطاعة ، فتعود عينك على النظر في المصحف ، وتمنعها من النظر إلى المتبرجات ، تعود أذنك على سماع القرآن ، على سماع العلم ، وتمنعها من سماع الأغاني والمسلسلات والكذب والفحش والزور ، تعود لسانك على إيمان الذكر والإكثار منه ، تعود على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تروضه أن يقول الصدق ، وأن يذلل النصيحة للمؤمنين ؛ لأن هذه الحواس إنما هي منافذ للقلب ، فالعين توصل إليه النظرات ، والأذن توصل إليه الكلمات ، واللسان يوصل إليه السيئات ، والإنسان مسئول عن جوارحه وحواسه هذه يوم القيامة قال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّعَ

عينك وأستحضر أنني واقف أمام الله ، ﴿وَلَمْ يَكُنْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (الرحمن: ٤٦) . . وأستحضر عظمة الله ، فيتزعج القلب ويفزع ، فيخاف ويخشع ، والعلماء يقولون : الخشوع في العبادات قبل الشروع فيها ؛ سبب للخشوع فيها ، قال رسول الله ﷺ : « إذا أقبمت الصلاة ، فلا تأتوها تسعون ، ولكن اتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فاتموا »^(١) ، وفي الرواية الأخرى : « إذا أتيت الصلاة اتوها بسكينة ووقار » ، **قال ابن حجر في شرح هذا الحديث** : يستفاد منه أنه يعتمد للسير إلى الصلاة ما يعتمد في الصلاة . . كما يأتي المدد على قدر حضور القلب واستجماع الفكر والتركيز في العمل .

فلا بد أخي الحبيب من فهم قضية الصيام والحكمة من ، واستشعار اللذة ، خذ مثلاً للاستحضار الذهني من الآن مشهد إنسان قبل الأذان بدقيقة أو دقيقتين ، هو في غاية الجوع والعطش والضعف والخور ، وأمامه وبين يديه ملك يمينه جميع أنواع الأطعمة والمشروبات ، ولا يرضى ولا يقبل أن يمد يده ليشرب أو يأكل ، وإن قيل له : ما الفرق بين الآن وبعد دقيقتين ؟

إن الاستحضار الذهني لهذا المشهد يجيبك أن الفرق كبير جداً جداً ، وعظيم مجمله كلمة واحدة : حتى يأتي الإذن من الله .

إن الاستحضار الذهني لهذا المعنى هو الصيام ، لا مجرد الترك ، فافهم وجرب وقاوم وأنت في فترة الاستعداد .

التمرين المباشر : لزوم جناب الاحتشام ودوام الإطراق :

من أنت ؟ ، هل تعرف نفسك ؟ ، هل تعرف قدرك ؟ ، هل تعرف

(١) متفق عليه ، البخاري (٦٠٩) ، مسلم (٦٠٣) .

وضمك؟، اسمع معي هذا الحديث ثم قرر، قال رسول الله ﷺ: «أذن لي أن أحدث عن ديك، قد مرقت رجلاه من الأرض، وحنته مُتْنِي تحت العرش يُسَبِّحُ الله فيقول: سبحانك ما أعظمك!، فيقول الله عز وجل: ما علم بهذا من حلف بي كاذباً»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة ما أسري بي جبريل وهو على هيئة، له ستمائة جناح كل جناح يسد الأفق»^(٢)، تأمل معي هذه المخلوقات خُلِقَ من خلق الله، وما بالك بالكواكب والنجوم والسموات والأرضين.

إن هذا التأمل يجعل الإنسان يتصاغر فيلزم الاحتشام ويديم الإطراق ولا يجرؤ على رفع رأسه، من أنت؟!، وماذا أنت؟!

ثم تسمع قول الله عز وجل وفي وسط آيات الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، إن استشعار هذا المعنى في الصيام خصوصاً في غاية الأهمية؛ لأن الصيام سر بين العبد وربّه، فيحتاج إلى دوام المراقبة، ومع دوام المراقبة نصل إلى المعنى الأعظم، وهو استشعار المعية، فيطرق الإنسان حياءً ويحتشم خجلاً، وخصوصاً حال ذكر الله، قال ربنا سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»^(٣)، وأيضاً: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»^(٤)، وقال سبحانه في كتابه العزيز: ﴿تَذَكَّرُونَ الْأَكْثَرُ كُنْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ولما علت أصوات الصحابة بالتيب قال رسول الله ﷺ: «إنكم

(١) أخرجه الحاكم (٣٣٠/٤)، وصححه الألباني (١٥٠) في «السلطة الصحيحة».

(٢) أخرجه أحمد (٤٦٠/١)، وصححه الألباني (٣٤٦٤) في «صحيح الجامع».

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣٦/٦).

(٤) متفق عليه، البخاري (٦٩٧٠)، مسلم (٢٦٧٥).

لا تدعون أضْمَ ولا غائبًا ؛ إنكم تدعون سميًّا قريبًا ، أقرب إلى أحدكم من حق راحته ^(١) .

إنني أريد أن تنزل النصوص السابقة على قلبك دواء نقطة نقطة ، لعلاج الأمراض القلبية الخطيرة ، قبل دخول رمضان مثل : الكبر ، والعجب ، والفِرور ، ورؤية النفس ، والتعالي على الآخرين ، والأنانية وحُب الذات ، والأثرة ، والافتخار ، والنن ، والتألي .

قال ابن الجوزي - عليه رحمة الله : «تضاعف ما أمكنك ؛ فإن اللطف مع الضعف أكثر» .

أنت تحتاج إلى لطف الله بك ليعافيك ويعينك ، فأظهر ضعفك وانكسارك ولا تسمع بأنفك فيعرض عنك فتخسر الدنيا والآخرة .

التحريم العاشر : ملاحظة المنة :

قال ابن القيم - عليه رحمة الله : «والعبد يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ، ومطالعة عيب النفس والعمل» .

وأنت تتعمرن على الطاعات استعدادًا لرمضان ؛ ينبغي أيضًا أن تلاحظ فضل الله عليك لنوالك شرف الطاعة والتوفيق لها . . ملاحظة المنة لنوالك شرف القيام بين يدي الله . . لنوالك شرف ذكره . . وكرامة ورود كلماته على لسانك . . لنوالك شرف جريان العبادة على جوارحك رغم كثرة معاصيك . . أدخلك بيته ومنَّ عليك بالحج والعمرة ، وعافاك وقواك . . وسمح لك وهو العظيم ، وزاد فضله عليك فاخترارك واصطفاك ؛ على الرغم من عدم استحقاقك . .

إذا استشعرت أنه سبحانه الأول الذي يتبدأ من عنده الخير والرحمة ؛ فهو

(١) متفق عليه ، البخاري (٢٨٣٠) ، مسلم (٢٧٠٤) .

المعد وهو المحمد ، فبدابة طاعتك من الله ونهايتها إلى الله ، قال سبحانه : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيُتُوبُوا﴾ [التوبة : ١١٨] ، وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَسْلُمُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُقْبَلُ تَوْبَتُهُمْ عَنْ عِبَادِهِمْ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَتِمْ وَالَّذِينَ لَا يَرْجِعُوا قُلُوبُهُمْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة : ١٠٤-١٠٥] .

وقال عز وجل : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد : ٣] ، وأنت تعيش بين هذين الاسمين الأول والآخر . . استمع ذلك حتى يحدث لك التبري من الحول والقوة ، وعندئذ لا ترى عمالك ، وإنما ترى فقط أن الكريم سبحانه هو الذي من عليك وشغلك بطاعته . . وأكرمك عنده . . اللهم أكرمنا ولا تنها ، وآثرنا ولا تؤثر علينا .

ملاحظة الحنة تظهر لقلب من رؤية العمل ، وحفظ النفس ، والرياء والسمعة . . اللهم ارزقنا شكر نعمتك وحسن عبادتك . . اللهم إنا نحمدك حمدا كثيرا يوافي نعمتك ويكافئ مزيذك .

التعريف الثاني عشر : مهلة لمط الحياة :

تخفيف سرعة حركة الحياة تمهيدا للتوقف في رمضان ، والتخفيف من أعباء الدنيا ومحاولة إزالة همومها العارضة ، والحلر من الانشغال بها وتلهي بها عن طاعة الله ، فلا بد من روية . . لا بد من دقة في التوفيق بين أعمال الآخرة التي هي خير وأبقى وبين أعمال الدنيا التي هي ذاهبة زائلة .

إننا نعيش في هذا الزمان حياة مليئة بالحركة والسرعة ، فعلا نعيش في هذه الأيام سرعة التغيير ودوام التغيير ومفاجأة التغيير ، فلا توجد فرصة حقيقية للإنسان للتفكير قبل التغيير ، وهذه أكبر أخطار هذا العصر ؛ لذلك قبل رمضان نحتاج أن يمهل الإنسان نفسه ، يعطي نفسه فرصة للهدوء الذهني والقلبي ، فرصة لمراجعة

نمط الحياة ، و تهدئة هذه السرعة ، ليحصل التروّي والتعقل في أخذ القرار بإيثار الآخرة على الدنيا فيكون الاستمرار لأن القرارات السريعة تتغير بنفس السرعة .
 هيا أيها الحبيب .. الهدوء .. الهدوء .. السكينة .. السكينة .

أيها الإخوة ..

هيا استعدوا لرمضان ولا يكن حظكم منه الخسران والمخذلان ، يا أيها المجتهد ، هذا ربيع جنك ، أيها الطالب هذه أوقات رفدك ، تيقظ أيها الغافل من سيئة البطالة ، تحفظ أيها الجاهل من شبة الضلالة ، اغتم سلامتك في شهرك ، قبل أن تُرثَنَ في قبرك ، قبل انقضاء مدتك ، وعدم عدتك ، وانقطاع صوتك ، وعثور قدمك ، وظهور ندمك ؛ فإن العمر ساعات تذهب وأوقات تنهب ، وكلها معدودة عليك ، والموت يدنو كل لحظة منك .

يا غيوم الغفلة عن القلوب تقضي ، يا شمس التقوى والإيمان اطلعي ،
 يا صحائف أعمال الصائمين ارتقي ، يا قلوب الصائمين اخشي ، يا أقدام المتجهدين اسجدي لربك واركعي ، يا عيون المتجهدين لا تهجمي ، يا ذنوب التائبين لا ترجعي ، يا أرض الهوى ابلعي ماءك ، ويا سماء النفوس أقلعي ،
 يا بروق الأنوار للعشاق المعى ، يا خواطر العارفين ارتقي ، يا همم المحبين بغير الله لا تقضي ، قد مدت في هذه الأيام موائد الإنعام للصُوم ؛ فما منكم إلا قد دُعي ، ويا همم المؤمنين أسرعي ، فطوبى لمن أجاب فأصاب ، وويل لمن طرد عن الباب وما دُعي .

﴿ يَنْقُومَاتُ لَيِّبُوا ذَايَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ . يَفْزِرْ لِحُكْمِهِ مِنْ دُونِهِمْ وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْ ذَلِكَ فَلْيُكْفِرْ بِهِ ۚ وَمَنْ لَا يُحِبَّ ذَايَ اللَّهِ فَلْيَسَّ بِمُخْرِجِي الْأَرْضِ وَلْيَسَّ لَهُ مِنْ دُونِهِ أُولِيَاءُ ۚ أُولَئِكَ فِي عَذَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأحزاب : ٣١-٣٢] ،

اللهم أعنا ووفقنا للإعداد لرمضان .. بحولك وقوتك يا كريم .



كَيْفَ

لَسْتُمْ قَبْلَ امْرِضَاتِكُمْ

حَفَاوَةُ اللَّهِ تَعَالَى

مَنْ كُنْتَ لَهُ بِدَايَةٌ مُخْرِقَةٌ..
كُنْتَ لَهُ نِهَآيَةٌ مُشْرِقَةٌ

استقبال رمضان

«الوصايا العشر قبل دخول الشهر»

قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ أَكْثَرَ فليُصِمَّ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، أمر الحملك سبحانه أن من شهد فليعمل ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « لا نجعل يوم صومك كيوم فطرك ، لا نجعلهما سواء » ، لا بد من التغيير .

إنه بمجرد ظهور هلال رمضان في السماء تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتصفد الشياطين وينادي المنادي .

سبحان الملك ، تغير جذري عجيب في الكون كله ، يجب أن يستشعره المؤمن صاحب العقل البقظ والقلب الحي ، ويحصل منه استقبال لهذا الشهر ، استقبالا حقيقيا ، فيظهر أثر ذلك الاستقبال في تغيير نمط الحياة ؛ لأنه يتعامل مع الكون ، فإذا تغير الكون يجب أن يتغير هو أيضا ؛ لذلك أول ما نستقبل به الشهر :

فكُ الشد العصبي في الجراك مع الحياة لتحصل المصالحة . .

لا بد من عقد هدنة بين جميع الأطراف خلال هذا الشهر لنصل إلى الهدف المنشود بسلام : العتق من النار ، فإليك هذه الوصايا العشر ، اعمل بها يرحمك الله .

لوصية الأولى : هدنة مع المناقشات والجدال :

في المنزل مع الزوجة والأولاد ، وفي بيتة رمضانية إيمانية ، قال سبحانه : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَهْلًا﴾ [الحمل: ٨٠] ، ويكون ذلك بما يلي :

(١) محاربة ففس جميع المشاكل والمتازعات قبل دخول الشهر ، حتى لا تعكر عليك جوك الإيمان ، وحتى لا تعرقل طاعتك التي تريد القيام بها ، لابد أن تتخلص من هذه المشكلات وأن تضع لها حلولاً جذرية حتى لا تؤثر على عبادتك .

(٢) إجراء محاضر صلح بين أفراد الأسرة جميعاً ، فتتقي البيئة من حولك من شائبة الاختلافات والخصومات ، واعمل على أن توجد جواً من المحبة والتواد والتقارب بين أفراد الأسرة ؛ فإن ذلك مما يسر السبيل أن يطيعوك ويطيعوا ربهم سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

(٣) عقد اجتماع طارئ وعاجل مع جميع أفراد الأسرة للاتفاق على المبادئ والأصول التي سيتم السير في ظلها خلال شهر رمضان ، ومن هذه المبادئ :

- التخلي عن التلفاز ومشاهدته ، وإقناعهم أنهم لن يخسروا شيئاً إذا فعلوا ، وتعالوا نجرب أن نستبدل ذلك بأعمال إيمانية وقربات نافعة .

- إيقاف سيول الأغاني الجارفة التي تقتل الإيمان .

- ضبط اللسان والحذر من انحرافه إلى ما يغضب الله .

- إلغاء السهرات والمزومات والدعوات أو التقليل منها ، قدر الإمكان

(٤) اتخاذ السبل الجادة لإنقاذ جميع أفراد الأسرة من النار ، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم : ٦] ، قال ابن عباس رضي الله عنه : أي علموهم الخير وأدبوهم .

الوصية الثانية : إقامة هدنة في العمل مع الزملاء والمسؤولين :

وذلك يكون بالتجاوز عن الخصومات ومصالحه الجميع ونسيان الخلافات ،

والبدء بصفحة نقية بيضاء ، لا نريد زوينة المشاكل في العمل ، ولا نريد الانشغال بقيل وقال ، لا نريد ضياع الأوقات في فضول الكلام ، ولا بد من الإصلاح بين المتخاصمين والوصول إلى حل وسط لإرضاء جميع الأطراف في غير معصية الله ، قال تعالى : ﴿فَاذْكُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] .

نريد أن يكون تعاملك مع زملائك في العمل مبنياً على حصول المكاسب لك في الدين ، وإن خسرت الدنيا ، ولا بد كذلك من إتقان العمل وإحسانه لاسيما وأنت صائم تراقب الملك سبحانه ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه »^(١) .

القوصية الثالثة : إقامة هدنة مع نفسك للتخلص من سموم القلب :

وسموم القلب خمسة : فضول الطعام ، فضول الكلام ، فضول النوم ، فضول الاختلاط ، فضول النظر .

١ - هدنة مع الأكل ، إنه شهر صيام ونقل لا شهر أكل وبهم ونوس :

الطعام وقود الشهوات ، وامتلاء المعدة بالطعام سبب لكسل البدن عن العبادة ، وإذا أكل المرء كثيراً شرب كثيراً ، فنام كثيراً وخسر كثيراً ، وتأمل كيف أن النبي ﷺ أمر الشاب الغريب بالصيام ؛ وعلل ذلك بأن الصيام « وجاء » أي قاطع للشهوة ، يقضي عليها ويهذبها ، وقد علمنا النبي ﷺ فقه الطعام فقال : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا بد فاحلاً ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »^(٢) ، نريد

(١) أخرجه أبو يعلى والطبراني في « الكبير » (٣٠٦/٢٤) ، وصححه الألباني (١٨٨٠) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١١١/٢) ، وصححه الألباني (١٩٨٣) في « صحيح إرواء الغليل » .

هدنة مع الأكل ، قال سبحانه : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْلُقُوا فِيهِ فَيَجِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْمِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوِيَ﴾ [طه: ٨١] ، اكتف بليقيات كما أمرت .

٢- هدنة مع الكلام : رجاء .. اخلق لك في رمضان :

قال رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو ليصمت»^(١) ، كل كلمة تخرج من فمك فهي إما ثواب وإما عقاب ، قال الله جل جلاله : ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِينٌ﴾ [ق: ١٨] ، وكثرة الكلام مدعاة للخطأ .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «من صمت نجماً»^(٢) ، وقد جعل الله لك لساناً واحداً وأذنين ليكون ما تسمع أكثر مما تتكلم ، والبلاء موكلٌ بالنطق ، فاحذر فضول الكلام ، واحذر الاسترسال في الحديث عن الدنيا فإن ذلك يقسي القلب ، وإن استطعت ألا ترد على الهاتف إلا لأمر ضروري فافعل ، وأن تأمر زوجتك بالتوقف عن المكالمات التي تمتد لساعات بلا فائدة ، والتي تضيع الوقت ، وعادة ما تؤدي إما إلى الحديث في أمور الدنيا ، وإما في الغيبة والنميمة فهكذا أحاديث النساء دائماً .

فلا تستخدم الهاتف إلا لطاعة الله كأن تبر والدتك أو تصل رحمتك أو تنهي أعمالاً مهمة أو تدل على خير ، وألجم لسانك عن قول ما لا يرضي الله عز وجل ، وقد مثل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار قال : «الغم والفرج»^(٣) .

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٦٧٢) ، مسلم (٤٧) .

(٢) أخرجه أحمد (١٥٩/٢) ، وصححه الألباني (٥٣٦) في «السلطة الصحيحة» .

(٣) أخرجه أحمد (٣٩٢/٢) ، وصححه الألباني (١٧٢٣) في «صحيح الترغيب والترهيب» .

وهما أيضًا سبب لدخول الجنة ، فقد قال رسول الله ﷺ : « من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة »^(١) ، وهذا يدل على خطر اللسان وخطر كل ما يخرج منه .

الثامن إخوتاه : لابد أن تتخلص من فضول الكلام ؛ فإنه من سموم القلب ، واستقبل رمضان بالصوم أيضًا عن الكلام .

٣- هدية مع السرير . . . ده يستريح منك شهرًا :

النوم نعمة من الله على عباده ، لكنها إذا تعدت حد الإفراط أفسدت القلب ، سيأتي معنا في برنامج الصائم اليومي أنه يكفيك أن تنام أربع ساعات في اليوم في رمضان ؛ لأنك تطلب شيئًا عظيمًا ، بل تطلب أعظم شيء وهو جنة الله ، اللهم إنا نسألك الجنة يارب ، فلا بد أن تقلل من ساعات نومك ؛ لأنك في حالة طوارئ ، تعب في تحصيل غاية كبيرة ، بل هي أكبر غاية ، فاحذر كثرة النوم حتى لا يضع عمرك ويضيع دينك وقلبك .

كلما حدثتك نفسك بالنوم والتكاسل عن العبادة ، أغمض عينيك وتخيل الجنة ، وقل لنفسك : أترضين أن نخسر الجنة ؟ ، أتنامين وهناك من سبقنا الآن إليها ، أما علمت أن فلانًا يتلو القرآن الآن ، وفلانًا يصلي من الليل الآن ، فماذا سيفيدك النوم إذا سبقك هؤلاء إلى الجنة بدرجات !!

لذلك أنصحك - أخي - أن تجعل لك صديقًا مخلصًا ذاهمة عالية تتنافس معه في العبادات ، تتنافسان من يختم القرآن أولًا وكم مرة ، تتنافسان على قيام الليل ، وعلى ذكر الله ، ويوقف كل منكما الآخر فإن ذلك يجلب لك همة ونشاطًا ، قال الله تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦] .

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٩) .

٤- هذنة مع الناس .. أنفاس الناس دخان القلوب :

ومخالطة الناس بلاء ، قال بعض السلف : هذا أوان السكوت ولزوم البيوت .

إن الناس يشيطونك ويخذلونك عن الطاعة ، وقلما تجد منهم ناصحاً أميناً ، فاحذر مخالطة أهل الدنيا ، فإن خلائق السفهاء تُعدي ، وكما يقول علماء الترية : « الطَّبَاعُ سَرَّاقَةٌ » و« الإنسان ابن بيته » ، فإن كان لابد من مخالطة فلتكن بسيرة ، ولتكن بالصالحين ، وعليك بذوي الهمم العالية منهم ، من إذا دلتك على خير سبقك إليه لا يشبطك عنه . ابحث عن تعلم أن همت في الثريا وليست في الثرى .

وقد أمر رسول الله ﷺ بأن يصبر نفسه مع المؤمنين المجدين في السير إلى الله ؛ فقال الله تعالى : « وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدُ حِينَئِذٍ هَنًّا وَلَا حَزَنًا فَرِحْتَ بِأَمْرِ رَبِّكَ » [البقرة: ١٧٧] ، ثم أمره تعالى بأن يجتنب مخالطة الغافلين وطاعتهم فقال : « وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا » [الكهف: ٢٨] ، وقد حذرنا ربنا عز وجل كذلك من الركون إلى الظلمة ومخالطتهم ، وهذا يشمل العصاة المجاهرين بالعصيان كذلك ، فرؤيتهم تقسي القلوب ، كما أن رؤية الصالحين تذكر بالله ، قال تعالى : « وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ » [هود: ١١٣] .

٥- هذنة مع العيين .. اخمض عينيك .. ارح بصرك :

قال تعالى : « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَشُونًا مِّنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ » [النور: ٣٠] ، وفي الآية التي تليها مباشرة : « وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَنْضَعْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ » [النور: ٣١] ، والنظر إلى المتبرجات يفتت عزم القلب .. يشتت القلب ويهلكه لأنه سم ، وإطلاق البصر سبيل لحصول الظلمة في القلب ، كما

أن غرض البصر سبيل لحصول النور والبصيرة في القلب ، ولذا جاءت آيات النور بعد آيات الأمر بغض البصر ، وليس غرض البصر عن النساء فقط ، وإنما كذلك غرضه عن النظر إلى متاع الدنيا الذي يُنسى ويُلهي ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْشَنَّهُمْ فِيهِ وَوَقَدْ رَزَقَكَ خَيْرٌ وَأَبْغَىٰ﴾ [طه : ١٣١] .

لا بد من راحة للبصر لكي تنطلق البصيرة ، وسبيل ذلك أن يسلك بيتك ولا تنطلق في الشوارع ، اشغل نفسك ببعض الطاعات : لا تجد وقتاً للخروج ، واشغل بصرك بالنظر في المصحف ، لا ترى أحداً .

الوصية الرابعة : عمل هدنة مع الأرحام والوالدين :

إن شعورك - مجرد شعورك - أن كل الناس يحبونك ويعجبون بك ، مجرد شعور أنك ليس لك أعداء ولا أحد يحقد عليك . هذا الشعور بمجردة يجلب راحة نفسية وهدوءاً قلوباً وراحة ضمير ، وراحة بال مطلوبة يحتاج الإنسان إليها .

وأنت أخرج لأن تستشعر هذا الأمر من المحيطين بك ، وأقرب الناس إليك ، أن ترى رضاهم عنك وسرورهم بك وحبهم لك ، إننا نطلب هذا لا لنعجب بأنفسنا ولا طلباً لراحة قلوبنا فقط وهدوتنا النفسي فحسب ولكن : نستطيع أن نجمع الهم ويسكن روع القلب ، كي نعبد ربنا كما ينبغي . . إن الأجواء الإيمانية تتسم بالهدوء والسكينة واللطف . . والاستقبال رمضان كما ينبغي لا بد من نهضة هذه الأجواء ، ولكن كيف ؟ . .

الإحسان إلى الجميع . . إراحة الجميع . . ولو على حساب نفسك . . مسامحة الكل والتنازل عن الحقوق ، وأداء جميع الواجبات تجاه الجميع ، ابذل كل ما تستطيع لعقد هدنة مع كل من حولك من الأقارب .

طاعة الوالدين فرض واجب ما لم يأمر بمعصية الله، فيجب عليك طاعتها والإحسان إليهما والبر بهما، ولا بد أن تصل رحمك وأن تحذر من قطع الأرحام، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَلُونَهُ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، يعني واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الرحم، حتى إذا قرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك، قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك»^(١)، ومن وصل رحمه وصله الله ومن قطعها قطعه الله؛ لذلك لا بد من زيارة الأرحام والسؤال عنهم ومساعدتهم إذا استدعى الأمر، كي يصلك الله برحمته في هذا الشهر الكريم، فابدأ شهرك بصلة رحمك، قال سبحانه: ﴿وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلَ وَلَا بُدَّرَ بُذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦] فلهؤلاء حق وليس تفضلاً منك يا مسلم.

وإذا كان حق المسلم على المسلم ست؛ فإن ذا الرحم يزداد حقه على ذلك بصفة الرحم، والوالدان حقهما أعظم، ولا بأس من حمل شيء من الهدايا، والهدية تذهب وتخز الصدر، الهدية تكون سبباً في المودة، قال رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا»^(٢).

الوصية الخامسة: حمل هدنة مع النفس لترك الذنوب والمعاصي والسيئات:

(١) هدنة في الحرب مع الله:

قال سبحانه: ﴿يُنَازِلُكُمْ دُودُ اللَّهِ فَلَا تَمْدُدُّوهُا وَمَنْ يَمْدُدْهَُا فَقَدْ جَاءَ لِقَاءَ رَبِّهِ هُمْ

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٢).

(٢) أخرجه البيهقي (١٦٩/٦)، وحنه الألباني (٣٠٠٤) في «صحيح الجامع».

أَفْطِرُكُمْ ﴿ [البقرة: ٢٢٩] ، حاول أن تعقد اتفاقاً مع نفسك لكي تكف عن الحرب بترك الذنوب والمعاصي تماماً . . ابدأ فوراً بإقامة العهد مع النفس بالإقلاع عن الذنوب ، والتوبة إلى الله جل جلاله .

ولابد أن تكون هذه التوبة نصوحاً ، بأن تكون شاملة لكل الذنوب ، وأن تقدم على كل ما عملت ، وأن تعزم وتتوي ألا ترجع إليها مرة أخرى . والتوبة واجبة من كل ذنب ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ قُرْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحریم: ٨] ، وتأمل كيف أمر الله المؤمنين جميعاً بالتوبة وعلق عليها فلاحهم فقال تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [التوبة: ٣١] .

لا بد أن تعاهد نفسك على ترك المعاصي والسيئات ، لا بد أن تتوب ، وإن لم تب فأنت ظالم بنص كلام الله جل جلاله ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [الحجرات: ١١] ، ولا بد أن تخلص من إصرار النفس على الذنوب ، فإن الإصرار على الذنب ذنب آخر .

(٢) البعد عن أسباب المعاصي ، فلا بد أن تغلق باب المعصية عن نفسك ، ابتعد عن أماكن الاختلاط ، ابتعد عن التلفاز ، ابتعد عن قراءة المجلات والجرائد التي تدعو إلى الفتن ، ابتعد عن كل سبب من أسباب المعاصي ، حتى تحافظ على إيمانك ، فإن للمعصية ظلمة في القلب وسواداً في الوجه ويغضاً في قلوب الخلق .

لماذا تضع نفسك بين الفتن ثم تحارب لتنجو منها .

ولماذا تقترب من أسباب المعصية مع علمك بأن أسلم طريقة للنجاة من الفتن البعد عنها ؟ ، وأنت تعرف حديث قاتل المئة كيف أمره رسول الله ﷺ بترك أرضه التي كان يعيش فيها ، لأنها أرض سوء . . أسباب المعصية فيها

متوفرة ، وأمره أن يذهب إلى أرض كذا وكذا ؛ لأن فيها قومًا صالحين ليعبد الله معهم ، فأمره بالبعد عن سبب المعصية ، والاقتراب من سبب الطاعة .

(٣) العزم على عدم العودة ؛ أن تنوي نية حقيقية صادقة ألا تعود إلى الذنب ؛ لأن في الرجوع إلى الذنب هلاكك ؛ لأنه قد يكون في رجوعك إليه سقوطك من عين الله . . . إنك إذا رجعت إلى الذنب قد تمرت عليه فتلقى الله عاصيًا ، فانفض إلى طاعة ربك واتبع البشائر الحسانات ، ولا تلتفت بقلبك إلى الذنب ، واحذر أن تقع فيه ؛ بل اهزم على عدم العودة إليه أبدًا .

الوصية السادسة : هدنة مع طول الغياب خارج المنزل وكثرة الارتباطات

والمواعيد واللقاءات :

ابدأ في التقليل من الخروج وكثرة الارتباطات والمواعيد واللقاءات . . . تفرغ في رمضان لعبادة ربك ، لمعالجة نفسك والعمل على تهذيبها ، أنت في فترة عناية مركزة للقلب ، لماذا تكثر الخروج من البيت ؟ ، تشتري كذا وتزور فلانًا وتكلم فلانًا ، يمكنك أن تشتري حاجيات رمضان قبل دخوله حتى لا تشغل بغير العبادة ، يمكنك أن تشتري ملابس العيد قبل دخول رمضان وتركها حتى العيد ، الأشياء الأخرى التي تريدها في العيد اشتريها من الآن .

سأل عقبة بن عامر رسول الله ﷺ عن النجاة فقال : « أمسك عليك لسانك ، ولبسك بيتك ، وابك على خطيئتك »^(١) . . .

الوصية السابعة : هدنة مع كثرة النفقات والتبذير :

شُرِع الصيام للتقليل من الطعام والشراب ؛ ولكن للأسف الشديد ! تجد الناس ينفقون في الطعام والشراب في رمضان ما لا ينفقون في غيره !! والتبذير

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٦) ، وصححه الألباني (٢٧٤١) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

ليس من أخلاق المؤمنين ، بل هو من صفات الشياطين ، قال تعالى : ﴿وَلَا يُذِخِرُ تَزْيِيرًا ۝ إِنَّ الْمُهَيِّدِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِمْ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧] ، وقد أمرنا ربنا بالاعتدال في الإتفاق وحرمة التبذير فقال : ﴿وَلَا تَجْمَلْ بِدَكَ مَقْلُوبَةً إِلَّا صُفِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] ، **ويمكن أن تنفق مع الأسرة على أمور :**

(١) الاتفاق على صدقة :

والصدقة برهان على صدق المرء في إيمانه ، قال رسول الله ﷺ : «الصدقة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(١) ، فاتفق على أن تصدق كل يوم ولو بشيء قليل ؛ فإن الله يضاعفه ، قال رسول الله ﷺ : «إن الله يقبل الصدقة من أحدكم فيربها له كما يربي أحدكم مهره حتى تكون اللقمة مثل الجبل»^(٢) ، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها لما سألها رسول الله ﷺ : «ما بقي من الشاة؟» ، قالت : كنفها ، قال ﷺ : «بقيت كلها إلا كنفها»^(٣) ، تصدق أنت مرة ، وأعط زوجتك هي الأخرى ، وأعط ولدك يتصدق ؛ لكي يتعود على العطاء والبذل ، والله يضاعف لمن يشاء .

(٢) إفتار الصائمين :

اجتهد أن تُفطر صائماً أو صائمين أو ثلاثة أو عشرة كل يوم قدر استطاعتك ؛ فإن لك مثل أجره كل يوم ، قال رسول الله ﷺ : «من فطر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء»^(٤) ، أبرم مع الله عقد

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) . (٢) أخرجه مسلم (١٠١٤) .

(٣) أخرجه أحمد (٥٠/٦) ، وصححه الألباني (٢٥٤٤) في «السلسلة الصحيحة» .

(٤) أخرجه أحمد (١١٤/٤) ، وصححه الألباني (٦٤١٥) في «صحيح الجامع» .

تأمين على الصيام ، هل تريد أن يكتب لك رمضان ستمائة يوم ؟ ، الأمر يسير جداً ، ما عليك إلا أن تفطر كل يوم عشرين صائماً فتكون في خلال ثلاثين يوماً قد فطرت ستمائة صائم ؟ فكتب لك رمضان ستمائة يوم .

٣- إطعام المساكين :

قال الله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] ، وإطعام الطعام قربة يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى ، قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام »^(١) ، وكان ابن عمر رضيهما الله عنهما يفطر كل يوم مع المساكين .

٤- مساعدة المحتاجين :

ثريد ضالاً ، تعين ضعيفاً في طلب حقه ، توازر مسكيناً ، تنصر مظلوماً ، من احتاج شيئاً تثبته له . ذهب جماعة إلى الحسن البصري في حاجة فقال : مروا على فلان في المسجد وخذوه معكم ، فذهبوا إليه فقال : إني معتكف ، فقال : ارجعوا وقولوا له : يا أعمش ، أما علمت أن مشيك في حاجة أخيك حتى تثبتها له خير من اعتكافك ، وقال رسول الله ﷺ : « واللَّهُ في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه »^(٢) .

الوصية الثامنة : هدنة مع العقول والقلوب من التفكير والتدبير للدنيا :

الدنيا لا تستحق أن تفكر فيها ، الدنيا أهون من ذلك ، وأحقر من أن تشغل بها وتدبر لها ؛ لذلك اجعل تفكيرك كله في الآخرة :

(١) أخرجه أحمد (٤٥١/٥) ، وصححه الألباني (٥٦٩) في «السلسلة الصحيحة» .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) .

(١) فكر في حسنة جديدة تعملها ، ابحث عن عبادة مهجورة لتقوم بها ، ابحث عن ذكر مهجور لا يقوله كثير من الناس أو لم تقله أبداً واذكر الله به ، فكر كيف تجمع الحسنات وتُدخِر الأجر عند الله جل جلاله .

(٢) فكر في خدمة المسلمين كيف تخدمهم ، كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين يحلب للحبي شياههم ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذهب إلى عجوز مُقعّدة ضعيفة ليخدمها ، فوجد أن رجلاً سبقه إليها قد نظف بينها وأزال عنها الأذى وملا لها أنيتها ؛ فتعجب من هذا الذي سبقه إليها وقام بهذا فوجد أنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه !! كانوا يتسابقون في خدمة المسلمين وبذل الخير لهم .

(٣) التفكير في خدمة الدين : تفكر كيف تخدم دينك ، وكيف تبذل في سبيله ، تعطي شريطاً هدية ، تقوم بإلقاء موعظة ، تهدي كتيباً ، تدعو رجلاً لترك التدخين ، وتدعو آخر للمحافظة على الصلوات ، تقوم بعمل مجلة حائط ، تقوم على حلقة لتحفيظ القرآن وتجويده . . وتفكر في خدمة دينك ، وديننا يحتاج إلى كل يد تكتب عنه وتدافع عنه ، وإلى كل لسان يبين عظمته وحقيقته للناس ، وإلى كل قلب ينبض بحبه .

(٤) التفكير في لذة أخروية : تفكر كيف تفوز غداً بالجنة ، كيف تستشعر قرب الله إذا ذكرته ، كيف تحقق الخشوع في الصلاة ، كيف تخلو بربك في ساعة التزول الإلهي ، تبكي بين يديه وتتضرع إليه ، فتشعر بقربه منك وقربك منه ووجه لك ، قيل للحسن : مالنا نرى أهل الليل أحسن الناس وجوهاً ؟ قال : خلّوا بالرحمن فالبسهم من نوره .

الوصية التاسعة : هدنة مع استهلاك الأعضاء :

في رمضان أرح عينيك بعدم التطلع إلى الدنيا ، بعدم النظر إلى

المترجات ، تريحها بالنظر إلى كلام الملك جل جلاله ، تريح عينك من صناء الذنوب ، وتريح أذنك من ضجيج الكلام وصخب الهموم والغموم . . تريح أذنك من سماع الغيبة والنميمة والكذب ، تريح أذنك من سماع الأغاني ، وتريح رجلبك من كثرة الانتقال هنا وهناك بغير فائدة ، تريح رجلك بالاستقرار في بيتك أو مسجدك ، تريح رجلبك من كثرة السعي لتحصيل ما لا فائدة من ورائه .

وتريح عقلك من هموم الدنيا ونكداتها . . تشغل بالطاعات والأذكار والاستغفار فلا يبقى عندك مكان لهذه الهموم التي تنخر في جسمك وتؤذيك ، وتريح معدتك بعدم دس الطعام فيها على الدوام ، بل تبقى في شهر رمضان خالية مستريحة ، تريحها من ثقل الطعام ، وتريح أمعاءك كذلك ، تريح قلبك من التعلق بالبشر والتعلق بالأسباب والانشغال بغير الله ، اجمع همك وأرح جوارحك تستمتع بحب الله .

الوصية العاشرة : هنته مع الهموم :

أريدك أن تطرح الهموم عن صدرك . . لا تشغل ذهنك بها ، فهذا رجل طلب منه أولاده ملابس المدرسة ، وكتب المدرسة ، وكراريس المدرسة ، فلم يدر من أين يأتي بالمال لكي يشتري لأولاده ما يريدون ، وظل الهم في صدره ، ونام وعقله مشغول بذلك ، ولكنه استراح من ذلك الهم فجأة ، أتدرون ماذا حدث ؟ ، مات . . راحة أبدية من هذه الدنيا . . لذلك أقول : والله . . إن هذه الدنيا لا تستحق أن تقتل نفسك من أجلها .

لذلك : اجعل الهم همًا واحدًا ، وهو رضا الله سبحانه وتعالى ، اجعل هذا همك : أن ترضي الله وحده ، فلو رضي عنك لنالك كل خير وبركة

وفضل، هذا الهم لا يؤجل وجميع الهموم تؤجل، فليكن همك في رمضان هو عتق رقبتك من النار، والفوز برضوان الله عز وجل.

إذا كانت هذه الهدنة الثامة.. كانت الراحة الثامة.. فكان الاستقبال لرمضان بحفاوة بالغة.. وبداية موفقة.. وعناية مركزة.. فتعيش رمضان.. هيا:

• كيف نعيش رمضان ؟ •



كَيْفَ

تَعْلَمُ رِضَاكَ

بِرَّكَ أَمِجُّ عَمَلِي

لِلْحِفَاطِ عَلَى

الْإِشْرَاقَةِ الْإِيمَانِيَّةِ

كيف تعيش رمضان؟

أيها الأحبة في الله ..

كيف يعيش المسلم يومًا من أيام رمضان؟ ، يأتي هذا الكلام ؛ لأن الأمة - وللأسف الشديد- لم تذوق طعم رمضان منذ أن ذوقت طعم الهزيمة ، منذ أن عاشت معنى الذل للأعداء ، منذ أن تخبط وتلون ولم تذوق طعم النصر ولم تتوجه إلى الله عز وجل وحده ، ولو صامت الأمة يومًا كما ينبغي منذ جرى لها ذلك ؛ لتغيرت ، ولو تغيرت لغير الله حالها ، قال تعالى : ﴿إِنَّكَ أَنتَ اللَّهُ لَا تُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

ولكي نعيش رمضان كما ينبغي ونصنع فيه صناعة الرجال ، فلا بد من السير على الخطوط الرئيسية الآتية :

أولاً : تحديد الأهداف :

أيها الإخوة ، إننا بحاجة إلى تحديد الأهداف التي ندخل بها رمضان ، ثم رسم الطريق لتحقيق هذه الأهداف ، ثم وضع خطة للتقويم .. تقويم العمل ، ثم متابعة تحصيل الثمار . إن الناس اليوم إذا أراد أحدهم أن يقوم بمشروع يستثمر فيه أمواله ؛ فإنه قبل كل شيء لابد أن يقوم بعمل دراسة جدوى ، وقبل أن يجتمع المجتمعون في أي اجتماع ذي شأن لابد أن يضعوا برنامج عمل أو جدول أعمال ، هذا في عرف أهل الدنيا ، هذا أصل عندهم ، أفلا يكون هذا أصلاً عند أهل الآخرة ، لاسيما وهم يطلبون أعلى شيء وهو الجنة ١٩ ، فهم بهذا أولن .

نعم والله : أهل الآخرة أحق أن يقوموا بعمل دراسة جدوى لصيام

رمضان، هل ستكون له نتيجة حقيقية، هل سيكون له ثمرة فعلية، وما المطلوب أن عمله لكي تأتي الثمرة المرجوة... إن من يريد تقويم عمله؛ ينظر في ثمرته أولاً بأول، إذا فلا بد أن تقف في كل ليلة من رمضان مع أنفسنا لتتأمل، ولأن الله في كل ليلة عتقنا من النار؛ فلا بد أن يكون في كل ليلة وقفة: هل أنا في هذا اليوم كنت ممن أعتق، وماذا أفعل لأتدارك ما فات من عتق ومغفرة، اللهم أعتق رقابنا من النار يا رب..

أيها الإخوة، لكي نعتق رقابنا من النار، فلا بد من تحديد الأهداف، لابد من رسم خطة العمل، ووضع الوسيلة للوصول إلى هذه الأهداف، ووضع نموذج لتقويم العمل وتحصيل الثمار، وأولاً إليكم الأهداف:

الهدف الأول: تشوق القلب للرحمة:

لابد أن تهدف لأن ينال قلبك رحمة الله، ولا بد أن يسمو، ويتمنى، ويرجو، ويحب، ويأمل أن ينال من الله رحمة كما قال النبي ﷺ: «لن يدخل أحدكم الجنة عمله»، قالوا: «ولا أنت يا رسول الله؟»، قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته»^(١)، سبحانه الله ١١، حتى رسول الله ﷺ الذي هو رسول الله... حبيب الله... إمام الخلق... وحبيب الحق محمد ﷺ لن يدخل الجنة إلا برحمة الله.

إذا فانت محتاج لأن تُرحم، وعندما يتزعج قلبك لطلب الرحمة هنا ستنزل عليك - إن شاء الله - رحمة الله، وخصوصاً أن الله في كل ليلة من رمضان رحمة يختص بها من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَلْوَءَ تَذَكَّرَ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَلْوَءَ مَسْبُوكًا ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنََّّهُ كَانَ هَلْوَءًا حَكِيمًا ۝ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩-٣١].

(١) متفق عليه، البخاري (٥٣٤٩)، مسلم (٢٨١٦).

الهدف الثاني : استحضار نية المغفرة للذنوب المطلقة والمتأخرة :

قال رسول الله ﷺ : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه »^(١) ، هذا الحديث يحتاج إلى وقفة .

ينبغي أن نتنبه لتلاحظ أن النبي ﷺ اشترط أن تصوم إيمانًا واحتسابًا ، فهل أنت تصوم إيمانًا واحتسابًا ؟!

هل تعرف بداية ما معنى إيمانًا واحتسابًا ؟ ، لعلك تصوم كما يصوم الناس فتمتنع عن الأكل والشرب والجماع من الفجر حتى المغرب ، إذا أذن المغرب تفطر وإذا أذن الفجر تمسك «أتوماتيكيا» ، أين النية ؟! ، أين الاحتساب ؟!

إن من العجيب أن تجد بعض الناس يتساءل : هل لابد أن ننوي لصيام رمضان؟ ، أقول : نعم ، لابد أن تُبيِّث النية ، قال رسول الله ﷺ : « من لم يبيِّث الصيام من الليل فلا صيام له »^(٢) ، لابد من النية .

دهك من هذه الآلية في الحياة ، قد يقال : سمعت بعض الناس يقولون : السحور نية ، أقول لك : نحن لا نأمرك أن تقول : نويت أصوم يومًا من أيام رمضان فرضًا عليّ لله العلي العظيم ، هذا بدعة ، لكن الذي أريده : أن يستحضر قلبك أنك ستصوم لله .

لماذا ؟ إيمانًا : يعني امتسلامًا للملك سبحانه وتعالى ؛ يارب ، أمرتني أن أصوم فصمت .

واحتسابًا : أن تحسب الأجر عند الله .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٨) ، مسلم (٧٦٠) .

(٢) أخرجه البيهقي (٢٠٢/٤) ، وصححه الألباني (٦٥٣٥) في «صحيح الجامع» .

وقد أوقعتني هذه المسألة في حيرة مدة من الزمان ، وامتشرت فيها كثيرًا من المشايخ وهي : هل الاحتساب شرط لحصول الأجر ؟ ، أي لو أن رجلًا جلس في المسجد دون أن يستحضر نية الاعتكاف ونزول الرحمة وغير ذلك من النوايا ؛ فهل هذا ليس له أجر ؟ ، والراجح أنه ليس له أجر ؛ لقول النبي ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى »^(١) ، وهذا لم ينو شيئًا فليس له شيء .

فلا بد أن تستحضر في كل عمل نية الاحتساب والاستسلام لأمر الله . يا رب ، تركت هذا لأجلك ؛ لأحتسب عندك الأجر . . عندما تغمرك هذه النية وتملأ قلبك ؛ حينها تحصل على الأجر ؛ لذلك لا بد من استحضار نية المغفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة ، كي يغفر لك ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنك مطالب أن يكون قلبك يقظًا دائمًا متحفّزًا سعيًا مجيئًا لأوامر الشرع .

الهدف الثالث : سمو الروح للعتق من النار :

لا بد من استشعار معنى العتق ، أن تستشعر أنك قد تكون فعلاً من أهل النار .

• تصدّق يونس بن عبيد يوم أضحي بلحم كثير ثم قال لغلامه :
والله ما أراه يتقبل مني شيئاً ؛ وإني والله أخشى أن أكون من أهل النار .
قال الإمام الذهبي في السير : كل من لم يخش أن يكون من أهل النار ، فهو مغرور قد أطمع مكر الله به .

(١) أخرجه البخاري (١) ، ومسلم (١٩٠٧) .

فلا تأمن من أخي مكر الله وخصوصًا أنك كثير المكر واحذر أن تكون من أهل النار وأنت لا تشعر .

ولا بد للمتخلص من هذا أن تعتق رقبتك من النار ، فإذا كان لله في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار ، فما أشد خسارتك إذا مرت عليك ليلة واحدة من رمضان ولم تعتق ، وإذا علمت خطر النار وشدة حرها ، وشدة عذابها ، لهان عندك أن تقدم الأعمال الصالحات لكي تكون سيئًا لعتقك منها ، لو عرفت النار وأدركت خطرها وعرفت أن أمامك فرصة للعتق منها ؛ لبذلت الغالي والنفيس للحصول على هذا العتق ، ولصار هذا الأمر همك طيلة الشهر ، اللهم أعتق رقابنا من النار يا رب .

الهدف الرابع : سمو الروح للارتفاع عن كثافة المادة وهم الفرج والبطن :

يقول ابن القيم في كتاب « زاد المعاد » في الطب النبوي : « إن الصوم جُنة من أدواء الروح والقلب والجسد ، وجنة يعني وقاية » ، فلذلك لا بد أن تنوي بالصيام أن يشفى قلبك من حب الدنيا ، وتعمل ذلك هدفًا لك في الصيام ، وتسامى روحك عن هم البطن والفرج . . عن العطين . . عن الأرض . . عن غذاء الجسم . .

الهدف الخامس : إقامة حاكمية الله على النفس :

إن الإنسان في حياته العادية يعيش في غفلة شديدة غالبًا ، يتابع نفسه في كل ما تشتهي : تطلب نفسه الطعام فيأكل ، وتشتهي الشراب فيشرب ، وتنزع إلى الخروج فيخرج . . وهكذا . . فتستأسد النفس وتغلخ ، فإذا جاء رمضان ومنعها الإنسان ملذوذ مباحها ؛ فينبغي على الإنسان استشعار هذا المعنى : إقامة حاكمية الله على النفس .

يعني : أن يُشعر نفسه أنها ليست الآمرة الناهية الطاغية المستولية ، إنما هي أمة مأمورة خادمة مطيعة متقادة للملك الكبير سبحانه يقول : كُلْ سَاعَةً كَذَا وَاتْرِكْ سَاعَةً كَذَا فَتَسْمَعْ وَتَطِيعَ وَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَخَالَفَ . . . إن استشعار هذا المعنى وإذاقة النفس مرارة الذل والطاعة المطلقة لله وأنها لا تطاع بل تطيع ، وإنها يجب عليها أن تستجيب لكل ما تؤمر به غاية وهدف من رمضان وفرض صيامه ودوام ذلك لمدة ثلاثين يوماً ، وينبغي أن يرصد هذا الهدف لنخرج به من هذا الشهر الفضيل .

الهدف السادس : إقامة دستور الأخلاق :

قال بعضهم : الدين كله خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين ، وشهر رمضان شهر التقوى . . شهر الأخلاق ، قال رسول الله ﷺ : «الصوم جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يزُقْث ، ولا يفسُق ، ولا يتصَعَّب ، ولا يَجْهَل ، وإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم»^(١) .

المحافظة على دستور أخلاق الإسلام شهراً كاملاً بالأبلى بلفظ بلفظ يخالف الشرع ، وأن يتحكم في انفعالاته ، ويتذكر دوماً تلبسه بالعبادة بقوله لمن قاتله : «إني صائم» ، مدرسة تربوية عظيمة ، نجعلها هدفاً نخرج به من رمضان .

الهدف السابع : التدريب على المداراة :

قال رسول الله ﷺ : «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»^(٢) ؛ ولذلك كان عمله ﷺ ديمة . إن آفة الأعمال الانقطاع والاستحسار وترك العمل ، وفي

(١) أخرجه أحمد (٣٠٦/٢) ، وصححه الألباني (٩٧٨) في «صحيح الترغيب والترهيب» .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٦١٠٠) ، مسلم (٧٨٢) .

هذا الشهر تدريب النفس على أن تستمر على العمل الصالح ، فهذه ثلاثون يومًا صيامًا ، وثلاثون ليلة قيامًا ؛ لتألف النفس العمل فتستمر عليه دائمًا .

هذه بعض الأهداف ، وهناك حوالي خمسة وعشرين صنفًا من الأهداف ، وإنما نختصر اختصارًا ، هذه هي الأهداف إخوتاه ، فما هو الطريق لتحقيق هذه الأهداف؟

ثانيًا : الطريق لتحقيق الأهداف :

أيها الإخوة ، لابد من إعداد العدة ، ويكون ذلك بما يلي :

- أولًا : تقليل ساعات النوم .
- ثانيًا : تقليل كمية الأكل ما أمكن .
- ثالثًا : تقليل الكلام .
- رابعًا : تقليل الخلطة بالبشر .

بمعنى إجمالاً : التخلص من سموم القلب الضارة . إن البرنامج الذي سنضعه لتحقيق هذه الأهداف لن يستطيع أن يقوم به من ينام في الليلة عشر ساعات أو ثمان ساعات أو ست في رمضان ، إنما يكفيك في رمضان أن تنام أربع ساعات ، وأنا وأنت نعرف أن كثيرًا من أهل الدنيا ينامون أقل من ذلك ، سل أي طالب في الثانوية العامة كم ساعة ينامها أيام الامتحانات ؟ ، تجده يقول لك : ساعتين على الأكثر ، هذا واقع .

وهذا كله من أجل الحصول على شهادة الثانوية العامة ، وأنت تريد الجنة ، فأيهما أغلى ؟ ، كم تدفع لتدخل الجنة ؟ ، إننا لا نريد منك غير التضحية بيسير من النوم والطعام والكلام والاختلاط ، ضَحِّ . . وإن لم تضح في رمضان ! فلن تضحي أبدًا . . أليس كذلك ؟ !

لا بد أن تضحى بشيء من النوم ، ستكفي فقط بأربع ساعات من النوم في اليوم والليلة ، وعشرون ساعة شغل مع الله ، إذا كان عندك استعداد فيها شعر عن مساعد الجدد ، وإلا فلا تترخ مكانك ، وانتظر مآل اللاعبين .

هذه الأهداف التي ذكرناها أهداف خالية ، وبهذا تصنع الأمة في رمضان ، وإن لم تصنع بهذا في رمضان فأبداً لن تكون ، إننا بحاجة إلى تجربة : هل أمنا تصلح للتمكين أم لا ، فيها لنبدأ البرنامج بإذن الله ، ولكن هل أنت مستعد لأن تبذل ، هل أنت مستعد لأن تضحى بمحرك كله ؟ ، استعن بالله وقل : نعم . . . إن شاء الله .



رَقِيَّاتَانِيَا صَلَواتُكَ

مُطَهَّرَتَانِيَا رِضايُكَ

وَتَهْنِئَةُ الرِّقَّةِ لِلْعُنُقِ

خطة اليوم في رمضان

يوم في حياة صائم :

بداية : بركة اليوم .

التبكير إلى صلاة الصبح وسماع الأذان في المسجد :

والتبكير له فضل ، وله بركته ، ولكن للأسف الشديد ! نجد كثيرًا الناس ولا سيما الإخوة الملتزمين لا يبكرون إلى المسجد إلا بسبب أن شيخًا مشهورًا يستمعون إليه ؛ فيضطر للتبكير لبراءه وليقترب منه وليصافحه ، ولكنه لا يكر لوجه الله ، أما المسجد الذي يصلي فيه في حبه فإنه يتأخر عن صلاة الجمعة والجماعة ، يأتي في نصف الخطبة ، أو يجلس قريبًا من الباب ؛ لتكون مغادرته للمسجد سريعًا بعد انتهاء الخطيب ، أسأل الله أن يهدينا ويهديهم ويتوب علينا وعليهم .

أيها الإخوة ، انتبهوا . . نريد أن نبكر إلى صلاة الصبح ، ونسمع الأذان ونحن في المسجد ، وهناك فوائد كثيرة للتبكير إلى المسجد وانتظار الصلاة ، منها :

(١) ترديد الأذان والدعاء بعده .

(٢) المحافظة على صلاة الجماعة .

(٣) المحافظة على تكبيرة الإحرام .

(٤) إدراك الصف الأول ، قال رسول الله ﷺ : «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا»^(١) ، وقال

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٩٠) ، مسلم (٤٣٧) .

النبي ﷺ : «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها»^(١)، سبحانه الله ١١
تصلي في الجماعة الأولى في المسجد وتكون من شر صفوف الرجال ١٢
فلذلك ينبغي أن تارع إلى الصف الأول .

قال النبي ﷺ : «إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول»^(٢)، وكان
النبي ﷺ يستغفر للصف المقدم ثلاثاً ، وللصف الثاني مرة^(٣)، ثم يسكت
ويكثف ويصلي .

لذلك فإن مسألة الاحتساب تحتاج إلى بحث ، ابحث عن فضائل الأعمال ،
وهناك كتاب في فضائل الأعمال للمقدسي أرجع إليه تجد خيراً كثيراً بإذن الله .

(٥) إدراك مئة الصف ، قال النبي ﷺ : «إن الله وملائكته يصلون على
ميامن الصفوف»^(٤) .

(٦) إدراك التأمين وراء الإمام في الصلاة الجهرية ، قال النبي ﷺ : «إذا
قال الإمام : ولا الضالين فقولوا آمين ؛ فإن من وافق قوله قول الملائكة ؛ غُفر له
ما تقدم من قبله»^(٥) .

قلت : يا لَلْحَيَّةِ إن لم يغفر الله لنا ؛ لأنها مسألة سهلة جداً أنك بمجرد
قولك : آمين منضبطة خلف الإمام مع الإمام يغفر لك فماذا يمنعك ١٩ ،
والعود بمغفرة الذنوب المتقدمة كثيرة جداً ، فبعد هذا كله إذا لم يغفر لك

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٨/٤) ، وصححه الألباني (٤٩٣) في «صحيح الترمذي»
والترتيب .

(٣) أخرجه أحمد (١٢٦/٤) ، وصححه الألباني (٩٠٨٣) في «صحيح الجامع» .

(٤) أخرجه ابن حبان (٢١٦٠) ، وحسنه شعيب الأرنؤوط .

(٥) متفق عليه ، البخاري (٧٤٩) ، مسلم (٤١٠) .

فكيف ومتى يغفر لك ١٩، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَنَا يَتَّبِعُهُ وَمَنْ سَلَ فَأَنَا يَهْدِيهِ﴾ [يونس: ١٠٨]، وقال جل جلاله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَهَا وَمَا يَظُنُّ إِلَّا نَفْسُهُ﴾ [الصافات: ١٦].

اللهم إنا نسألك الجنة يا رب .

(٧) التبكير إلى المسجد تمكّنك من الإتيان بالنوافل المشروعة بين الأذان والإقامة .

(٨) التبكير إلى الصلاة دليل على أن القلب معلق بالمسجد ، فمن السبعة الذين يظلمهم الله بظل عرشه «ورجل قلبه معلق بالمسجد»^(١) ، فإنه إذا اقترب موعد الصلاة فذهب مسرعاً إلى المسجد ، قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه :

لي أربعين سنة لم يؤذن المؤذن لصلاة من الصلوات الخمس إلا وأنا في المسجد ، سبحان الله ! ، أربعين سنة يا من لا تقدر على أربعين يوماً ، إن للعمل الصالح ثواباً وللمداومة ثواباً ، والقلب المعلق بالمسجد لا يفارقه ، بل يحب المكث فيه ويسارع بالعودة إليه .

(٩) التبكير إلى المسجد وانتظار الصلاة سبب لحضور القلب ، وإقبال المرء على صلاته ، وهذا الأمر هو لب الصلاة ، كلما طال مكثه في المسجد وذكر الله ؛ زالت مشاغله ومتعلقاته الدنيوية ، وأقبل على ما هو فيه من قراءة وذكر . فمهما كان عندك من الهموم والمشاكل في العمل ومع الأهل والزوجة ؛ فصل ركعتين ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [المعلق: ١٩] ، سترتفع عن الهموم الأرضية ، وتحلق في سماء الطاعة ، أما إذا جئت متأخراً إلى الصلاة فاتك كل هذا الفضل والخير . فاقبل على الصلاة مبكراً ، واقعد بين الأذان والإقامة ؛ ليمحو الله همومك

(١) متفق عليه ، البخاري (١٣٥٧) ، ومسلم (١٠٣١) .

بالذكر والصلاة وإقبالك بكليتك على الله ، إن الذي يأتي إلى الصلاة متأخراً سبطل قلبه مشغولاً بما هو فيه من هموم الدنيا أثناء الصلاة ؛ ولذلك تلاحظ أن أول الناس دخولاً إلى المسجد هم آخر الناس خروجاً ، والعكس صحيح ، وما ذلك إلا لما ذكرته لك .

(١٠) المبكر إلى الصلاة يتمكن من قراءة القرآن بين الأذان والإقامة ، لقد ذكرت لك مراراً كيف تختتم القرآن كل ثلاثة أيام ، وذلك بأن تكرر إلى الصلاة وتقرأ جزءاً قبل الصلاة بين الأذان والإقامة ، وبعد الصلاة تقرأ جزءاً آخر ، إذا قرأ في كل صلاة جزئين ، في الخمس صلوات تكون قد قرأت عشرة أجزاء ؛ فتختتم القرآن في ثلاثة أيام .

(١١) يتمكن المبكر إلى الصلاة من الدعاء بين الأذان والإقامة ، قال النبي ﷺ : «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد»^(١) ، وكذلك تتمكن من الإتيان بأذكار الصباح والمساء بعد الصبح وقبل المغرب .

(١٢) إن من يأتي إلى الصلاة مبكراً يأتي غالباً بسكينة ووقار فيكون ممثلاً لأمر النبي ﷺ فيحوز حبه ، قال ﷺ : «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ، ولكن اتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فاتموا»^(٢) ، وفي الرواية الأخرى : «إذا أنيتم الصلاة اتوها بسكينة ووقار ، من يأتي إلى الصلاة مبكراً يأتي ماشياً ، ومن يأتي متأخراً يأتي مسرعاً .

هذه بعض فوائد التذكير إلى الصلاة ، والتذكير يكون في كل الصلوات ، ولكنني أخص بالذكر الفجر والمغرب ، وأحب أن أنبهك أن تستيقظ لصلاة الفجر لله وليس للعمل أو للسحور والأكل والشرب أو غير ذلك ، بل لله

(١) أخرجه أحمد (١١٩/٣) ، وصححه الألباني (٢٦٥) في «صحيح الترغيب والترهيب» .

(٢) مضاف إليه ، البخاري (٦٠٩) ، مسلم (٦٠٣) .

وحده ؛ لأن الله تعالى قال في الحديث القدسي : «أنا أضنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً واشرك فيه خبيري تركته وشركه» أو «فهو للذي أشرك»^(١) ، فالعمل قليله وكثيره إذا كان منه شيء لغير الله لم يقبله الله جل جلاله ، فقم الفجر لله ، ولا تقم لغير الله ، لأن الله لا يتقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه .

وأخرج إلى الصلاة لا تريد إلا الصلاة لتحصل على الأجر كاملاً ، قال رسول الله ﷺ «إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد لا يترعه إلا الصلاة ، لم تزل رجله اليسرى تمحو سبعة ، وتكتب الأخرى حسنة حتى يدخل المسجد»^(٢) .

في صلاة الفجر بعد أن تصل إلى المسجد صل ركعتين فقط ولا تزد على ركعتين ؛ لأن النبي ﷺ نهى أن يصل بين الأذان والإقامة في الفجر إلا ركعتي النافلة ، ثم استحضر الخشوع والسكينة وعليك بالدعاء ؛ لأن قرآن الفجر مشهود تشهده الملائكة ، والله سبحانه وتعالى ينزل في الثالث الأخير من الليل نزولاً يليق بجلاله حتى تنتهي صلاة الصبح .

وجمهور المفسرين على أن المراد بقرآن الفجر في قول الله تعالى : ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] ، أنه القرآن الذي يُقرأ في الصلاة ، لتبين بذلك قلبك لقرآن الفجر .

احتفظ بحرارة الخشوع بعد الصلاة ، وذلك بالمكث في المسجد أكبر فترة ممكنة بعد الصلاة ، لا بد أن تعتكف حتى الشروق وبعد شروق الشمس بعشرين دقيقة تصلي ركعتين .

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٦٢٠) ، مسلم (٦٤٩) .

ماذا تصنع بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ؟

أولاً : تقول أذكار الصباح .

ثانياً : تقرأ وردك من القرآن .

ثالثاً : الكلمات الخمس .

لا بد أن توطن نفسك على هذا ، على أن تمكث في المسجد أطول فترة ممكنة ، كان شيخ الإسلام ابن تيمية إذا قضى صلاة الصبح أقبل بوجهه إلى الحائط في محرابه حتى الضحى ولا يلتفت ويقول : هذه غدوتي إذا تركتها سقطت قوتي ، يعني هذا غذائي إن لم أفعله أموت .

لذلك أقول لك : إذا جلست في المسجد بعد صلاة الفجر فممنوع أن تتكلم ، ممنوع التعامل مع أحد ، ممنوع الانشغال بشيء غير الأذكار ، لا تلتفت ، لا تنظر إلى أحد ، وجهك إلى الحائط ، وقل الأذكار ، وقرأ وردك من القرآن ، قال رسول الله ﷺ : « من صلى للفجر في جماعة ، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة »^(١) ، ولا تنس الكلمات الخمس التي هي وصايا مهمة لا بد منها : المشاركة ، المراقبة ، المجاهدة ، المحاسبة ، المعاتبة ، والمعاقبة .

أولاً : المشاركة :

أن تشترط على نفسك وتقول لها : يا نفس ، إن معنا رأس مال وهو العمر ، ومعنا أدوات وهي الجوارح ، ومطلوب أن نتاجر مع الله ونحصل على أكبر ربح وهو الجنة ، فإن استطعت - أيها النفس - أن تأخذي رأس المال

(١) أخرجه الترمذي (٥٨٦) ، وصححه الألباني (٣٤٠٣) في «السلسلة الصحيحة» .

والأدوات وتعطيني بعد ذلك الجنة فعلت وإلا فلا ، فإذا استصعبت عليك نفسك فألزمها بالمكث في المسجد عقاباً لها . كان محمد بن المنكدر يجلس في المسجد يخاصم نفسه يقول لها : لماذا تحبين الخروج من بيت ربك ؟ ، تريدان أن تنظري إلى دار فلان ودار فلانة ؟ ، والله ليس لك إلا هذه العجوز (يعني زوجته) ، والله ليس لك طعام إلا هذه الكسرة ، وليس لك شراب إلا هذه الشربة من ماء المسجد ، أترضين أم تحبين أن تموتني ؟ ، يقول : فأراها تقول : رضييت . . رضييت ، فهكذا افعل مع نفسك ، لكن النفس مخادعة أمارة بالسوء توافقك ظاهراً ، وتريد أن تخالفك وترفض ما تشترط عليها ؛ فتأتي الكلمة الثانية وهي المراقبة .

ثانياً : المراقبة :

راقب نفسك وكن رقيباً على تصرفاتك ، ولا تدع للنفس فرصة للظلمت منك ، إنك قد تخرج من المسجد فتقع عينك على امرأة متبرجة ، فتجاهد نفسك وتمنعها من النظر وتقول لها : ألم نشترط الجنة ؟ ، كان أحد السلف يمشي في الشارع فوقعت عينه على امرأة ، فضرب عينه حتى نفرت (يعني تورمت) وجعل يقول : مالي أراك تتطلعين إلى ما لا يحل لك . فراقب نفسك وألجمها وامنعها مما لا يحل لها ، خذ بزمامها وخطامها وألزمها الصراط المستقيم ، ولا تغفل عنها لكي تنجو .

ثالثاً : المجاهدة :

وأشد شيء جهاد النفس ، فهي مقيدة بقيد الجسم ، مقيدة في هذا الجسم ، ثم هي مقيدة بقيد العبودية ، ثم أنت تتوعدنا بقيد ثالث وهو قيد المكث في المسجد ، فالنفس تحتاج إلى مجاهدة ، وهذه المجاهدة لا بد لها من صبر وثبات أمام طغيان هذه النفس وتملصها ، جاهدها لكي لا تضيعك وتسير في طريق جهنم ، جاهدها ما استطعت .

رابعاً : المحاسبة :

لا بد من محاسبة النفس ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿يَوْمَ تُجَدُّ حُكُلُ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْصَرًا وَمَا مَوَّلَتْ مِنْ سُوءٍ قَرَّةٌ لَّوْ كُنْ يَبَيِّنُهَا وَيَبَيِّنُهُ أَمْدًا بِعِيدًا وَنَجْرًا لِّكُمْ أَفَلَا تَنْفَسُونَ﴾ [ال عمران: ٢٠] ، وقال سبحانه : ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ﴾ [النبا: ٤٠] ، سترى عملك بعينك وتسمعه بأذنك ؛ لذلك يجب أن تجلس مع نفسك وتنظر في أعمالك لتصلحها قبل أن تراها يوم القيامة ، اكتب أعمالك وضعها أمامك ، وقل لنفسك : اتحيين أن تقابلي ربك بهذه الصحيفة ؟ ، هل ستأخذين كتابك باليمين أم بالشمال ؟ ، هل هذا تدخلين به الجنة أم تدخلين به النار ؟ ، هل هذا يرضي الله عنك أم يسخطه عليك ؟ ، وهذا هو توبيخ النفس وزجرها ؛ لتعلم حقيقتها وقدرها .

خامساً : المعاتب والمعاقبة :

وذلك بأن تعاتب نفسك وتؤديها وتعاقبها بأن تمنعها مثلاً من بعض المباحات تأديباً وزجراً ، وتهذياً وتربية ، أو تعاقبها بأن تلزمها وتفرض عليها استغفار عشرة آلاف مرة وتمنعها من النوم ، تعاقبها بأن تأكل خبزاً جافاً بنير إدام وتشرب بعد الخبز ماء فقط . بعض السلف أراد أن يعالج نفسه من الغيبة فما استطاع أن يعالجها بعد أن جرب معها بعض العلاجات ، ثم عاقبها بأنه إذا اغتاب إنساناً تصدق ، فكلما اغتاب إنساناً تصدق ، حتى قال : فغلبنى حب الدنانير فتركت الغيبة ، فعاقب نفسك لعلك تستطيع قيادة زمامها .

ثمة الأعمال :

ثم بعد ذلك هناك صلاة الضحى فصلها ركعتين أو أربع أو ست أو ثمان ، ثم انصرف من المسجد ، إن كان ثمة وقت للنوم أو المضي إلى العمل فامض ، ثم المحافظة على الأذكار الموظفة كأذكار دخول المسجد والخروج

منه ، ودخول البيت والخروج منه ، أذكار النوم ، دعاء الأكل والشرب ، دعاء الركوب ، وعليك في هذا الشأن بكتاب حصن المسلم للقحطاني ، أو كتاب مختصر النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة^(١).

فإذا مضيت إلى عملك فاعلم أنك في عبادة من ساعة نويت الصوم عند طلوع الفجر ، كأنك دخلت الصلاة بتكبيرة الإحرام ؛ فإياك أن تلتفت بقلبك عن الله أثناء النهار .

نعم : إن نية الصيام عند الفجر بمثابة تكبيرة الإحرام ، فأنت منذ ذلك الوقت في هذه العبادة - أي الصيام - متلبث بها ، فلا تنصرف بقلبك عنها ، فلا يصح أن تكون في عبادة وتكذب أو تغتاب أو تنم أو تنظر إلى امرأة منبرجة ؛ لذلك قال بعض السلف : أهون الصيام ترك الطعام والشراب ، وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه : إذا صمت فليصم سمعك ، وبصرك ، ولسانك من الكذب ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء .

ليصم سمعك عن الحرام ، ليصم عن الأغاني والغيبة ، ليصم عن النفاق والنعيمة ، ليصم عن البذاءة والفحش ، ليصم عن السب والشتم واللعان ، ليصم سمعك عن سماع كل ما يغضب الله عز وجل ، وليصم بصرك عن النظر إلى النساء المتبرجات في الشوارع ، في المجلات ، في الأفلام والمسلسلات ، في القواشير والمسرحيات ، في الإنترنت والفضائيات ، ليصم بصرك عن الحسد واحتقار الناس ، ليصم بصرك عن النظر إلى متاع الدنيا ، ليصم بصرك فلا يرى إلا الخير والنور . . لا يرى إلا القرآن . . لا يرى إلا صفحة الكون المنظورة التي تزيده إيماناً و يقيناً وحقاً وتعظيمًا لله جل جلاله .

(١) للشيخ محمد بن إسماعيل المقدم - حفظه الله .

إنك قد تجد بعض الناس يصوم عن الحلال ويفطر على الحرام ، يصوم عن زوجته الحلال ويفطر على النساء في الشوارع ، يصوم عن الطعام الحلال ويأكل لحم أخيه ميتا بالغيبة والنميمة وهو حرام ، يجلس أمام التلفاز فيرى النساء العاريات ويسمع الكذب والبذاءة ، إخواني ، انتبهوا فإن المعصية في رمضان تختلف عن المعصية في غيره ، والطاعة فيه تختلف عن الطاعة في غيره ، فالأوقات المعظمة عظيمة وحرمة ، وقد قال الله تعالى في الأشهر الحرم : ﴿فَلَا تَقْتُلُوا فِيهَا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٠] ، تعظيماً لهذه الأشهر .

لذا كان من علامات التوفيق إقبال الطاعات وإدبار المعاصي ، ومن علامة الخذلان إقبال المعاصي واستقبال الطاعات ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ أَقْنَدُوا زَانِجًا هَدَىٰ وَمَالَهُمْ تَفَوُّهُمُ﴾ [محمد: ١٧] .

شهر القرآن :

ثم اتبه إلى أن رمضان شهر القرآن ، فيبني أن يكون العمل مضاعفاً في هذا الشهر ، لا بد أن تكثف وتكثر في هذا الشهر من تلاوة القرآن .

أخي الحبيب ، ألمت تحب الله ؟ ، فلماذا لا تكثر من تلاوة كلامه ؟
لو أحبيت الله لأطعته ، وأنا أقول لك : نعم وليس شرط المحب البصمة ، ولكن شرطه كلما زل أن يتلافى تلك الوضعة .

قال الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، فكان وجود القرآن قبل التكليف بالعبادة ، فكانه قيل : احتفلوا بالقرآن . . وتفرغوا لقراءة القرآن . . ولكن - للأسف الشديد - تفرغ المسلمون اليوم للدورات الرمضانية في كرة القدم ، ومشاهدة المسلسلات ، وصنع الطعام والكنافة ، شيء عجيب ! ، الله فرغنا لتلاوة كتابه ونحن نعرض عنه !!

كان حال السلف في رمضان مع القرآن عجيبيًا ، أذكر لك حال الشافعي عليه رحمة الله ، كان يختم في رمضان ستين ختمة ، في اليوم يختم ختمتين ، ختمة بالليل وختمة بالنهار ، ولهذا علق الحافظ ابن رجب رحمته الله على حديث أنه «نهى رسول الله ﷺ أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث»^(١) ، بأنه يجوز في الأماكن الفاضلة والأزمنة الفاضلة أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث حيث ورد هذا عن كثير من السلف وعن الصحابة ، فقد ورد عن عثمان رضي الله عنه أنه ختم القرآن في ركعة أوتر بها في الجعر .

قال ابن رجب : كان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها .

كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين ، وكان يختم في غير رمضان في كل ست ليال .

كان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال مرة ، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة ، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة .

قال النووي : روى ابن أبي داود بإسناده الصحيح أن مجاهدًا رحمته الله كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء ، وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل .

قال ابن الحكم : كان الإمام مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم .

وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن .

(١) أخرجه أحمد (١٦٤/٢) ، وصححه الألباني (٤٦٦) في «السلسلة الصحيحة» .

وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان ، فإذا طلعت الشمس نامت .

قال ابن مسعود : ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليته إذا الناس نائمون ، ونهاره إذا الناس يفتطرون ، وبكائه إذا الناس يضحكون ، وبورعه إذا الناس يخلطون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون .

قال أبو الحسين محمد بن علي صاحب الجنيد : صحبت أبا العباس بن عطاء عدة سنين متأدياً بأدابه ، وكان له في كل يوم ختمة ، وفي كل شهر رمضان في كل يوم ليلة ثلاث ختمات .

أين نحن من هؤلاء !! . .

إذا فليستحوذ القرآن على غالب وقتك بالنهار قراءةً وتدبراً وترتلاً . .
ولتحرص على الختمة دائماً فلا تترك المصحف من يدك أبداً ، أما إذا كنت في عملك فالزم الذكر ولا تفتر مطلقاً .

احذر الذين يأكلون وقتك :

بعد أن تذهب إلى كليتك أو عملك ستجد من يقابلك فيقول لك : هل سمعت فزرة أمس ؟ ، تعال نلعب لكي نسلي صيامنا . . هل رأيت المسلسل ؟ . . هل رأيت المسرحية ؟ . . يريد أن يضيع وقتك ويعطلك عن طاعة ربك ؛ لأن قلبه فارغ فيريد منك أن تكون مثله ، وأشر ما على القلب خلطة البشر ، لذلك أريدك -أيها الحبيب- أن تحول الحوار لصالح الدين ، أن تحول مجلس الغيبة والنميمة واللغو إلى مجلس لذكر الله ، إذا قال لك : هل رأيت المسلسل ؛ فقل له : وهل سمعت أنت أن الله عز وجل يقول : ﴿وَإِذَا مَكَاتُكَ يَبْكَوِي عَنْ قَائِلٍ كَرِيهٍ أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

هكذا يتعد عنك أو تكون قد أفدته وعصمت الخير ودعوت إلى هدى ، فإذا قرأ عشر آيات فكانك قراتها ، لكني أريدك أن تنجو بنفسك . . أن تعبد الله وحدك بجهد ونشاط ؛ فقد فانت سنين طويلة وأنت تسوّف وتزجل ، فما هو رمضان قد جاء فلا تضيع وقتك ، فليس هناك مجال لتضييع الوقت ، وإذا مدت إليك فتاة يدها لتصافحك ؛ فقل لها : «إني لا أصالح النساء»^(١) كما قال النبي ﷺ ، فإذا قلت ذلك فسوف تتخلص من هذه المشكلة نهائياً .

واحذر أن تضيع رمضان في المزاح ، دعك من الضحك واللهو وتضييع الأوقات بالنكات الكاذبة الفجة المنكرة ، إنما ينبغي أن يعلوك الحزن ؛ لأنك تخاف ذنوبك ، وتخاف يوماً تشيب فيه النواصي ، فهل تستطيع أن تضحك في هذا اليوم والله يقول : ﴿وَلَا يَسْكُرْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتًّا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] ، أريد أن تمتع عن الضحك والمزاح قليلاً . . خفف منه ما استطعت .

عكس المطلوب :

وكذلك تقلل من الأكل ، والمصيبة أن الناس جعلوا رمضان موسماً للأكل ، شرع الله الصيام للامتناع عن الطعام بالنهار ، فانفتح الناس فيه بالليل ، وتجهد تكلفة الطعام عنده في رمضان ضعف غيره من الشهور ، لو قلت له : إنك تأكل في غير رمضان ثلاث وجبات ، وفي رمضان وجبتين فقط ، فلماذا لا تجعل الثالثة للفقراء ؛ فيقول : ومن أين ؟ ، إنني أقترض في رمضان من أجل الطعام . .

هذا هو الواقع عند كثير من الناس ، صاموا عن الطعام بالنهار ، وتوسعوا فيه بالليل . . صاموا عن شهوة الفرج في النهار ، فسخر بهم شياطين الإنس

(١) أخرجه أحمد (٣٥٧/٦) ، وصححه الألباني (٢٥٢٩) في «السلسلة الصحيحة» .

بالمسلات والأفلام والفوازير ليزيدوا لهم من هذه الشهوة في الليل ، وهكذا
حُصِّلَ الناسُ عكسَ المقصود من مشروعية الصيام في رمضان ، فزادت
الشهوات التي شرع رمضان لعلاجها وخبطها ، وتلك عقوبة .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَسُرْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فَيْدٌ ﴾
[الزمر: ٢٦] ، وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ
عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦] لذلك أقول لك : انس الضحك
والكلام في نهار رمضان ، أخلق فمك واكتب عليه : (مغلق للتحسينات
والافتتاح في آخر رمضان إن شاء الله) . . تعود على المجاهدة ، كان أبو بكر
الصديق رضي الله عنه يضع على لسانه حصاة يتقل بها لسانه حتى لا يتكلم .

اخرج للعمل وانت ذكّار . . وأريدك أن تعد الأذكار حتى تشجع ، قل سيد
الاستغفار خمسمائة مرة . . قلها مئة مئة . . قل مئة ، فإذا شعرت بلذة الذكر
فاستمر وأكمل ، فلا تدري متى يغلق عنك باب هذه اللذة ، وهكذا يفتح لك
باب الأذكار . . قل : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ألف مرة أو
أكثر ، قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقلتان في
الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »^(١) ،
حبيتان إلى الرحمن ! ، سبحان الله العظيم ! ، الله يدلك على ما يحبه ثم أنت
لا تقول ! ، قل : رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم ، أو صلِّ
على النبي ﷺ بالصلاة الإبراهيمية أو بأي صيغة أخرى من صيغ الصلاة على
النبي ﷺ .

صلينا الصبح في جماعة ، وجلسنا في المسجد حتى شروق الشمس ، ثم

(١) مذكّر عليه ، البخاري (٦٠٤٣) ، مسلم (٢٦٩٤) .

صلينا الضحى ، ثم ذهبنا إلى العمل ، وفي العمل تشغل بعملك فقط وتغتنه ، وإن لم يكن هناك عمل فاشغل بالقرآن أو بالذكر ، وحتى وأنت تعمل تستطيع أن تعمل بيدك ، ولسانك وقلبك منشغلان بذكر الله ، انشغل طوال يومك بالذكر في الطريق ، في السيارة ، في البيت ، في كل وقت انشغل بذكر الله ، لا تغفل . . لا تفتر .

متابعة أهل البيت :

أخي الحبيب ، الآن عدت من العمل ، عندما تدخل بيتك ، قبل أن تسأل زوجتك عن الطعام سلها عن الصلاة : هل صليت العصر . . هل صليت الظهر . . هل قلت الأذكار . . كم مرة استغفرت اليوم ؟ ، كم جزءاً قرأت في هذا اليوم ؟ ، وتابع أولادك : تعال يا بني ماذا حفظت اليوم ؟ ، استغفرت اليوم كم مرة ؟ ، صليت على النبي ﷺ كم مرة ؟ ، بماذا دعوت الله اليوم ؟ ، قل يا بني : من ربك ؟ ، ما دينك ؟ ، من نبيك ؟ ، قل يا بني : ما معنى الإسلام . . ما معنى اليقين . . ما معنى الإخلاص ؟ ، تعلم وعلم ولدك وزوجتك . . هات المصاحف واجلسوا في حلقة تقرأ فيها معهم القرآن وتدارسوه .

اللهم املا بيوت المسلمين قرآنا وخيراً وبركة ، آمين .

البيوت مليئة بالمشاكل ؛ لأنه لا يذكر الله فيها إلا قليلاً ، البيوت مليئة بالمشاكل ؛ لأن الزوجة ترى الزوج غافلاً فتزداد غفلة . . ترى الزوج يعصي الله فتزداد هي عصيانياً . . ترى الزوج لا يطيع الله فتجتري عليه .

قال بعض السلف : إني لأرى ذنوبي في خلق دابتي وامرأتي . . اللهم أصلح زوجات المسلمين يا رب .

أخي الحبيب ، لا تغفل عن السؤال عن الصلاة والصيام والذكر والقرآن . .

قال رسول الله ﷺ : « من كانت الآخرة همه جمع الله عليه شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة »^(١) ، اجلس مع أولادك وزوجتك قبل المغرب اقرءوا جزءاً من القرآن ، واجتمعوا للدعاء لأنفسكم وللمسلمين . . فيصبح البيت جنة ، تعيش في جنة مع زوجة من الجنة وأولاد من الجنة .

انشغل بأذكار المساء حتى يؤذن المغرب ، ثم تفطر على ثلاث تمرات ، ثم تشرب شيئاً من الماء ، وعندما تفطر لا تنس دعاء وذكر الإفطار : ذهب الظما وابتلى العروق وثبت الأجر إن شاء الله . . نسأل الله أن يأجرنا وأن يكتب لنا الأجر كاملاً ، ثم صل بعد الأذان سنة المغرب القبلية ، فيجتمع لك أمران : أن الوقت بين الأذان والإقامة يستجاب فيه الدعاء ، وأن هذه ساعة إفطار يستجاب فيها الدعاء ، وأنت وأنت ساجد يُستجاب لك الدعاء ، فجمعت بين هذه الثلاثة ؛ فاجعل من الدعاء دعاء للأمة ، اللهم اكشف الغمة عن جميع الأمة .

صلاة المغرب في المسجد :

ثم سارع إلى صلاة المغرب جماعة في المسجد ، إذا أذن للمغرب أفطر ، يباح الأكل مع الأذان وأنت تردده ، ولا تنس أن للصائم عند فطره دعوة مستجابة ، فيا ترى ما هو الذي ستطلبه في هذا الدعاء ؟ ، اطلب الجنة وأسبابها ، اللهم إنا نسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل .

حين يؤذن المؤذن تذكر أنك مطالب بصلاة فريضة ، لا تجعل الارتباط بالأذان هو الأكل فقط ، إنما الأذان نداء للصلاة ، حي على الصلاة . . حي على الفلاح ، والأفضل أن تذهب إلى المسجد قبل الأذان وتقف تنتظر

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٥) ، وحسنه الألباني (٩٤) في «السلسلة الصحيحة» .

الصلاة ، وساعتها تتذكر يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وتجتهد في الدعاء أن ينجيك الله في هذا اليوم ، فوائد كثيرة وكلها نافعة .

إن بعض الناس يقول : سوف أفطر ثم أخرج إلى الصلاة ، وهذا غالباً ما تفوته ركعة لاستعجال الناس بصلاة المغرب ، أقول : بل خذ معك تمرًا واذهب إلى المسجد ، فإذا لقيت أحدًا في الطريق فأعطه تمره بفطر عليها ، فيكون لك مثل أجره ، وادعه لصلاة المغرب معك في المسجد ، وتكون قد أمّنت على عبادتي الصيام والصلاة .

وتلك هي هواية التامين على العبادات . من الناس من يهوى التامين على السيارات والعمارات وعلى الحياة ، وشركات التامين حرام لا يجوز ، فكن أنت من هواة التامين على العبادات ، عندما تذهب إلى الصلاة اصطحب معك أحد الناس ، فلو خرجت من صلاتك بخمسين بالمائة فتكمل هذا النقص بصلاة هذا الذي صلى معك ؛ لأن لك مثل أجره ، قال رسول الله ﷺ : « من دها إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه »^(١) .

فكذلك عند الصيام ، فطّر صائماً يكتب لك مثل أجر صيامه ، حاول أن تؤمن على عباداتك بأن تجعل لك رصيلاً مؤخرًا ينفعك إذا حصل منك نوع تقصير ، أعط صائماً تمره وقل له : أفطر على هذه وادع لي ، فإن للصائم دعوة مستجابة ، فعسى أن يدعو لك فيستجاب له ، واحرص على أن يفطر معك كل يوم مسكين ، قد تقول : كيف أفطر مع مسكين وأترك أهلي وأولادي ، أقول لك : اجمع بين الخيرين ، واجعله هو يفطر مع أهله ولغفر أنت مع أهلك بأن تعطيه جزءاً من الطعام الذي تعدّه لنفسك وأهلك الذي غالباً تاكلون نصفه

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) .

وترمون الباقي ، من الآن اشتر العمود الذي يوجد فيه أوان بعضها فوق بعض ويحمل في اليد ، لئلا يملأ بأصناف الطعام كل يوم وتعطيه للفقير .

الإفطار الأمثل :

ثم تعود إلى بيتك سعيداً منشرحاً ، تلقي السلام وتبشرهم بالدعاء ، ثم اجلس إلى الإفطار متذكراً نعمة الله عليك ، مستحضراً حال من لم يجد الطعام ، ولا تشغلك النعمة عن المنعم ، وتذكر أن الله تعالى أمرك بالنظر قبل الأكل : ﴿ أَتَأْكُلُوا لَئِنْ شَرَبْتُمْ إِذَا أَشْرَبْتُمْ وَتَسْجُدُوا إِذَا أَسْجُدُوا ﴾ [الأنعام: ٩٩] ، قبل أن يقول : ﴿ حَكُمُوا بَيْنَ شَرِبْتُمْ إِذَا أَشْرَبْتُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِحَقِّكُمْ يَوْمَ تَحْكُمُونَ ﴾ [الشورى: ١٤١] ، فلا بد أن تنظر إلى طعامك وتأمر أولادك بذلك لكي تشكروا نعمة الله ، وتدبروا رزق الله ، وتشكروا بنعمة الله عليكم ، هذه فائدة فاضتها .

ثم تذكر حديث النبي ﷺ : « بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فاهلاً : فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه »^(١) ، وإن أحذرك من مجاوزة الحد والطفيان الحاصل في بيوت المسلمين في رمضان في موضوع الطعام والشراب ، قال الله تعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ حُظْرٌ وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ حُظْرٌ فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طه: ٨١] ، إياك والطفيان ، وهو مجاوزة الحد ، يجوز الشبع أحياناً ، لكن اعلم أنه إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

فإذا استوفيت الإفطار تكدر الليل بالنوم ، وإذا استوفيت السحور تحبط النهار بالكسل ، بل تأكل عند الإفطار الثلث حتى تشعر عند السحور بالجوع ،

(١) أخرجه أحمد (١٣٢/٤) ، وصححه الألباني (٢٢٦٥) في «السلسلة الصحيحة» .

فتستيقظ للسحور طاعة لأمر الله وطلباً لمرضاته، والتماساً لصلاة الله وملائكته على المتسحرين، وأيضاً لدفع الجوع الحاصل، والتفوي بالطعام على الطاعة؛ لكي نستطيع أن نعمل في النهار، قال رسول الله ﷺ: «بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه»، صلى الله عليك وسلم يا رسول الله، كان يمر الهلال والهلال والهلال ولا يوقد في بيوت آل محمد نار، وهو سيدنا وسيد الخلق أجمعين ﷺ.

سبحان الملك ١، يظل شهرين ولا يذوق فيهما شيئاً قد طهي على النار، فعلام كان يعيش هو وأزواجه ٢، كانوا يعيشون على التمر والماء، فهل تستطيع أنت أن تعيش على التمر والماء ٢، لماذا لا ٢، ماذا سيحدث لو فعلت ذلك ٢

إذا امتلأت بطنك، وأوشك الطعام أن يخرج من حلقك ١ سوف تستطيل الصلاة، ولن تخشع فيها، وتضطر للخروج إلى الحمام ويطول مكثك فيه، وإذا أردت أن تعرف مقامك، فانظر أين أقامك؛ لذلك خفف، كُلِ الثلث فقط، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

تحذير الإمام والمسجد:

ثم عَجِّلْ بالخروج إلى صلاة العشاء مبكراً لتقف خلف الإمام، وتحذير مسجداً تستريح له وإماماً تستمتع بصوته، ابتعد عن هؤلاء الذين يغنون، وابتعد عن ضجيج المساجد المشهورة، وابحث عن مسجد هادئ نظيف، وابحث عن إمام إذا قرأ حسبته بخشني الله تعالى، ولو كان بعيداً عن بيتك، لا تبخل فالخطوات محسوبة وأجرك مدفوع.

فإنك عندما تدخل هذا المسجد تشعر بالسكينة، وعندما يقرأ هذا الإمام تريد ألا ينتهي، ابحث عن هذا لعله يُرحم فترحم معه، رأيي علي بن أبي

مطالب رجلاً يحمل أمه في الطواف ، فطاف خلفه وقال : والله إنني لأطوف وما كانت لي نية في الطواف ؛ لأنني لمّا رأيت هذا يحمل أمه علمت أنه ستنزل عليه رحمة فاردت أن يصيبني شيء منها . . فأنت عندما تصلي وراء إمام مخلص تشعر بأن الرحمة تنزل عليه وتصل إليك هذه الرحمة ، ولا تمل من الصلاة خلفه .

تدبر القرآن آية آية . . تذكر كيف كانت هذه الآيات تنزل على قلب النبي محمد ﷺ ، كيف كان الصحابة يعملون بها ، وعندما تصلي خلف إمام واحد طيلة الشهر ستعرف بماذا يقرأ غداً ، فاقرا القدر الذي سيقروه قبله أثناء النهار ، وإذا لم تفهم كلمة وأنت تقرأ ارجع إلى كتب التفسير حتى تعيش المعنى الحقيقي للآية عندما يقرؤها الإمام في القيام ، فإذا عشت هذا المعنى فعلاً ؛ فلن تعمل حتى ولو قرأ الإمام طيلة الليل .

كيف أحصل الخشوع في القيام ؟

ولكي تحصل الخشوع يجب أولاً أن تعرف فائدة الخشوع ، قال النبي ﷺ : « إن العبد إذا قام يصلي أتى بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقه ، فكلما ركع أو سجد سقطت عنه ذنوبه »^(١) ، قال الإمام الحنأوي في « فتح القدير » : المراد أنه كلما أتم ركناً سقط عنه ركن من الذنوب . حتى إذا أتم الصلاة تكامل السقوط ، وهذا شرط في صلاة متوفرة الشروط والأركان والخشوع كما يؤذن به لفظ العبد والقيام ، « إن العبد إذا قام يصلي » . . فالشرط أن يكون عبداً وقام ، إذ هو إشارة إلى أنه قام بين يدي ملك الملوك مقام عبد ذليل .

(١) أخرجه ابن حبان (١٧٣٤) ، وصححه الألباني (١٣٩٨) في « السلسلة الصحيحة » .

فائدة لتحصيل الخشوع

أولاً: أنك كلما ركعت أو سجدت سقطت عنك الذنوب .

ثانياً: أن الأجر المكتوب بحسب الخشوع .

ثالثاً: ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها .

رابعاً: أن الرسول ﷺ قال : « ما من امرئ مسلم لحضره صلاة مكتوبة فبحسن وضوءها وخشوعها وركوعها وسجودها إلا كانت كفارة لما قبلها »^(١) .

خامساً: أن الخاشع في صلاته إذا انصرف منها وجد جفّة من نفسه ، وأحسن بأنقال قد وضعت عنه ، يجد نشاطاً وراحة ، وتصبح الصلاة قرّة عين وروحه ، وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا ، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيترجح بها لا منها ، قال النبي ﷺ : « يا بلال ، أرحنا بالصلاة »^(٢) ، وقال ﷺ : « وجعلت قرّة عيني في الصلاة »^(٣) .

هذه خمس فوائد للخشوع اجعلها سبباً لتحصيل الخشوع ، لتخشع في الصلاة المفروضة ، وصلاة القيام وتظل مع الإمام حتى يتم صلاته .

استمر في الصلاة مع الإمام حتى ينتهي ، فقد جاء في حديث أبي ذر قوله ﷺ : « إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حُيبَ له قيام ليلة »^(٤) .

ماذا أفعل بعد الرجوع من القيام ؟

ثم تعود إلى البيت ، لتجري صلاة نافعة لأولادك مثلاً ، استخرج آية من

(١) أخرجه مسلم (٢٢٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٤ / ٥) .

(٣) أخرجه أحمد (١٢٨ / ٣) ، وصححه الألباني (٣٠٩٨) في «صحيح الجامع» .

(٤) أخرجه أحمد (١٥٩ / ٥) ، وصححه الألباني (١٦١٥) في «صحيح الجامع» .

التي كان الإمام يقرؤها فتقول لولدك أو زوجتك : متى سِئمتَ هذه الآية آخر مرة ؟ ، فمن أجاب أعطه جائزة : ثمرة .. أو كتيبا .. أو ورقة أذكار .. أو شريطا جديدا .. أو ملابس العيد .. أو هدية مناسبة ، أو اجعلهم يتنافسون من يختم القرآن أولا ، تفنن في أن تحب الله إلى أولادك وزوجتك .

اجعلهم يحبون الله ، أعطهم وأحسن إليهم وقل لهم : لولا أن الله أمرني بهذا ما فعلت هذا معكم أبدا ، فيحبون الله ، فيحبونك ، اجعل ابنك يحب الله لكي يحبك ؛ لأنه لو أحبك من أجل أنك تعطيه ، فسوف يكرهك عندما تمنعه ، لكن لو أحب الله لأحبك سواء أعطت أو منعت ؛ لأن الله أمره بهذا ، وكذلك فافعل مع زوجتك ، وبعد أن ترجع من المسجد إياك أن تغفل ، احتفظ بحرارة الخشوع ، ولست أطلب منك أن تختم القرآن كل يوم مرة ، ولا كل ثلاثة أيام ، اختمه في كل أسبوع مرة ، يعني اقرأ كل يوم خمسة أجزاء .

اقرأ جزءا في الصباح قبل الصلاة ، وجزءا في المواصلات ، وجزءا بعد العصر مع الأولاد ، وجزءا قبل النوم ، ونصف جزء تقوم به ركعتين في البيت ، فتختم القرآن أربع مرات ، فتكون قد نكثت ثروة كبيرة من الحسنات ، نال الله أن يرزقنا وإياكم الجنة .. تذهب إلى البيت تقرأ جزءا من القرآن ، وتجلس للحاسبة ، ثم تنام مبكرا لتستطيع أن تستيقظ مبكرا .

التهجد :

قال تعالى : ﴿رَبِّمَنِ الْبَيْتِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، تصلي التهجد ركعتين فقط كي تصيب السنة ، لأن الرسول ﷺ قال : «أفضل الصلاة طول القنوت»^(١) ، وعندما تقوم لا تنس أن تقيم امرأتك معك ، قل رسول الله ﷺ :

«رحم الله رجلاً قام من الليل فصلين ركعتين وأبقيت أهله ، فإن أبى نضح في وجهها الماء»^(١) ، اجتهد أن تقوم ساعة أو أكثر قبل أذان الفجر ، لهذا وقت التنزل الإلهي كل ليلة ، بنادي ربنا جل جلاله كل ليلة في السحر في ثلث الليل الآخر : «هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من سائل فأعطيه»^(٢) ، حتى يطلع الصبح وذلك كل ليلة ، فلا يفوتك هذا الفضل العظيم ، وكن من الذاكرين في هذه الساعة فهي بركة اليوم وكل يوم .

قال بعض السلف : ما علمني القيام إلا ولدي ، قرأ يوماً : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ۚ بَلِّغْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ لَا يَلَيْكَ الْغَمُّ ۚ لَا يَلَيْكَ الْغَمُّ ۚ﴾ [المزمل: ١-٢] ، فقال : يا أبت ، ما معنى قم الليل ؟ ، قلت : يا بني أن يصلي العبد في الليل ، قال : يا أبت فمالى لا أراك تقوم ، قلت : هذه الآية خاصة بالنبي ﷺ ، فلما تعلم الولد : ﴿كَانُوا كَلِلاً مِنَ الْبَيْتِ ۚ لَا يَهْتَمُّونَ﴾ [المائدة: ١٧] ، قال : يا أبت ، من هؤلاء ؟ ، قلت : عباد الله المؤمنون ، قال : فمالى لا أراك تقوم ؟ ، قلت : سأقوم من الليلة يا بني ، قال : يا أبت دعني إذا قمت أقوم معك ، فقلت : يا بني أنت صغير لم تكلف بعد ، فتم حتى تستريح ، قال : يا أبت ، أرايت لو بعثني الله يوم القيامة فسالني : لم لم تقم ؟ ، أنول له : أبي نال لي : نعم ؟ ، فبكى الرجل وقال : يا بني قم .

فهكذا ينبغي أن نعلم أولادنا القيام ، أن نريهم على ذلك ، اليوم كثير منا لا يستطيع أن يصلي الصبح ، لأنه لم يترب في بيت يصلي أو كان أهل البيت يصلون لكنهم لم يوقفوه ، وإن استيقظ لا يصلي في المسجد ، فلهذا ينبغي أن نعود زوجاتنا وأولادنا على الاستيقاظ من النوم للصلاة ، بل يجب أن تكون أنت وزوجتك متاويين ، توقظها وتوقفك للصلاة ، وتعتابا وتعتابا إن لم تقوما .

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠) ، وصححه الألباني (٣٤٩٤) في «صحيح الجامع» .

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٨) .

تقوم قبل الفجر ساعة أو ساعتين ، ترقظ أولادك كبيرهم وصغيرهم ، وقبل الفجر بنصف ساعة تحضرون طعام السحور ، قال رسول الله ﷺ : «السحور أكله بركة» فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء ، فإن الله عز وجل وملائكته يصلون على المتسحرين»^(١) ، تأكلون في عشر دقائق ، وتذهب إلى المسجد مبكراً ، وتصلي تحية المسجد قبل الأذان وتجلس تستغفر الله ، ﴿وَالْأَتَّحَرُّمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الزُّمَر: ١٨] ، وفي الحديث القدسي السابق يقول الله : «هل من مستغفر فأظفر له» ، ثم تصلي الصبح ، صلاة مشهودة محضرة .. وهكذا تم يومك .

إخوتاه .. هل عزمتم ؟! ، هل من مشر ؟! ، أسأل الله عز وجل أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، ونسأله أن يوفقنا إلى الخير دائماً في رمضان وفي غير رمضان .. وهكذا أجينا - بحول الله وقوته - على سؤال : كيف تعيش يوماً في رمضان ؟

البرنامج :

- (١) التكير إلى صلاة الصبح في المسجد ، فتخرج من بيتك قبل الفجر بربع ساعة ، وصلاة المرأة في بيتها أفضل ، حكم الشرع .
- (٢) صلاة ركعتين تحية المسجد ، ولزوم الاستغفار حتى يؤذن للصلاة ، ثم صلاة ركعتي السنة .
- (٣) تلاوة جزء من القرآن ما بين الأذان والإقامة إن استطعت وإلا فهو عليك بعد الصلاة .

(١) أخرجه أحمد (٤٤/٣) ، وحث الألباني (١٨٤٤) في «صحيح الجامع» .

(٤) المكوث في المسجد بعد الصلاة ، وقراءة أذكار الصباح ، وجزء من القرآن آخر حتى طلوع الشمس ، مع مراعاة عدم التحدث مع أحد أو الانشغال بأحد .

(٥) صلاة ركعتي الضحى ثم الخروج من المسجد .

(٦) الذهاب إلى العمل أو المدارس والكلية ، أو العودة إلى البيت إن كان هناك وقت ، والنوم لمدة ساعتين .

(٧) إذا كنت متذهب إلى العمل فعليك بالذكر طوال الوقت ، ولا تتحدث إلا فيما يرضي الله عز وجل ، وأنقن عملك ، ولا تفسد صيامك ، وأحسن خلقك ، إياك واللغو والرفث والغيبة والنميمة والكذب والفحش فكلها تنقض الصيام ، واقرأ جزءاً من القرآن قبل صلاة الظهر وبعدها ، وكذلك في صلاة العصر .

(٨) إذا كنت ستعود إلى المنزل ، أو المرأة التي صلت في بيتها ، فستام لمدة ساعتين وتنبه في الساعة تقرأ القرآن وتذكر الله حتى صلاة الظهر .

(٩) عند العودة من عملك ، أو انتهاء المرأة من إعداد الطعام وأعمال المنزل عليك بجمع أولادك حولك تتابعهم وتسالهم ماذا أنجزوا من عباداتهم .

(١٠) يمكنك عمل حلقة قرآن في البيت مع زوجتك وأولادك ، تقرأون القرآن حتى قرب المغرب ، ثم عليكم بالدعاء فإنه لا يرد .

(١١) الإفطار على ثلاث تمرات وشربة ماء ، وصلاة السنة القبلية للمغرب في البيت ، ثم الخروج لصلاة المغرب في المسجد .

(١٢) عليك بأخذ بعض التمر معك ، أو العجوة ، أو العصير ؛ لإفطار الصائمين الذين لم يعودوا إلى منازلهم بعد .

(١٣) صلاة ركعتين تحية المسجد إن كان هناك وقت لذلك ، ثم صلاة المغرب ، ثم العودة إلى بيتك للإفطار مع أهلِكَ ، وتكون زوجتك قد صلت المغرب مع أولادها الصغار .

(١٤) لا تنسى إفطار الفقراء والمساكين ، واشكر نعمة الله .

(١٥) التذكير إلى صلاة العشاء في المسجد لكي تقف خلف الإمام ، ويسكنك أن تأخذ زوجتك وأولادك معك ، وصل مع الإمام حتى ينتهي .

(١٦) عد إلى بيتك واقرا جزئي قرآن .

(١٧) نم حتى الساعة الثامنة صباحاً .

(١٨) الاستيقاظ وصلاة ركعتي تهجد ، وراعي فيهما طول القنوات « الوقوف » .

(١٩) السحور قبل الفجر بنصف ساعة .

(٢٠) الاستغفار ، ثم الذهاب إلى المسجد لصلاة الفجر .

نصائح :

(١) المحافظة على الأذكار الموقفة (الصباح والمساء ، دخول البيت والخروج منه ، دخول المسجد والخروج منه ، دعاء الركوب ، دخول الخلاء والخروج منه) .

(٢) التخليل من الكلام والإكثار من ذكر الله .

(٣) التقليل من الطعام ، والتخليل من الإنفاق والتبذير .

(٤) التقليل من النوم ، والمحافظة على ورد تلاوة القرآن .

(٥) التخليل من المواعيد والارتباطات واللقاءات والمكالمات الهاتفية .

- (٦) التقليل من الخروج من المنزل .
- (٧) التقليل من مخالطة البشر .
- (٨) غض البصر ، حسن الخلق ، الزهد في الدنيا .
- (٩) حفظ اللسان من آفاته جميعاً مثل : (غيبة ، نسيمة ، كذب ، رياء ، بهتان ، لغو ، رفث ، فضول ...) .
- (١٠) المحافظة على جميع السنن القبلية والبعدية للصلوات .
- (١١) المحافظة على السواك .
- (١٢) دوام صدق التوبة باستمرار كل ساعة .
- (١٣) صلة الرحم ، بر الوالدين ، صدقة كل يوم .
- (١٤) إفطار صائمين ، إطعام فقراء ومساكين .
- (١٥) تجميد النية وتحقيقها .
- (١٦) علو الهمة والمنافسة .
- (١٧) ختم القرآن أربع مرات على الأقل خلال الشهر مرة كل أسبوع .
- (١٨) المحافظة على وردك من الذكر يومياً خمسة آلاف مرة (ألف استغفار ، ألف سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، ألف الباقيات الصالحات ، ألف صلاة على النبي ، وألف ورد مختلف يومياً : تهليل ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم وبحمده ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) ، ومن زاد فهو أفضل .

(١٩) عدم مشاهدة التلفاز .

(٢٠) الدعاء بظهر الغيب لجميع المسلمين .

(٢١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٢٢) الكف عن المعاصي تمامًا في رمضان وتجهيد التوبة كل ساعة .

وصيتي لك ..

أيام رمضان أيام تُصان ، هي كالتاج على رأس الزمان ، وصل توقيع القدم من الرحيم الرحمن : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

ياله من وقت عظيم الشأن تجب حراسته مما إذا حل شأن ، كانكم به قد رحل وبان ، ووجه الصالح مع الله ما بان ، فسوف يكون عليك شاهد ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

فمن اللازم أن تُحرس فيه الميكان ، من الواجب أن يُحفظ فيه اللسان ، من المسمين أن تُسح الخطأ في الخطأ القلمان فإنه شهر عظيم الشأن : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

إخوتاه .. زنوا أعمالكم في هذا الشهر بميزان ، اشتروا خلاصكم بما عز وهان ، فإن عجزتم فسلوا المعين وقد أمان ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

إخوتاه .. قد ذهبت السنة وضاعت البضاعة ما بين الضرب والإضاعة ، والتسوية يحق ساعة بعد ساعة ، والشمس والقمر بحبان ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

يا واقفا في مقام التحير ، هل أنت على عزم التغير ، إلى متى ترضى بالنزول في منازل الهوان ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

في زمن مضى هل مضى من أيامك يومٌ صالح ، سلّمت فيه من جرائم القبانح ، نالته قد سبق الراح ، وأنت راضٍ بالخسران في شهر رمضان ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

عينك مطلقاً في الحرام ، ولسانك متبسّط في الآثام ، ولاقدامك على الذنوب إقدام ، والكل في الدبوان حتى في ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

قلبك غائب في صلواتك ، وفكرك ينفضي في شهواتك ، فإن ركن إليك زاكين في معاملاتك ؛ دخلت به خانٌ من خان ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

يا هذا . أكثر كلامك لهوً وهذر ، والوقت بالتفريط شَرٌّ مَرٌّ ، فإن اغتبت مسلماً لم تُثَبِّ ولم تُذَر ، الأمان منك الأمان ولو في ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

تالله لو عَقَلْتُ حالك ، أو ذكرت ارتحالك ، أو تصورت أعمالك ؛ لبنيت بيت الأحزان ، واعتكفت في ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

أخي في الله ، سيّده رمضان عليك ، بنطق لسانك ، ونظر عينيك ، وسيشار يوم الجمع إليك ؛ شقي فلان بن فلان ؛ لأنه ضيع ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

أخي . في كل لحظة تقرب من قبرك ، فانظر لنفسك في تدبير أمرك ، وما أراك إلا في أول شهرك الأول والآخر سيّئان ، متى تصبح في ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

إخوتنا.. قد ذهب العام ومن شعبان النصف، وما أرى من عملك النصف، فإن كان في الماضي قد قبح الوصف؛ فقم الآن.. قم الآن وادع الله أن يصلحك في ﴿نَهْرُ رَمَضَانَ أَكْبَرُ أَنْبَاءِ يَوْمِ الْكُرْءَانِ﴾.



مِثْنًا هَذَا الْعَبْدُكَ يَا

فِي رَمَضَانَ

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ
وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا

مشاهد العبودية في الصيام

إخوته . .

شهر رمضان أيام قلبية في الزمن ؛ متى أشرفت على الدنيا فكان الزمان يقول لأهله : هذه أيام من أنفسكم لا من أيامي ، ومن طبيعتكم لا من طبيعتي ، فيقبل العالم كله على حالة نفسية بالغة السمو ، ويتعهد فيها النفس برياضتها على معالي الأمور ومكارم الأخلاق ، ويفهم الحياة على وجه آخر غير وجهها الكالحي ، ويراهما كأنما أجيبت من طعامها اليومي كما جاع هو ، فيزهدها فيها ، وكأنما أفرغت من خائنها وشهواتها كما أفرغ هو فتسمو أخلاقه ، وكأنما ألزمت معاني التقوى كما ألزمها هو ، وما أجمل وأبدع أن تظهر الحياة في العالم كله - ولو يوماً واحداً - صائمة نهارها ، قائمة ليلها . . ! فكيف بها على ذلك شهراً من كل سنة ؟

ولذلك فإن الصيام تغيير كامل للحياة لا مجرد الامتناع عن الطعام والشهوة مدة من الزمن ؛ ولهذا لا بد أن يكون للصائم مشاهد في هذه العبادة يجد آثارها في قلبه . فإن هذه العبادة تُطْلِعُه على رياض موقنة من أنواع العبودية المختلفة ومن مشاهد العبودية في الصيام :

المشهد الأول : مشهد التوحيد :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَفْبَرِّقُوا أَلَيْدُ رَبِّ قَالِمِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُعَلِّمُ وَلَا يُطَعَّدُ قُلْ إِنَّ أَوَّلَ مَا أُنْزِلَ مِنْ أَمْرٍ وَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤] ، وقال سبحانه : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كُنَّا بِمُرْكِبَاتِنَا الْعِلْمِ كَانَتْ ﴾ [المائدة : ٧٥] .

استدل الله جل جلاله على نفي الروحية صيتم وأمه بأنهما كانا يأكلان الطعام ، فإن الذي يأكل الطعام يحتاج إلى الإخراج ، وفيه ما فيه . .
 فأول مشهد يشهده الصائم مشهد التوحيد ، فيشهد قلبه عظمة الله جل جلاله وعلوه على خلقه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، فهو الغني لا يحتاج إلى شيء ، ولا يحتاج إلى أحد ، ويشهد العبد من نفسه ذله وفقره وفاقة وحاجته ، فامتناعه عن الطعام والشراب سويغات قليلة يرخي جسمه ، ويفتر عقله ، ويقل لسانه ، ويمنع عقله عن التفكير إلا فيما هو محتاج إليه من الأكل والشرب .

وشهود العبد مشهد التوحيد هذا نافع له في صيامه وإفطاره ، فإنه يشهد عظمة ربه وغناه وقدرته سبحانه : ﴿يَسْتَلِمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] ، وقال عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ رُسُلًا مِنْ خَلْقِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَالْتَّوَكَّلُوا﴾ [فاطر: ٢٣] ، وشعور القلب بهذه العظمة يملؤه غنى ، ويمنح القلب قوة في السير إليه سبحانه ، وهذا الشعور بالغنى يستغني به العبد عن رؤية المخلوقين والتوكل عليهم والارتباط بهم والتعلق بهم ، وتطهير القلب من آفات لا تعد ولا تحصى .
 ويقوى هذا المشهد في رمضان دون غيره لاستدامة الصيام ورؤية هذا الحال في الناس ، فإن ثلاثين يوماً يرى فيها العبد انكسار الناس وذللهم لفقد الطعام والشراب وحرمانهم منه ، والغنى العالي الذي يبدو على من شهد مشهد التوحيد يجعله مسروراً بما يجده ، ألم تر أن رسول الله ﷺ أثر الصيام على الإفطار ، فكان يواصل ، ويشبعه مشهد التوحيد هذا فيقول : «أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني»^(١) .

(١) أخرجه أبو دارق (٢٣٧٤) ، وصححه الألباني (٢٠٨٠) في «صحيح أبي دارق» .

فمشهد التوحيد في الصيام أجل مشاهد العبد وأكثرها نفعًا وأكثرها صلة بالفعل ، فافهم واتكئ ولا تتكل .

المشهد الثاني : مشهد الصبر والشكر :

الدين نصفان : نصف شكر ، ونصف صبر .

تكلم العلماء في مسألة أيهما أفضل : الشكر أم الصبر ؟ ، وخلاصة الكلام والله أعلم أن كل حال للعبد كان لواقعه أوفق فهو له أفضل إذا كان لله أرضى .

والإنسان لا ينفك عن الشكر والصبر ، فإنه يعيش حياته ما بين نعم مترادفة تحتاج إلى شكر ، وبين فتن متكاثرة تحتاج إلى صبر ، والصبر أنواع ، صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر على البلاء ، والشكر أنواع : شكر نعم راسخة ، وشكر نعم متجددة ، وشكر نعم حادثة ، وشكر صرف البلاء ، وشكر دفعه . . . وغيرها .

وعظمة رمضان أنه في كل يوم منه يأتي العبد بكل هذه الأنواع من العبودية ، فإن الإنسان يصوم النهار ، فيحتاج إلى الصبر ، الصبر على الطاعة ، والصبر عن المعصية في ذات الوقت ، وهو أيضًا صائم ويرى الطعام والشراب يلحمان بين عينيه ولا يقدر عليهما ، فيتذكر ألم المحرومين الذين يرون ما يشتهون ولا يقدرون عليه تفقر أو مرض أو غير ذلك فيشغل بالشكر .

ويظل يومه هكذا ، ما بين صبر وشكر ، فإذا أفطر في الليل وتناول حاجته من الطعام والشراب وأرضى شهوته ، احتاج إلى شكر أعمق وعمل أكثر ، فعاد مرة أخرى إلى الصبر على الطاعة ليقوم الليل ، والصبر عن المعصية ليمتنع عما يدعو إليه قطاع الطريق إلى الله في وسائل الإعلام وغيرها من المسلسلات والفوازير والأفلام وكل المعاصي الظاهرة والباطنة .

فيظل العبا. المؤمن يعيش أيام رمضان ولياليه متلبساً بتلك العبودية المترادفة بين الشكر والصبر ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوسُكُمْ لِمَن شَكَّرْتُمْ لَا تَزِيدُكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم : ٧] ، وقال سبحانه : ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [١] وأصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل : ١٢٦-١٢٧] ، وقال رسول الله ﷺ : «عجباً لأمر المؤمن أمره كله خير ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(١) .

المشهد الثالث : مشهد القبض والبسط :

هل الحياة محلة ؟ . .

إن الذين لا يفهمون الحياة لا يعرفون كيف يعيشون هذه الحياة ، فإذا لم يعيشوها كما ينبغي شكوا الملل ١١ ، ولا أدري هل هو عقوبة ؟

إن الذين لا يفهمون مراد الله منهم ، فيعيشون الحياة على وتيرة واحدة ، فلا يشعرون بالتجديد والتجدد في معاني الحياة وملذذاتها ؛ يشكون السأم والضجر والملل . .

أما العبد الرباني ، الذي يعيش على مراد الله منه لا على مراده من الله ؛ فإن حياته متجددة ، فهو في كل لحظة بعبادة ، وكل ساعة بنية ، وهذا المشهد يتضح أكثر ما يكون في رمضان ؛ فإن الصائم يعيش ما بين المنع في النهار فيشهد مشهد القبض ثم يفطر وتفتح له أبواب خيرات الله فيشهد مشهد البسط ، وهكذا ما بين نوم ويقظة ، وإفطار وإسك ، ونشاط وراحة ، يعيش المسلم في رمضان بلا سأم ولا ملل ، فإنه كل ساعة في انتظار تغير يحدثه تجدد عبادة من العبادات .

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) .

المشهد الثالث : حسن الخلق :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ خُذِ الزُّكْرَ وَالْمُنْثَىٰ بِالْعَرَفِ وَأَرْضُ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ ﴾ [الأعراف : ١٩٩-٢٠٠] ، وقال رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »^(١) ، وشهر رمضان له علاقة حميمة بالأخلاق السامية ، والمعاني الرفيعة ، فقد قال رسول الله ﷺ : « الصوم جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب ولا يجهل ، وإن سابه أحدٌ أو قاتله ، فليقل : إني صائم »^(٢) .

وكان هذا الحديث وضع أصولاً لأخلاق الصائمين :

أولها : أن الصائم هادئ النفس ، لين الطبع ، في غاية الاحترام ، فإنه يشعر بالمراقبة حال الصيام ، فلا يرفث أي لا يتكلم في الجماع ومقدماته .
ثانيها : لا يفسق : أي إنه لا يخرج عن حدود الأدب ، لا في القول ولا في العمل ، بل هو منضبط إلى أقصى حد .

ثالثها : لا يصخب : لا يرفع صوته ، لأن الصيام نوع من السكون ، يقال صامت الدابة أي سكنت عن الحركة ، وصامت الخيل أي سكنت عن الصهيل ، فأصل الصيام نوع من السكون ، وقد فهم الصائم هذا النوع من التعبيد فلا يصخب ، إنه يكره الضجيج ويحب السكون وال سكوت ، لأنه أجمع لشمل قلبه على ربه .

رابعها : ولا يجهل : والجهل أنواع ، وأبو جهل لا يبالي ، وآباء الجهل كثيرون ، الصائم لا يجهل ، وكل معصية جهالة ، وكل ما عصي الله به فهو

(١) أخرجه أحمد (٣٨١/٢) ، وصححه الألباني (٢٣٤٩) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه أحمد (٣٠٦/٢) ، وصححه الألباني (٩٧٨) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

جهل ، وكل عاص جاهل ، والذي يعامل الناس بما يكرهون يجهل عليهم لأنه يجهل حقهم وهو معاملتهم بالحسن ؛ لذلك أمر الصائم أن يتذكر دومًا ليعلم أنه صائم فيقول : إني صائم .

خامسها : وهو الأهم أنه إذا أودى أو اعتدى عليه أو أضر به أحد ، أو كما قال رسول الله ﷺ : «لإن سابه أحد أو قاتله ؛ فإن المبدأ الإسلامي العظيم يبرز هنا جليًا وهو : رد السيئة بالحسنة .

هذا الخلق المفقود في حياة المسلمين اليوم ، وإني أعتقد أن كثيرًا من منظومة الأخلاق في الإسلام مفقودة ، والأخطر من ذلك أن تبدل هذه الأخلاق وتحول أخلاقيات أهل الغرب هي الأصل ، وتصبح الأمثلة الشعبية والمقولات العامة أصولًا لأخلاق المسلمين في عصرنا ، فصارت الدعوة إلى ظلم الناس لن لا نظلم هي الأصل عند الكثير .

قال الله سبحانه وتعالى : «وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَمَا يُلْقُوهَا إِلَّا الَّذِينَ سَبَرُوا وَمَا يُلْقُوهَا إِلَّا ذُرٌّ حَقْلٍ عَظِيمٍ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّمَا يَرِثُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ نَجَسٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت : ٣٥-٣٦] ، فانظر كيف وعدك الله سبحانه وتعالى أنك إن أحسنت إلى من أساء إليك أحبك حتى صار كأنه ولي حميم ، والآخر يقولون لك : إن سامحته طمع فيك وعلى هذا فقس .

تري إعراض الناس عن وعود الشرع في مسألة الأخلاق ، والاعتماد على تجاربهم الحياتية ، ومن أجل ذلك خذلوا ، يقول رسول الله ﷺ : «ما من شيء أثقل في ميزان العبد من حسن الخلق»^(١) ، وقال ﷺ :

(١) أخرجه أحمد (٤٤٨/٦) ، وصححه الألباني (٥٣٩٠) في «صحيح الجامع» .

«إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا ، وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة»^(١) .

فانتبهز أخي الحبيب فرصة رمضان الكريم ، وحسن أخلاقك لكي تكون في أعلى درجة في هذا الصيام ، قال رسول الله ﷺ : «أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»^(٢) .

المشهد الرابع : الزهد في الدنيا :

المفروض أن رمضان شهر الزهد ، فلنما شرع الصيام ليقع التقليل ، وفرض الله الصيام على الأمة شهرًا كل عام ليعرف الناس قدر الدنيا ، وقيمة الطعام والشراب والشهوات ، وليتمكنوا من التحكم فيها ، فلا تحكمهم ولا تكون أهدافهم وآمالهم في حياتهم ، ويتم التدريب على ذلك لمدة شهر يتكرر كل عام للتذكير بهذه القضية التي يمكن أن نسميها حقًا : الزهد في الدنيا ، ولذلك من مشاهد العبودية في الصيام الزهد ، فما هو الزهد حقيقة .

ذكر ابن القيم - عليه رحمة الله - في كتاب «طريق الهجرتين وباب السعادتين» عند كلامه عن الزهد كلامًا نفيسًا ، ننقله هنا بنصه ، فاقروا وأعدوا فافهم ثم اعمل : «الزهد على أربعة أقسام :

أحدها : فرض على كل مسلم ، وهو الزهد في الحرام ، وهذا متى أخل به مسلم انعقد سبب العقاب ، فلا بد من وجود ميبه ما لم ينعقد سبب آخر يضاده .

الثاني : زهد مستحب ، وهو على درجات في الاستحباب بحسب المزهود

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠) ، وصححه الألباني (٢٨٤) في «السلسلة الصحيحة» .

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٩٣) ، وصححه الألباني (٢٧٣) في «السلسلة الصحيحة» .

فيه ، وهو الزهد في المكروه ، وفضول المباحات والتفنى في الشهوات المباحة .

الثالث : زهد الداخلين في هذا الشأن ، وهم المشعمرون في السير إلى الله وهو نوعان :

أحدهما : الزهد في الدنيا جملة ، وليس المراد تخليتها من اليد ولا إخراجها وقعوده صفرًا منها ، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية ، فلا يلتفت إليها ، ولا يدعها تسكن قلبه ، وإن كانت في يده ، فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك ، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك ، وهذا كحال الخلفاء الراشدين ، وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب المثل بزهده مع أن خزائن الأموال تحت يده ، بل كحال سيد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ، ولا يزيده ذلك إلا زهدًا فيها .

ومن هذا الأثر المشهور : « ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ؛ ولكن الزهد في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك مما في يدك ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك » .

والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء :

أحدها : علم العبد أنها ظل زائل وخيال زائر ، وأنها كما قال الله تعالى فيها : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُحْءٌ وَقَدْ وَرِثَتهُ وَتَفَاضَرُ بَيْنَكُمْ وَلَكِنَّ فِي الْأُمُورِ وَالْأَوَّلِيَّ كَمَثَلِ غَرَسٍ آتَجَبَ الْكَفَّارَ بِهَا ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ﴾ [الحديد : ٢٠] ، وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُرْسِلَتْ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخَلَطُ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا لَفَظَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأُزْهِتْ

وَلَمَّا أَهْلَمَهَا أَنَّهُمْ كَنَدُواكَ عَلَيْهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ
تَرَكَ بِالْأَمْنِ كَذَلِكَ نَقُصُّكَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [يونس : ٢٤] ، وقال تعالى :
﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَبْرَةَ الَّتِي كَانَتْ أَزْوَاجُهَا مِنَ السَّمَاءِ فَلَخْلَخَلَتْ يَدًا فَهَاتَتْ الْأَرْضِ فَاصْبَحَ
هَبِيمًا تَذَرُوهُ الْيَتِيمُ وَكَانَ أَقْبَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدِرًا﴾ [الكهف : ١٥] .

وسماها سبحانه «متاع الغرور» ، ونهى عن الاغترار بها ، وأخبرنا عن سوء
عاقبة المغترين بها وحذرنا من مصارعهم ، وذم من رضي بها واطمان إليها ،
وقال النبي ﷺ : «مالي وللدنيا ، إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح
وتركها»^(١) .

وفي المسند عنه ﷺ حديث معناه : أن الله جعل طعام ابن آدم وما يخرج
منه مثلاً للدنيا ، فإنه وإن قُرُحِه وفلُحِه فليُنظر إلى ماذا يصير ؟ ، فما اغتر بها
ولا سكن إليها إلا ذو همة دنية وعقل حقير ، وقدر خيس .

الثاني : علمه أن وراءها داراً أعظم منها قدراً وأجل خطراً وهي دار البقاء ،
وأن نسبتها إليها كما قال النبي ﷺ : «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم
إصبعه في اليم فليُنظر بم يرجع»^(٢) ، فالزاهد فيها بمنزلة رجل في يده درهم
رُغْل قيل له : اطرحه فلك عوض مائة ألف دينار مثلاً ، فألقاه من يده وجاء
ذلك العوض ، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها زهد فيها .

الثالث : معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئاً كتب له منها ، وأن حرصه عليها
لا يجلب له ما لم يُقَضَّ له منها ، فمتى تيقن ذلك وصار له به علم يقين هان
عليه الزهد فيها ، فإنه متى تيقن ذلك وثُلج له صدره ، وعلم أن مضمونه منها

(١) أخرجه أحمد (٣٠١/١) ، وصححه الألباني (٤٣٨) في «الصحيحة» .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٥٨) .

سيأتيه ، بقي حرصه وتعبه وكده ضائعاً ، والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك ، فهذه الأمور الثلاثة تُسهّل على العبد الزهد فيها ، وتثبت قدمه في مقامه ، والله الموفق لمن يشاء .

النوع الرابع من أنواع الزهد : الزهد في نفسك ، وهو أصعب الأقسام وأشقها ، وأكثر الزاهدين إنما وصلوا إليه ولم يلجوه ، فإن الزاهد يسهل عليه الزهد في الحرام لسوء مغيبته وقبح ثمرته ، وحمايةً لدينه وصيانةً لإيمانه ، وإيثارةً للذة والنعيم على العذاب ، وأنفة من مشاركة الفجار والفجرة ، وحميةً من أن يستأثر لعدوه ، ويسهل عليه الزهد في المكروهات وفضول المباحات : علمه بما يفوته بإيثارها من اللذة والسرور الدائم والنعيم المقيم .

ويسهل عليه زهده في الدنيا معرفته بما ورثها ، وما يطلبه من العوض التام والمطلب الأعلى ، وأما الزهد في النفس فهو ذبحها بغير سكين ، وهو نوعان : **أحدهما :** وسيلة وبداية ، وهو أن تميتها فلا يبقى لها عندك من القدر شيء ، فلا تغضب لها ولا ترضى لها ولا تنصر لها ولا تنقم لها ، قد سُبِلت عِرضُها ليوم فقرها وفاقتها ، فهي أهن عليك من أن تنصر لها أو تنقم لها أو تحببها إذا دعيتك أو تكرمها إذا عصتك أو تغضب لها إذا دُمّت ، بل هي عندك أخسر مما قيل فيها ، أو تُرَفِّقها عما فيه حظك وفلاحك ، وإن كان صعباً عليها ، وهذا وإن كان ذبحاً لها وإماتةً عن طباعها وأخلاقها ، فهو عين حياتها وصحتها ، ولا حياة لها بدون هذا البتة .

وهذه العقبة هي آخر عقبة يشرف منها العبد على منازل المقربين ، وينحدر منها إلى وادي البقاء ، ويشرب من عين الحياة ، ويخلص روحه من سجون المحن والبلاء وأشر الشهوات ، وتعلق بربها ومعبودها ومولاها الحق ، فيا قرّة عينها به ، ويا نعيمها وسرورها بقربه ، ويا بهجتها بالخلاص من عدوها ، واللجوء إلى مولاها ومالك أمرها ومتولي مصالحها

وهذا الزهد هو أول نقدة من مهر الحب ، فيا مفلس تأخر .

والنوع الثاني : غاية وكمال ، وهو أن يبذلها للمحبوب جملة ، بحيث لا يستبقى منها شيئاً ، بل يزهد فيها زهد المحب في قدر خسيس من ماله قد تعلقت رغبة محبوه به ، فهل يجد من قلبه رغبة في إمساك ذلك القدر وحبيه عن محبوه ؟ ، فهكذا زهد المحب الصادق في نفسه قد خرج عنها وسلمها لربه ، فهو يبذلها له دائماً يتعرض منه لقبولها .

وجميع مراتب الزهد المتقدمة مبادئ ووسائل لهذه المرتبة ، ولكن لا يصح إلا بتلك المراتب ، فمن رام الوصول إلى هذه المرتبة بدون ما قبلها فمتعن متمن كمن رام الصعود إلى أعلى المنارة بلا سلم ، قال بعض السلف : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول ، فمن ضيع الأصول حرم الوصول . اهـ كلان ابن القيم

أخي الحبيب . . إذا عرفت الزهد كما ينبغي ، وليس بعد كلام الإمام كلام ، ففرصتك في رمضان أن تشهد هذا المشهد ، خصوصاً أنك مُعان ، لقلة الطعام وقلة الشراب وقلة الفراغ ، والإجهااد من الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، هذه هي الحياة فازهد في الدنيا ووسائلها .

المشهد الخامس : الإيثار :

شهر رمضان مدرسة عظيمة ، والدروس المستفادة من هذا الشهر وظائف للعمر وذكريات في الحياة ، وهو تدريب عملي على مدار أيامه الثلاثين للفهم وتذوق هذه المعاني الإيمانية العالية لكي تكون الحياة على هذا النمط بعد رمضان ؛ لأن في هذه المداومة تربية للنفس وتخليص لها من آفاتنا .

ومن الآفات التي يفيد الصيام في التخلص منها أجل فائدة : الشح ، لأن

النفس مجبولة عليه ، قال تعالى : ﴿ وَأَسْخَرْنَا الْأَنْفُسَ الشَّعْ ﴾ [النساء : ١٢٨] ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُوعَ نَفْسِهِ فَآوَلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ١] ، وقال سبحانه : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِنْكَ لَأَتَّسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِيمَانِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٠] ، فشرع الله الصيام وليلة شهر لملاج هذا العرض ، وذلك بتعويد الإنسان على هذه وهو الإيثار .

وابن القيم - عليه راحة الله أستاذ علم القلوب في مدرسة الريانية ، قد أفاد ، أجاد فبدأ الكلام في هذا الباب وتفصيله في كتاب طريق الهجرتين أيضا ، نقل كلامه هنا بطوله بنصه ، لعل الله ينفعنا جميعا به ، فما بعد العلم إلا العمل ، فخذوه هنيئًا مريئًا .

يقول رحمته : «الدين كله والمعاملة في الإيثار ، فإنه تقديم وتخصيص لمن تؤثر به ما تؤثر به على نفسك ، وقيل : من آثر الله على غيره آثره الله على غيره .

والإيثار إما أن يتعلق بالخلق ، وإما أن يتعلق بالخالق ، وإن نعلق بالخلق فكماله أن تؤثرهم على نفسك بما لا يضرهم عليك وقتًا ، ولا يفسد عليك حالًا ، ولا يضرهم لك دينًا ، ولا يفسد عليك طريقًا ، ولا يضرهم لك وارفًا ، فإن كان في إيثارهم شيء من ذلك ، لإيثار نفسك عليهم أولي ، فإن الرجل من لا يؤثر بنصيه من الله أحدًا كائنًا من كان .

وهذا في غاية الصعوبة على السالك ، والأول أسهل منه ، فإن الإيثار المحمود الذي أنشئ الله على فاعله : الإيثار بالدنيا لا بالوقت والدين وما يعود بصلاح القلب ، قال الله تعالى : ﴿ وَرَبُّهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكَوْنًا لَهُمْ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُوعَ نَفْسِهِ فَآوَلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ١] .

فأخبر أن إيثارهم إنما هو بالشيء الذي إذا وُفِّي الرجل الشَّعْ به كان من

المفلحين ، وهذا إنما هو فضول الدنيا ، لا الأوقات المصروفة في الطاعات ، فإن الفلاح كل الفلاح في الشح بها ، فمن لم يكن شحيحاً بوقته تركه الناس على الأرض عبثاً مفلساً ، فالشح بالوقت هو عمارة القلب وحفظ رأس ماله .
ومما يدل على هذا أنه سبحانه أمر بالمسابقة في أعمال البر والتنافس فيها والمبادرة إليها ، وهذا ضد الإيثار بها ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَارِهُوا أَنْ تُخْفِرُوا بَيْنَ رَبِّكُمْ وَبَيْنَ عَمَلِكُمُ الْعَمَلِ وَالْأَرْضِ أُجِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [ال عمران : ١٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَقِيقُوا أَلْحَادَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ حِكْمٌ لِّمَنْ يَعْلَمُ النَّاسَ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ لَا يَسْتَفْهِمُوا عَلَيْهِ ﴾^(١) أي : لكانت قرعة .

والقرعة إنما تكون عند التراحم والتنافس لا عند الإيثار ، فلم يجعل الشارع الطاعات والقربات محلاً للإيثار ، بل محلاً للتنافس والمباقة ، ولهذا قال الفقهاء : لا يستحب الإيثار بالقربات .

فإن قيل : فما الذي يسهل على النفس الإيثار بالدنيا دون الآخرة ، فإن النفس مجبولة على الأثرة لا على الإيثار ؟ ، قيل : بسهله أمور :

أحدها : رغبة العبد في مكارم الأخلاق ومعاليها ، فإن من أفضل أخلاق الرجل وأشرفها وأصلاها الإيثار ، وقد جبل الله القلوب على تعظيم صاحبه ومحبته ، كما جبلها على بغض المستأثر ومقته ، لا تبديل لخلق الله ، والأخلاق ثلاثة : خلق الإيثار ، وهو خلق الفضل ، وخلق القسمة والتسوية ، وهو خلق العدل ، وخلق الاستثار والاستبداد وهو خلق الظلم .

فصاحب الإيثار محبوبٌ مطاعٌ مهيبٌ ، وصاحب العدل لا سيل للنفس

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٩٠) ، ومسلم (٤٣٧) .

إلى أذاه والتسلط عليه ، ولكنه لا تنقاد إليه انقيادها لمن يؤثرها ، وصاحب الاستئثار النفوس إلى أذاه والتسلط عليه أسرع من السيل في خُذُوبِهِ ، وهل أزال الممالك وقلمها إلا الاستئثار ؟ ، فإن النفوس لا صبر لها عليه ، ولهذا أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالسمع والطاعة لولاة الأمر وإن استأثروا عليهم ، لما في طاعة المستأثر من المشقة أو كره الاستئثار .

الثاني : النفرة من أخلاق اللئام ، ومقت الشح وكراهته له .

الثالث : تعظيم الحقوق التي جعلها الله سبحانه وتعالى للمسلمين بعضهم على بعض ، فهو يرعاها حق رعايتها ، ويخاف من تضييعها ، ويعلم أنه إن لم يذل فوق العدل لم يمكنه الوقوف مع حده ، فإن ذلك عسير جداً ، بل لا بد من مجاوزته إلى الفضل أو التقصير عنه إلى الظلم ، فهو لخوفه من تضييع الحق والدخول في الظلم يختار الإيثار بما لا يُنْقِصُهُ ولا يضره ، ويكتسب به جميل الذكر في الدنيا وجزيل الأجر في الآخرة ، مع ما يجلبه له الإيثار من البركة وفيضان الخير عليه ، فيحود عليه من إيثاره أفضل ما بذله ، ومن جرّب هذا عرفه ، ومن لم يجربه فليستقرئ أحوال العالم ، والموفق من وفقه الله سبحانه وتعالى .

الإيثار المتعلق بعبادة الله :

والإيثار المتعلق بالخالق أجلُّ من هذا وأفضل ، وهو إيثار رضا على رضا غيره ، وإيثار حبه على حب غيره ، وإيثار خوفه ورجائه على خوف غيره ورجائه ، وإيثار الذل له والخضوع والاستكانة والضراعة والتعلق على بذل ذلك لغيره ، وكذلك إيثار الطلب منه والسؤال وإنزال الفاقات به على تعلق ذلك بغيره ، فالأول أثر بعض العبيد على نفسه فيما هو محبوب له ، وهذا أثر الله على غيره ، ونَفْسُهُ من أعظم الأغيار ، فأثر الله عليها فترك محبوبها لمحسوب الله .

وعلامة هذا الإيثار شيان :

أحدهما : فعل ما يحب الله وإن كانت النفس تكرهه وتهرب منه .

الثاني : ترك ما يكرهه ربه وإن كانت النفس تحبه وتمناه .

فهذه الأسماء يصح مقام الإيثار ، ومؤنة هذا الإيثار شديدة لغلبة الأغيار وقوة داعي العادة والطبع ، فالمحنة فيه عظيمة والمؤنة فيها شديدة والنفس عنه ضعيفة ، ولا يتم فلاح العبد وسعادته إلا به ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، فحقيق بالعبد أن يسمو إليه وإن صعب المرتقى ، وأن يشمر إليه وإن عظمت فيه المحنة ، ويحتمل فيه خطراً يسيراً للملك عظيم وفوزاً كبيراً ؛ فإن ثمرة هذا في العاجل والآجل ليست تشبه ثمرة شيء من الأعمال ، ويسير منه يُزَمُّ العبد ، ويسيره ما لا يرقى غيره إليه في المُنَدِّ المتطاولة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولا تتحقق المحبة إلا بهذا الإيثار .

والذي يسهله على العبد أمور :

أحدها : أن تكون طبيعته لينة متفاداة سلسة ليست بجافية ولا قاسية ، بل تنقاد معه بسهولة .

الثاني : أن يكون إيمانه راسخاً ويقينه قوياً ، فإن هذا ثمرة الإيمان ونتيجته .

الثالث : قوة صبره وثباته . اهـ كلام ابن القيم - عليه رحمة الله .

ومشهد الإيثار مشهد عظيم رائع ، يظهر في رمضان أكثر من غيره ، فإن مجرد تركك للطعام والشراب رغم شهوتك الشديدة إلى تناوله طلباً لرضا الله ؛ هذا هو معنى الإيثار ، فاشهد هذا المشهد ، وحامل الله به دوماً ، وقد ذكر لك الإمام معاني الإيثار بالتعام والكمال ، فما بقي عليك إلا العمل بعد الفهم العميق للكلام ، هذه هي الجادة ؛ فهل من سالك ؟

المشهد السادس : استعمار المعاني الإيجابية للصوم :

بعض الناس يظن أن الصيام كبت وحرمان ، ولكني أقول لهم : إن الهدف من الصيام ليس الكبت والحرمان ، وإنما الصيام وسيلة إلى غاية نبيلة ، إنه التدريب على السيادة والقيادة ، قيادة النفس وضبط زمامها ، وكفها عن أهوائها ونزواتها ، بل إنه التسامي بتلك القيادة إلى أعلى مراتبها ، فلقد كنت في بحبوحة الإفطار إنما تحمي جوفك عن تناول السحت والخبيث ، فأصبحت في حظيرة الصيام تفضله حتى عن الحلال الطيب .

ولقد كنت بالأمس تكف لسانك عن الشتم والإيذاء ، فأصبحت اليوم تصونه حتى عن رد الإساءة وعن إجابة التحريش والاستفزاز ، فإن خاصمك أحد أو شاتمك ، لم تزد على أن تقول : إني صائم ، هكذا ملكت بالصيام زمامي شهوتي وغضبي .

وإنه لصبر يجر إلى صبر ، ونصر يقود إلى نصر ، فلئن كان الصيام قد علمك أن تصبر اليوم طائفاً مختاراً في وقت الأمن والرخاء ، فأنت غداً أقدر على الصبر والمصابرة في البأساء والضراء وحين البأس ، ولئن كان الصيام قد علمك كيف تنتصر اليوم على نفسك ، فلقد أصبحت به أجدر أن تنتصر غداً على عدوك ، وتلك عاقبة التقوى ، التي أراد الله أن يرشحك لها بالصيام .

إن هذا الهدف الذي صورناه وحددناه ، إنما يقوم في منتصف الطريق الذي رسمه الله للصائمين ، وإن في نهاية هذا الطريق هدفاً آخر ، بل أهدافاً أخرى أهم وأعظم .

وفي الحق أنه لو كان كل ما يطلب من الصائم هو أن يكف نفسه عن شهواتها وانفعالاتها ، ولم يكن أمامه عمل إيجابي جديد يسد به هذا الفراغ ، إذاً لكانت تجربة الصيام انتقاصاً للطاقة العاملة من ناحية ، دون إمداد لها من ناحية

أخرى ، وإذا لكانت على حد تعبير العلماء « تخلية » بلا « تحلية » ، أو تجارة مأمونة الخسارة ، ولكنها لا ربح فيها ولا غنيمة .

فهل شريعة الصيام في الإسلام هي تلك الصور العارية الجرداء ؟

كلا . . إنها عبادة ذات شطرين ، وليس شطرها الأول إلا تمهيدًا وإعدادًا لشطرها الثاني ، إنها شجرة جذعها الصبر ، ولكن الله لا يريد للصائم أن يترك هذا الجذع قاحلاً ماحلاً ، بل يريد أن ينبت على جوانبه أغصاناً من الشكر ، وأن يتوج هامته بأوراق وثمار من الذكر والفكر ، وإن من تأمل كلمة الضوئى التي عبر بها القرآن الكريم في حكمة الصيام ، يجدها منظومة على هذين الشطرين .

فهي في شطرها الأول : كف وانتهاء ، وإبتعاد واجتناب .

لكنها في شطرها الثاني : إقبال واقتراب ، وإنشاء وبناء .

وإذا فليس الشأن كل الشأن في أن يغلق الصائم منافذ حسه ، ويسكت صوت الهوى في نفسه ؛ فذلك إنما يمثل إغلاق أبواب النيران ؛ ولكن الشأن الأعظم في أن يكون إغلاق منافذ الحس فتحاً لمسالك الروح ، وأن يكون إسكات صوت الهوى تمكيناً لكلمة الحق والهدى ، فتلك هي مفاتيح أبواب الجنان .

ومن كان في شك من أن هذا الجانب الإيجابي ، هو الهدف الأخير لشريعة الصوم ، فليقرأ كتاب الله يجد دلائله ماثرة في تضاعيف آيات الصيام ، وليطالع سنة رسول الله ﷺ ، يجد معالمه مبسطة في هديه النبوي قولاً وفعلًا ، والعجيب في هذا التوجيه أن الإسلام لم يترك الأمر بالصيام دعوة مرسلة ، بل وضع له مناهج معينة ، ورسم له خططاً مفصلة ؛ ذلك أنه لما جعل شهر الصيام موسمًا لانطلاق الروح من عقالها ؛ فتح فيه للأرواح بابين تتدفق منهما : باباً إنسانياً ، وباباً ربانياً .

فأما انطلاق الروح من الباب الإنساني : فذلك أنه أرشدنا إلى أن يكون

زهدنا في الطعام والشراب ليس قبضاً وإمساكاً بالحفظ والادخار، بل بسطاً وسخاء بالبذل والإيثار: لا تد أيها الصائم جوعتك، ولا تنفع غلتك فحسب، ولكن أطعم الجائع واسق الظمآن، وهذا هو الصوم كما فهمه إمامنا الأعظم صلوات الله عليه، فقد كان أجود ما يكون في رمضان، حتى إنه كان فيه أجود من الريح المرسلة.

وما زكاة الفطر في آخر رمضان إلا الحلقة الختامية، والمظهر العلني الجماعي لهذه الحركات النفسية الفردية، التي تحولت فيها فضيلة الصبر، إلى فضيلة الشكر، اتباعاً لإرشاد القرآن الكريم حين يقول: ﴿وَلْيُشْكِرُوا لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَنَشْكُرَ لَهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأما انطلاق الروح في رمضان من الباب الرباني؛ فذلك أن الإسلام فتح فيه للطاعة مسالك وسلوك، ورسم لها سُبُلًا دُلَلًا، تسبيح وتحميد، تكبير وتمجيد: ﴿وَلْيُحَمِّدُوا اللَّهَ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَنُحَمِّدَ لَهُ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ركوع وسجود، وقيام وتشمير ونهوض: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١)، وما الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان إلا نهاية الشوط في السير، إقبالا على الله وانقطاعا بالكلية إليه: ﴿وَلَا تُبَيِّنْ رُفُوقَكَ وَأَنْتَ عَنْكَ تُدْعَى فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ألا وإن ذروة الأمر وسنائه في هذا الجانب الرباني، إنما هو في مناجاة الله بكلامه، وفي مداورة كتابه، كما كان يفعل الرسول المصطفى من البشر، والرسول المصطفى من الملائكة، إذ كانا يتدارسان القرآن في رمضان في كل عام، ولأمر ما نَوَّه الله بهذه الصلة الوثيقة بين رمضان وبين القرآن، وجعلها

(١) مطلق عليه البخاري (٢٨)، مسلم (٧٦٠).

أولى المناقب والمزايا التي اختص بها هذا الشهر المعظم ، فقال جلّت
حكمت : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ
الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] ؛ فكان ذلك إيماء لنا بأن نجعل حظ رمضان من
القرآن أوفر المحفوظ .

لما كان الأصل العمل والجهاد في سبيل الله ؛ فإن رسول الله ﷺ جاهد
في رمضان ليصل إلى أعلى درجة في العبادة ، دائماً في المركز الأعلى ، فكان
عند الموت يقول : «بيل الرفيق الأعلى»^(١) ، شرط بشرط ، ولكل سلعة ثمن .

أما صوم التَّوَم .. أما صوم البطالين .. فقال هؤلاء والجنة ١٩

مالك أنت والمحبة وأنت أسير المحبة ، تعلقت بها تعلق الرضيع بالظئر ،
والقوم ما أعاروها الطرف .. فالنبي ﷺ كان يصوم ويجاهد .. يصوم
ويقوم .. يصوم ويتلو .. يصوم ويدعو .. يصوم ويصلي .. يصوم ويعلم ..
يصوم ويتلقى القرآن ويعلمه ويدعو به وإله .. بأبي أنت وامي وتغني
يا رسول الله ﷺ .

لذلك إخوتاه فإن الصيام ليس موسماً للنوم ، إنك مسلم ، فلا بد أن تكون
عالي الهمة تطلب القمة ، لأنك صاحب دين قيم .. في هذه الآية : ﴿قُلْ إِنِّي
هَدَيْتُ نَفْسِي لِمَا صَرَفَ مُتَّبِعِي وَيَكْفِيكَ﴾ ، توجد قراءة أخرى وهي ديناً قيماً ،
وذلك الدين القيم يجعلك حين تسلم وتستسلم : تصوم وتبذل جهلك وتستعين
بالله جل جلاله ، قال الله سبحانه : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥] ،
أيها الناس .. أيها الإخوة .. أيها الأخوات .. إذا أردتم النجاح ؛ فاستعينوا
بالصبر والصلاة .. والتزموا العبودية أينما حلّت ركائبها .

(١) متفق عليه ، البخاري (٤١٧٦) ، مسلم (٢٤٤٤) .

المشهد السابع : الجود والإحسان :

قال ابن عباس رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من شهر رمضان فيدارسه القرآن . كان رسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة »^(١).

الله الكريم يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَأَنَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَنِّتُ﴾ (الضحى : ١١) ، ومن أسماء الله الحسنى «المنان» ؛ فهو سبحانه يحب المدح ، ورمضان شهر كثير البركات عظيم الخيرات ، جاد الله فيه على عباده بأنواع من النعم ؛ فوجب أن يكون للعبد في المقابل أنواع من الجود شكراً لهذه النعم ؛ أسوة بالنبي محمد ﷺ ؛ فإنه وإن كان أجود من الريح المرسلة في غير رمضان ؛ إلا أنه كان يصير أجود من ذلك في رمضان .

إننا نريد أيها الأخ الكريم أن تظهر لله أنواعاً من الجود في رمضان :

- أطعم الفقراء والمساكين ، من طعامك الذي تأكله على مائدتك أو أفضل .
- تصدق بصدقة من أعز ما تملك .
- أكرم فقيراً بأكثر مما يتمنى .

نريد منك مظاهر جود لم تحدث من قبل . . . اقسم عمر مائة مع الله ، وخرج أبو بكر من ماله كله ، فماذا أنت فاعل ؟

واعلم أنه لم تستجلب نعم الله قط وإكرامه وفضله بمثل الجود وإكرام خلقه .



(١) أخرجه النسائي (١٢٥ / ٤) ، وصححه الألباني (٢٠٩٥) في «صحيح النسائي» .

رَمَضَانُ الْقُرْآنِ

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)

هُدًى لِلنَّاسِ

وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)

رمضان والقرآن

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

رمضان شهر القرآن العلاقة بينهما وثيقة والارتباط عظيم .

فلا بد من الحديث عن القرآن بتفصيل شديد والعناية به في هذا الشهر الفضيل عناية خاصة ولذلك إليكم هذا الفصل الممتع عن القرآن الكريم فاقروا بزوية ولا تتعجل كي تعمل .

القرآن . . كتاب الله الخالد ، الذي أخرج الله به هذه الأمة من الظلمات إلى النور فأنشأها النشأة الأولى وبدلها من بعد خوفها أمناً ، ومكن لها في الأرض ، ووهبها مقوماتها التي بها صارت أمة ، ولم تكن من قبل شيئاً ، وهي بدون هذه المقومات ليست أمة وليس لها مكان في الأرض ، ولا ذكر في السماء ، فلا أقل من شكر الله على نعمة هذا القرآن بالاستجابة إلى صوم الشهر الذي نزل فيه القرآن . .

القرآن . . كتاب هذه الأمة ، هو روحها وباعثها ، وقوامها وكيانها ، وهو حارسها وراعياها ، وهو بيانها وترجمانها ، هو دستورها ومنهجها ، وهو زاد الطريق . .

ولكن سنظل هناك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن مالم نتمثل في حنا ، ونستحضر في تصورنا أن هذا القرآن خطوبت به أمة ذات وجود حقيقي ، ووجهت به أحداث واقعية في حياة هذه الأمة ، وأدبرت به معركة ضخمة في داخل النفس البشرية وفي رقعة من الأرض كذلك .

سيظل هناك حاجر سميك بين قلوبنا وبين القرآن طالما نحن نتلوه كأنه مجرد تراويل تعبدية مهومة ، لا علاقة لها بواقع الحياة البشرية ، بينما هذه الآيات نزلت لتواجه نفوسًا ووقائع وأحداثًا حية .

آيات متزلة من حول العرش ، فالأرض بهذه الآيات سماء وهذه الآيات لتلك السماء كواكب ، بل الجند الإلهي قد نشر له من الفضيلة علم ، وانضوت إليه من الأرواح مواكب ، أغلقت دونه القلوب فاقتمحت أفعالها ، وامتنعت عليه أعراف الضمائر فابتز أنفالتها .

ضمائر العرب امتنعت عن القرآن بما استوعر فيها من العادات والأخلاق ، فنقد إليها وابتزها وغلبها على أمرها ..

كم صدوا عن سبيله صدىً ، ومن ذا يدافع السيل إذا هدر ؟ ، واعترضوه بالأسنة رداً ، ولعمري من يرد على الله القدر ؟

الفاظ إذا اشتدت فأمواج البحر الزاخرة ، وإذا لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، متى وُعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب . وإن أُوعدت بعذاب الله جعلت الألسن ترعد من حُمن القلوب .

معان هي عذوبة ترويك من ماء البيان ، ورقة تستروح منها نسيم الجنان ، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان ، ثَرِفٌ بندي الحياة على زهرة الضمير ، وتحلق في أرواحها من معاني العبرة معنى العبير ..

يجري في الخواطر كما تصعد في الشجر قطرات الماء .

ويتصل بالروح فكانما يَمُدُّ لها بسبب إلى السماء ..

الفاظ لم تعهد كَلَمَ أحداقها ، وثمرات لم تثبت في قَلَمٍ أوراقها ، ونورٌ عليه رونق الماء فكانما اشتعلت به الغيوم ، وماء يتلألأ من الثور فكانما عُصر من النجوم ..

وهل رأوا إلا كلاما تضيء ألفاظه كالمصابيح ، فعصفوا عليه بأفواههم كما تعصف الرياح ، يريدون أن يطفئوا نور الله ، وأين سراج النجم من نفخة ترتفع إليه كأنما تذهب تطفئه ، وأين نور القمر من كف يحسب صاحبها أنها في حجمه فيرفعها كأنما يخفيه !

وهيئات هيات ، دون ذلك دَرْجُ الشمس وهي أم الحياة في كفن ، وإنزالها بالأيدي وهي روح النار في قبر من كهوف الزمن .

لا جرم أن القرآن سر السماء ، فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول ، ولذلك إن تعادى أهل الباطل في طغيانهم يعمهون ، فتظل آياته تلقف ما يافكون ، ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨] ^(١).

فضائل القرآن :

(١) القرآن رحمة :

قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْحِكْمَ بِبَيِّنَاتٍ لِّكَ فِي ذَلِكَ لَرُحْمَةً وَفَضْلًا لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠١] ، أولم يكفهم أن يعشوا مع السماء بهذا القرآن ، بشعرهم أن عين الله عليهم ، وأنه معني بهم ينزل عليهم كلامه ، يحدثهم بما في نفوسهم ، وهم هذا الخلق الصغير الضئيل الناه في ملكوت الله الكبير . .

والله بعد ذلك بكرمهم حتى أنه ينزل عليهم كلماته تتلى عليهم ، والذين يؤمنون هم الذين يجدون مسرحة رحمة الله في نفوسهم ، وهم الذين يتذكرون فضل الله وعظيم منته على البشرية بهذا التنزيل ، ويستشعرون كرمه وهو

(١) إعجاز القرآن للرافعي (٢٩-٣١) .

يدعوهم إلى حضرته وإلى مائدته وهو العلي الكبير ، وهم الذين ينفعهم هذا القرآن ؛ لأنه يحيا في قلوبهم ، ويفتح لهم عن كنوزه ، ويمنحهم ذخائره ويشرق في أرواحهم بالمعرفة والنور . .

(٢) القرآن طمانينة :

الإيمان بكلام الله والعيش معه طمانينة في القلب واستقامة على الطريق ، وثبات على الدرب ، وثقة بالسند ، واطمئنان للجمي ، ويقين بالعاقبة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨] ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ لِقَاءِ إِثْمِكُمْ إِتْبَاءًا تَتَذَكَّرُ فِيهِ لِقَاءَ رَبِّكَ إِنَّكَ بِعَيْنِنَا لَمُشْهُودٌ ﴾ [الزمر: ٢٣] .

الحياة في ظلال القرآن نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها ، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه ، أي تكريم للإنسان يفوق هذا التكريم العلوي الجليل أن يخاطبه الله جل جلاله ويفهم ١٩ ، أي نعمة أعظم من نزول القرآن ١٩ ، نعمة لا يسعها حمد البشر ، فحمد الله نفسه على هذه النعمة فقال جل جلاله : ﴿ نَحْمَدُكَ يَا إِلَهَ الْإِلَهِ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَنَا فِيهِ حَرَجًا ﴾ [الكهف: ١] .

أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل ؟ ، أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان القليل الصغير خالقه الكريم ؟

هيمنة الله على الإنسان في هذه الأرض . . البينة التي ولد الإنسان معها ميلادًا جديدًا ، ونشأ بها الإنسان نشأة جديدة . .

وليس أشقى على وجه الأرض ممن يحزمون طمانينة الأنس إلى الله ، ليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتور الصلة بما حوله في الكون ، لأنه

انفصم من العروة التي تربطه بالله ، ليس أشقى في الحياة ممن يشق طريقه وحيداً شاردًا في فلاة ، عليه أن يكافح وحده بلا ناصر ولا هاد ولا معين . . هذا القرآن المجيب ، الذي لو كان من شأن قرآن أن تسير به الجبال أو تقطع به الأرض أو يكلم به الموتى ، لكان في هذا القرآن من الخصائص والمؤثرات ما تتم معه هذه الخوارق والمعجزات ، ولكنه جاء لخطاب المكلفين الأحياء .

(٣) القرآن صانع الرجل :

لقد صنع هذا القرآن في النفوس التي تلقته وتكيفت به أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى ، ولقد صنع في هذه النفوس وبهذه النفوس خوارق أضخم وأبعد آثارًا ، فكم غير الإسلام والمسلمون من وجه الأرض ، إلى جانب ما غيروا من وجه التاريخ .

الذين تلقوه وتكيفوا به سيروا ما هو أضخم من الجبال وهو تاريخ الأمم والأجبال ، وقطعوا ما هو أصعب من الأرض ، وهو جهود الأفكار والتقاليد ، وأحبوا ما هو أخس من السموات ، وهو الشعوب التي قتل روحها الطغيان والأوهام .

قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْرَبُ﴾ [الاسراء: ٩] ، يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور ، بين ظاهر الإنسان وباطنه ، في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة ، في حلاقات الناس بعضهم ببعض . .

(٤) القرآن شفاء :

قال تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الاسراء: ٨٢] ، في القرآن شفاء ، وفي القرآن رحمة لمن خالطت

قلوبهم بشاشة الإيمان فأشرقت ، وتمتحت لتلقي ما في القرآن من روح وطمأنينة ..

في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة ، فهو يصل القلب بالله ، فيرضى ويستروح الرضا عن الله والرضا عن الحياة .

والقلق مرض ، والحيرة نصب ، والوسوسة داء ، ومن ثم هو راحة للمؤمنين ..

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان .
وفي القرآن شفاء من الاتهامات المختلفة في الشعور والتفكير ، فهو يعصم العقل من الشطط .

وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء المجتمعات .

(٥) القرآن حماية بعد الهداية :

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَشَأْ مِنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَمْ يَشَأْكَ فَهَوْ لَمْ قَرِينٌ﴾ [الزمر: ٣٦] ، وأسوأ ما يفعله قرين بقرينة أن يصنعه من السبيل الواحدة القاصدة ، ثم لا يدعه يفيق أو يتبين الضلال فيتوب ؛ إنما يوجهه أنه سائر في الطريق القاصد القويم ، حتى تفاجئهم النهاية وهم سادرون ، هنا يفيقون كما يفيق المخمور ، ويفتحون أعينهم بعد العشى والكلال .

فالقرآن بحميك في طريقك إلى الله ، وبصرف عنك شياطين الجن ، ويعطيك من الحجة ما تغلب به شياطين الإنس .

(٦) القرآن حياة القلوب :

وقال تعالى : ﴿إِنَّكُمْ يَأْتِيَنَّكُمْ عَمَلُكُمُ أَنْ فَتَحَ قُلُوبُهُمْ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْكُمْ وَمَا تَزَالُ مِنْ

الْحَقِّ» [المعبد: ١٦] ، لا بأس من قلبِ حَمَدٍ وجَدٍ وقسا وتبَلَّد ، فإنه يمكن أن تُدبِّب فيه الحياة ، وأن يشرق فيه النور ، وأن يخشع لذكر الله ، فالله يحيي الأرض بعد موتها ، فتنبض بالحياة ، وتزخر بالنبت والزهر ، وتمنح الأكل والشمار ، وكذلك القلوب حين يشاء الله ، وفي هذا القرآن ما يحيي القلوب ، كما تحيا الأرض وما يمدّها بالغذاء والري والدفء .

قال تعالى : ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِلَهَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُشَلَّنَ عَلَيْهِمْ يُخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَان وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٨] ، هم لا يسجدون ولكن : ﴿يُخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ ، لا تكفي الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدورهم منه ، فإذا الدموع تنطلق معبرة عن ذلك التأثير الغامر الذي لا تصوره الألفاظ . .

هذا أثر القرآن في القلوب المفتحة لاستقبال فيضه ، العارفة بطبيعته وقيمته ، وإني لأعجب لقراء القرآن كيف يهتفهم النوم ومعهم القرآن ، أما والله لو علموا ما حملوا لطار النوم عنهم فرحًا .

رمضان والقرآن :

قال ابن رجب كليلة في «لطائف المعارف» : «الصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها ، سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها ، أو لا يختص كشهوة فضول الكلام المحرمة ، والنظر المحرم والسماع المحرم ، والكسب المحرم ، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة ، ويقول : يا رب . . منعت شهواته فشفعني فيه ، فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهواته ، فأما من ضيع صيامه ولم يمتنع مما حرم الله عليه ، فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ويقول له : ضيعك الله كما ضيعتني .

قال بعض السلف : إذا احتضر المؤمن يقال للملك : شُـمَّ رأسه ، قال : أجد في رأسه القرآن ، فيقال : شُـمَّ قلبه ، فيقول : أجد في قلبه الصيام ، فيقال : شُـمَّ قدميه ، فيقول : أجد في قدميه القيام ، فيقال : حفظ نفسه حفظه الله عز وجل .

وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل ، من قرأ القرآن وقام به فقد قام بحقه فيشفع له ، أما من كان معه القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار ، فإنه ينتصب القرآن خصماً له يطالبه بحقوقه التي ضيعها ، اهـ .

وقد « كان النبي ﷺ أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة »^(١) .

قال ابن رجب : « دل الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك ، وعرض القرآن على من هو أحفظ له ، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان .

وفي الحديث أن المدرسة بين جبريل عليه السلام وبين النبي ﷺ كانت ليلاً ، فيدل ذلك على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن ليلاً ، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهم ، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ كَثِيرَةً أَلْيَٰلٍ لَّيَ ۤأَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيْلًا ﴾ [المزمل: ٦] اهـ .

قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة »^(٢) ، وقال ﷺ : « يأتي القرآن يوم القيامة فيقول : يا رب خلّه ، فيلبس تاج

(١) منفق عليه ، البخاري (٦) ، ومسلم (٢٣٠٨) .

(٢) أخرجه أحمد (١٠٣/٤) ، وصححه الألباني (٦٤٤) في « الصحيحة » .

الكرامة، ثم يقول : يا رب زده ، فلبس حُلَّة الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارضه ، فيرضى عنه ، فيقول : اقرا وارزق ، ويزاد بكل آية حسنة^(١).

قال أحمد بن الحواري : إني لأقرأ القرآن وأنظر في آية فيُخَيِّر عقلي بها ، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ، ويسمهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله ، أما إنهم لو فهموا ما يتلون ، وعرفوا حقه وتلذذوا به ، واستحلوا المناجاة به ؛ لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا .

وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن . .

وكان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم .

وكان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء في كل ليلة من رمضان . .

وقال ربيع بن سليمان : كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة ، ما منها شيء إلا في صلاة .

وكان قتادة يختم القرآن في كل سبع مرة ، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة ، فإذا دخل العشر ختم في كل ليلة مرة . .

وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة ، وفي بقية الشهر في ثلاث . .

وكان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين ، وفي غير رمضان في كل ست ليال . .

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٥) ، وحت الألباني (٨٠٣٠) في «صحيح الجامع» .

إخوتاه ..

هذا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن عباد الله ، وفي بقيته للعابدين مستمتع ، وهذا كتاب الله يتلى فيكم بين أظهركم ويسمع .
وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأته خاشعاً متصدعاً ، ومع هذا فلا قلب يخشع ، ولا عين تدمع ، ولا صيام يمان عن الحرام فينفع ، ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع ، وتراكم علينا ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع ..

كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة ، وكم يتوالى علينا رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقوة ، لا الشباب منه يتهي عن الصبوة ، ولا الشيخ يتزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة ، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة ، وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة ، وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار ، أفما لنا فيهم أسوة ؟ ، ما بيننا وبين حال الصفا أبعد مما بين الصفا والمرورة ، كلما حسنت شيئاً الأقوال صامت الأعمال ..

فهل من توبة صادقة وعزيمة ماضية .. نتلو كتاب الله بالتدبر والفهم فيكون لنا شافعاً عند ربنا فيرفع ما بنا من غمة ..
هيا لنفهم القرآن مع كيفية تحصيل لذة القرآن :

أيها الإخوة ..

إذا عرفنا الآن أهمية القرآن في العودة بالامة .. وعرفنا كيف نحفظه ونتعلمه كما حفظه الصحابة ؛ لتربى عليه وعرفنا ما هو المطلوب منا بالنسبة للقرآن في نقاط محددة .. بقي أن نعرف كيف نحصل لذة تلاوته وقراءته ، لاسيما ونحن في شهر القرآن .

رسول الله ﷺ : فإذا هي تمت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً ، قال ابن عباس رضي الله عنه : لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلتهما وأتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمةً ، وجليي أن الترتيل والتؤدة أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال .

(٤) البكاء :

وهو مستحب مع القراءة ، ومشوّء الحزن ؛ وذلك أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد ، والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره ؛ فيحزن لا محالة ويكي .

(٥) أن يراعي حق الآيات :

فإذا مر بآية سجدة سجد ، وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالي ، ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة ، وقد قيل في كمالها : إنه يكبر رافعاً يديه لتحريمه من وقوف ثم يهوي ساجداً ، ثم يرفع ويستكمل القراءة .

(٦) آداب الترتيل :

أن يقول في مبتدأ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وفي أثناء القراءة إذا مر بآية تسبيح سبح وكبر ، وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر ، وإن مر بمرجؤ سأل ، وإن مر بمخوف استعاذ ، يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه .

(٧) الأسرار بالقراءة :

فهو أبعد عن الرياء والتصنع ؛ وهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه ، فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش على مُصلٍّ ؛ فالجهر أفضل ؛ لأن العمل فيه أكثر ، ولأنه يوقف قلب القارئ ، ويجمع همه إلى الفكر

فيه ، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت ، ويزيد في نشاطه للقراءة ، ويقلل من كسله ، فمضى حضره شيء من هذه النيات ؛ فالجهر أفضل .

(٨) تحسين القراءة :

وترتيبها من غير تعطيط مفرط يغير النظم ؛ فذلك شئ ، وفي الحديث : «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(١) ، وفي آخر : «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»^(٢) ، قيل : أراد به الاستغناء ، وقيل : أراد به الترنم وترديد الألحان به ، وهو أقرب عند أهل اللغة ، واستمع ﷺ إلى قراءة أبي موسى فقال : «لقد أوتي هذا من مزمار آل داود»^(٣) ، ويروى أن أصحاب الرسول ﷺ كانوا إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن .

وأما الآداب الباطنة :

(١) فهم عظمة الكلام :

فهم عظمة الكلام وعلوه والاعتراف بفضله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه ، فليُنظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهام خلقه ؟ ، وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر ، إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ، ولولا استار كُتبه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ، ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه ومنبجحات نوره ، ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى ﷺ ، لما أحاط سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار ذكاً .

(١) متفق عليه ، البخاري (٤٦٥٣) ، مسلم (٧٩٢) .

(٢) البخاري (٧٠٨٩) .

(٣) متفق عليه ، البخاري (٤٧٦١) ، مسلم (٧٩٣) .

لا بد لك أيها التالي للقرآن أن تعرف أن القرآن كلام الله وأن صفة التكليم من صفات الجلال للرب جل وعلا ، وربك جل جلاله إذا تجلنى لشيء لم يقم لعظمة جلاله سبحانه شيء ، ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْعَبْدِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوَدِّعًا سَوْفًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتْ لِيْلِكَ ﴾ [الأنعام: ١٤٣] .

فافهم واعرف أيها الحبيب المحب أن صفة الكلام من صفات الملك جل جلاله ولها عظمة من عظمته سبحانه ، وكما أنه سبحانه كما ثبت في الحديث أن «حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما ابقى إليه بصره من خلقه»^(١) ، فلا بد من حجاب لهذه الصفة .

فجعل الله وهو الرحيم بعباده الكريم الحروف والأصوات كأنها حجاب لصفة الكلام ؛ لتستطيع القلوب والعقول مطالعة هذه الصفة وإلا لصار الخلق دكا كما جرى للجبل ، قال سبحانه : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةٍ ﴾ [الحشر: ٢١] .

فاحمد الله أيها التالي للقرآن على هذه المنة العظيمة أن تتمكن من تلاوة القرآن الذي هو كلام الله ، والكلام صفة من صفات الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَيَّنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴾ [الحشر: ١٧] .

(٢) التعظيم للمتكلم :

فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر ، وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر ، فإنه تعالى قال : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩] ، وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللمس إلا إذا كان

(١) أخرجه ابن ماجه ، وصححه الألباني (١٨٦٠) في «صحيح الجامع» .

متطهراً ، فباطنُ معناه أيضاً بحُكم عِزِّه وجلالِه محجوبٌ عن باطن القلب إلا إذا كان القلب متطهراً من كل رُجس ، ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير .
وكما لا يصلح لِمَنْ جلدُ المصحفِ كلُّ يَدٍ ، فلا يصلح لتلاوة حروفه كلُّ لسان ، ولا لنيل معانيه كلُّ قلب .

فتعظيمُ الكلام تعظيمٌ للمتكلم ، ولن تُخضِرَه عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله ، فإذا حضر بباله العرشُ واستواءُ ربِّه عليه ، والكرسيُّ الذي وُيِّع السموات والأرض ، واستحضر مشهد السموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار ، وعلم أن الخالقَ لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد ، وأن الكل في قبضته مترددون بين فضله ورحمته ، وبين نقمته وسلطوته ، إن أنعم فيفضله ، وإن عاقب فبعدله ، وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي ، وهذا غاية العظمة والتعالي ، فبالفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ومن ثم تعظيم الكلام .

(٣) حضور القلب وترك حديث النفس :

قيل في تفسير : ﴿يَتَذَكَّرْنَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ [سجدة : ١٢] ، أي بجِدِّ واجتهاد ، وأخذَه بالجد أن يكون متجرداً له عند قراءته منصرف الهمّة إليه عن غيره ، **وقيل لبعضهم** : إذا قرأت القرآن تُحدِّث نفسك بشيء ؟ ، فقال : أو شيء أحبُّ إليَّ من القرآن حتى أحدث به نفسي !

وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية .

وهذه الصفة تتولد عمّا قبلها من التعظيم ، فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ، ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان

التالي أهلاً له ، فكيف يُطلَّب الأنس بالفكر في غيره وهو متنزه ومتفرج ، والذي يخرج في المتزهات لا يفكر في غيرها ، فقد قيل : إن القرآن ميادين ، وبساتين ، ومقاصير ، وعرائس ، وديابيج ، ورياض .

فإذا دخل القارئ الميادين ، وقطف من البساتين ، ودخل المقاصير ، وشهد العرائس ، ولبس الديباج ، وتنزه في الرياض ، استغرقه ذلك وشغله عما سواه ، فلم يعزب قلبه ، ولم يتفرق فكره .

(٤) التدبر :

وهو وراء حضور القلب ، فإنه قد لا يفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه ، وهو لا يتدبره ، والمقصود من القراءة التدبر ؛ ولذلك سُئِلَ الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن .

قال علي عليه السلام : لا خير في عبادة لا يفقه فيها ، ولا في قراءة لا تدبر فيها . وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد الآية فليردد إلا أن يكون خلف إمام ، فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئاً ، مثل من يشتغل بالتمجيب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه ، وكذلك إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا رسواس .

روي عن عامر بن عبد قيس أنه قال : الوسواس يعتريني في الصلاة ، فقبل : في أمر الدنيا ؟ ، فقال : لأن تختلف في الأسته أحب إلي من ذلك ؛ ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي عز وجل ، وأني كيف أنصرف ، فعُدُّ ذلك وسواساً ، وهو كذلك ؛ فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه ، والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهم ديني ، ولكن يمنعه به عن الأفضل .

وعن أبي ذر قال : قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي :

﴿إِنْ مَّدَّيْتُمْ لَأَيُّكُمْ يُبَادِلُ وَإِنْ تَغْيِرْ لَهُمْ فَلَا تَكُ أَنْتَ الْغَيْرُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] ،
 وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية : «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الشِّفَاتِ أَنْ يَحْمِلَهُمْ
 كَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَلِلُوا الصَّالِحِينَ سَوَاءٌ نَحْمِلُهُمْ وَمَسَائِلُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» [البجائية :
 ٢١] ، وقام سعيد بن جبير بردد هذه الآية : «وَأَقْسَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ» [س :
 ٥٩] ، وقال بعضهم : إني لأفتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ
 منها حتى يطلع الفجر .

وكان بعضهم يقول : آية لا أنفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعُدُّ لها ثواباً ،
 وحكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال : إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال
 أو خمس ليال ، ولولا أنني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها .

وعن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من
 التدبر فيها ، وقال بعضهم : لي في كل جمعة ختمة ، وفي كل شهر ختمة ، وفي
 كل سنة ختمة ، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد ، وذلك بحسب
 درجات تدبره وتفتيشه ، وكان هذا أيضاً يقول : أقمت نفسي مقام الأجزاء ،
 فانا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانة . (يعني باليومية فهناك ختمة
 يومية . ومجامعة : يعني كل جمعة . ومشاهرة : يعني كل شهر . ومسانة :
 يعني كل سنة) .

(٥) التضميم :

وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها ؛ إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات
 الله عز وجل ، وذكر أفعاله ، وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام ، وذكر أحوال
 المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا ، وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنة
 والنار .

أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وكقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْمَزِيدُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ أَقْوَامًا يَتَرَكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها، فتحتها معاني مدفونة لا تنكشف إلا للمؤمنين، وإليه أشار علي رضي الله عنه بقوله لما سئل: هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء سوى القرآن؟ فقال: لا والذي خلق الحبة وبرا النعمة إلا أن يعطي الله عبدا فهما في كتابه. وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها، فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل جلاله، إذا الفعل يدل على الفاعل فتدل على عظمته.

وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام: فإذا سمع منها كيف كذبوا وضربوا وقُتل بعضهم؛ فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيء، وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق.

وأما أحوال المكذبين، كعاد وثمود وما جرى عليهم، فليكن فهمه من استشعار الخوف من سطوته ونقمته، وليكن حظه من الاعتبار في نفسه، وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النعمة وتنفذ فيه القضية، وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار ومساثر ما في القرآن، فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لأن ذلك لا نهاية له، وإنما لكل عبد من القرآن بقدر رزقه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئَ بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه، فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه، ومن لم يكن له فهم في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في

قوله تعالى : ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ صَدْرِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مَاذَا قَالَ مُلْكًا أَوْ لِيَكُونَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سجدة : ١٧] ، والطابع هي الموانع التي تذكرها في موانع الفهم .

(٦) التخلي عن موانع الفهم :

لا بد من التخلي قبل التحلية ؛ فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وخُجِبَ أسدلها الشيطان على قلوبهم ، فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن .

وخُجِبَ الفهم ثلاثة :

أولها : أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها ، وهذا يتولى حفظه شيطان وُكِّلَ بالقراءة ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل ، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف ، يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه ، فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تكشف له المعاني ؟ ، وأعظم ضحكة للشيطان ممن كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس .

ثانيها : أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد ، وجمد عليه ، وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة ، فهذا شخص قيده معتقده عن أن يتجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده ، فصار نظره موقوفاً على مسموعه .

فإن لمع له برق على بعد ، وبدأ له معنى من المعاني التي تُباين مسموعه ؛ حَمَلَ عليه شيطان التقليد حملةً وقال : كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك ، فبرئ أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويتحرز عن مثله ، ومثله من يقرأ قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] ، وما يحتويه

معنى الآية من علو الله عز وجل على كل مخلوقاته وهيئته وتصرفه في كل الموجودات ، فيجيبه تقليد المعتقدات الموروثة في التأويل ووجوب تنزيه الله عن الجهة ، فيحرم من تجليات تأمل صفة العلو والاستواء ، وهي من الصفات التي تكررت في القرآن بغرض التنبيه على جلال الله وعظمته وحقيقة علوه على خلقه .

ثالثها : أن يكون مُصِراً على ذنب أو متصفاً بكبرٍ أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع ؛ فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدته ، وهو كالحبث على المرأة ، وهو أعظم حجاب للقلب ، وبه حُجب الأكرهون .

وكلما كانت الشهوات أكثر تراكمًا كانت معاني الكلام أشد احتجابًا ، وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا ، قُرب تجلي المعنى فيه ، فالقلب مثل المرأة ، والشهوات مثل الصدا ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرأة ، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصفيل الجلاء للمرأة ، وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير فقال تعالى : ﴿ تَبَيَّرَ وَذَكَرَ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [ق : ٨] ، وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَمُذُّ أَمَّا لِرَبِّهِ لِيَكُنْ مِنْ رَحْمَةِ لِقَائِهِ هُوَ أَشَرُّ إِمَّا يَنْذَرُ لَوَلَوْ أَنَّهُمْ آلَاهُمْ ﴾ [الرحم : ١٩] ، فالذي أثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة ؛ فليس من ذوي الأبواب ؛ ولذلك لا تتكشف له أسرار الكتاب .

(٧) التخصيص :

وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن ، فإن سمع أمراً أو نهياً قَدَّرَ أنه هو المنهي والمأمور ، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك أن هذا الرعيد يخصه ، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء عَلِمَ أن السمر غير مقصود ، وإنما المقصود ليحتر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه ، فما من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي ﷺ وأمة ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وَكَلَّا

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْبَيْتِ فَأَخْرَجْتُمُوهُم مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا يَتَّبِعُكُم مِّنْ قُوَّةٍ يَنْصُرُكُمْ وَلَوْلَا الَّذِي دَفَعْنَا عَنْكُمْ غِيظَنَا كُنْتُمْ حَرَابًا شَرًّا لَّيْسَ فِيكُم مِّنْ عَاقِلٍ ﴿١٢٠﴾ [هود : ١٢٠] ، فليقتدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما قصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى .

وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة ؛ بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ؛ ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى : ﴿وَأَذْكُرُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِحِكْمِ اللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٣١] ، وقال عز وجل : ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْفُرْقَانَ بَيْنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ مِمَّا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَقَّاهُم بِآيَاتِنَا﴾ [الزمر : ٥٥] ، وقال عز وجل : ﴿هَذَا بَيِّنَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْجِزَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٨] .

وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الأحاد ، فهذا القارئ الواحد مقصود ، فماله ولسائر الناس ، فليقدر أنه المقصود ، قال الله تعالى : ﴿وَأَرْسِلْ فِي كُلِّ لُغَةٍ مِّنَ الْقُرْآنِ لِيُذَكِّرَ بِهِ مَنِ بَلَغَ﴾ [الأنعام : ١٩] ، قال محمد بن كعب القرظي : من بلغه القرآن فكانما كلمه الله ، وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله ، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه له ليتأمله ويعمل بمقتضاه ، **ولذلك قال بعض العلماء :** هذا القرآن رسائل أتينا من قبل ربنا عز وجل بعهد نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات ، وكان مالك بن دينار يقول : ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن ؟ ، إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض ، وقال قتادة : لم يجالس أحد القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان ، قال تعالى : ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء : ٨٢] .

(٨) التأثير :

وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل آية يقرأها فهم وحال يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيرها ، ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه ، فإن التقييد غالب على آيات القرآن ، فلا يرى ذكر المغفرة إلا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل : ﴿وَلِيَّ لَنَفْلًا﴾ ثم أتبع ذلك بأربعة شروط : ﴿لَنْ تَابَ وَمَا نَ وَهَلْ سَلَمًا ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ [طه : ٨٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِذَا الْإِنْسَانُ نَفَىٰ ۝٢ خَسِرَ ۝٣ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَرُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَرُوا بِالْعَتْرِ﴾ [العصر : ١-٣] ، ذكر أربعة شروط ، وحيث اقتصر شرط شرطاً جامعاً ، فقال تعالى : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦] ، فالإحسان يجمع الكل ، وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ، ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن .

ولذلك قال الحسن : والله ما أصبح اليوم عبداً يتلو القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه ، وقل فرحه ، وكثر بكاءه ، وقل ضحكته ، وكثر نَصَبه وشغله ، وقُلْتُ راحته وبطلاته .

وقال وهيب بن الورد : نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق للقلوب ولا أشد استجلاباً للحزن من قراءة القرآن ، وتفهمه ، وتدبره ، فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة .

فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت ، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح .

وعند ذكر الله صفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لمعظمته .

وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذاكرهم لله عز وجل ولذا وصاحبه - تعالى الله عن ذلك - يفيض الصوت وينكسر في باطنه حياء من قبح مقاتلتهم ، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا إليها .

وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ، ولما قال رسول الله ﷺ لابن مسعود : «اقرأ عليّ» قال : فافتحت سورة النساء ، فلما بلغت : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء : ٤١] ، رايت عينه تذرفان بالدمع ؛ فقال لي : «حسبك الآن»^(١) ، وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ﷻ .

ولقد كان من الخائفين من خُرْ مغشيا عليه عند آيات الوعيد ، ومنهم من مات في سماع الآيات .

فمثل هذه الأحوال يخرجها عن أن يكون حاكيا في كلامه ، فإذا قال : ﴿مَنْ أَذُنٌ أَخَافُ إِنَّ عَصِيَّتُ رَبِّي مَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام : ١٥] ، ولم يكن خائفا كان حاكيا .

وإذا قال : ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة : ٤] ، ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكيا .

وإذا قال : ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ [البراعيم : ١٢] ، فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة .

فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات ؛ كان حفظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللحن على نفسه في قوله تعالى : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْفُتُلُوبِينَ﴾ [هود : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

تَقْمَلُونَ﴾ [الف: ٣]، وقال عز وجل: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِكْمُهُمْ وَمَنْ فِي ضَلَالٍ مُّضِلٌّ﴾ [الأنبياء: ١]، إلى غير ذلك من الآيات ..

وكان داخلا في معنى قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَتْلُمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانَةً وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَتْلُونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، يعني التلاوة المجردة، وقوله عز وجل: ﴿رَسَّائِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فِي السَّحَابِ وَالتَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ عَلَيْهِمَا وَهُمْ هُنَا مُّعْرَضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٠] لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والأرض، ومهما تهاوذاها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها، ولذلك قيل: إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى: مالك ولكلامي وأنت معرض عني، دع عنك كلامي إن لم تنب إلي.

ومثال ذلك: العاصي إذا قرأ القرآن وكرره، مثال من يكرر كتاب الملك كل يوم مرات، وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريدها ومقتصر على دراسة كتابه، فلم له لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت.

ولذلك قال يوسف بن أسباط: إني لأهم بالقرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسيح والاستغفار.

والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل: ﴿فَسَجَدُوا وَرَأَى ظُهُورَهُمْ وَأَشْرَقُوا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن ما انتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه»^(١)، وفي بعض الروايات: «إذا اختلفتم فقرأوا عنه»، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا

(١) متفق عليه، البخاري (٤٧٧٣)، مسلم (٢٦٦٧).

وَعَلَّ رَنِيهَمْ يَتَرَكُّوْنَ» [الأنفال: ٢]، وقال عليه السلام : «إن أحسن الناس صوتًا بالقرآن إذا سمعته رأيت أنه يغشني الله تعالى»^(١).

وقال بعض القراء: قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فانتهرني وقال: جعلت القرآن على صملاً، اذهب فأقرأ على الله عز وجل، فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك.

لهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة، لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف في اثنين منهم، وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين، وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم، ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى إلى قوله عز وجل: «فَمَنْ يَمَسَّ يَشْكَالَ ذَرَّةً حَبِيراً بِرِّهِ»^(٢) وَمَنْ يَمَسَّ يَشْكَالَ ذَرَّةً شَرًّا بِرِّهِ» [الزلزلة: ٧-٨]، قال: يكفي هذا وانصرف، فقال عليه السلام: «انصرف الرجل وهو فقيه»^(٣)، وإنما العزيز مثل تلك الحالة التي من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية.

فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى، بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقول الله تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ وَحْيِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى» [طه: ١٢٤]، ويقول عز وجل: «قَالَ كَذَلِكَ أَنتُكَ مَا نُنَا فَنِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْشَى» [طه: ١٢٦]، أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها، فإن المقصر في الأمر يقال: إنه نسي الأمر، وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحفظ اللسان نصحيح الحروف بالترتيل، وحفظ العقل تفسير المعاني، وحفظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانترجار والانتصار، فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ.

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٩)، وصححه الألباني (١١٠) في «صحيح ابن ماجه».

(٢) قال الهيثمي في «المجمع» (١٤١/٧): رجاله رجال الصحيح.

(٩) الترقى :

واعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه ،
فدرجات القرآن ثلاث .

أدناها : أن يقدر العبد كأنه يقرأه على الله عز وجل واقفاً بين يديه وهو ناظر إليه
ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير : السؤال والتعلق والتضرع والابتهاال .
الثانية : أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطفافه ويناجيه
برأعائه وإحسانه ، فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم .

الثالثة : أن يرى في الكلام المتكلم ، وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى
نفسه ولا إلى قراءته ، ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث إنه مُلْعَمٌ عليه ، بل
يكون مقصوراً الهم على المتكلم ، موقرف الفكر عليه ، كأنه مستغرق بمشاهدة
المتكلم من غيره ، وهذه درجة المحررين ، وما قبله درجة أصحاب اليمين ،
وما خرج عن هذا : فهو من الدافلين .

(١٠) التبري :

واعني به أن يتبرأ العبد من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين لرضا
والتزكية ، فإذا تلا بآيات الوعيد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك ؛
بل يشهد الموقنين والصلبيين فيها ، ويشوق إلى أن يلحظه الله عز وجل بهم ،
وإذا تلا آيات العقاب وذم العصاة والمقصرين ؛ شهد على نفسه هناك ، وقدر
أنه السخاطب خروفاً وإشفاقاً .

ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : **استغفرك لظلمي وكفري ، فقبل له : هذا
الظلم ، فما بال الكفر ؟ ، فتلا قوله عز وجل : ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمَعْلُومِينَ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ
تَسْلُطُوا عَلَى الْأَرْضِ لَا تَعْصُوهُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .**

وقيل ليوسف بن أسباط : إذا قرأت القرآن بماذا تدعو ؟ ، قال : **أستغفر الله
عز وجل من نقصيري سبعين مرة .**

فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كانت رؤيته تقصيره سبباً قريبه ، فإن من شهد البعد في القرب لطُف به في الخوف ، حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراهها ، ومن شهد القرب في البعد مُكِرَّ به في الأمن ، الذي يفضيه إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه .

ومهما كان مشاهدًا نفسه بعين الرضا صار محجوبًا بنفسه عن الله ، انتهى كلام الغزالي رحمه الله .

هذه هي المراتب العشرة لتحصيل لذة تلاوة القرآن أيها الحبيب ، ولن تستطيع فهمها بمجرد مرور نظرك عليها لأول مرة ؛ بل تحتاج إلى تأمل ومذاكرة مع غيرك من إخوانك أو مشايخك لتلقيح الأفكار وتفتح الأفهام ، ثم العمل . ولن يفتح لك من أول مرة إدراك ما ذكرت لك ؛ لكن الأمر يحتاج إلى مجاهدة وصبر نأني لكي يحصل لك .

هيا ابداً فرصة رمضان مع فتوحاته ونوره . . هيا ابداً لتطلق في هذه الأيام المباركة . . هذا هو العلم ، فأين العمل أيها الطالب لرضا ربك ؟

إخواننا . .

الذكر دواء الحياة ومشاكلها ، وجلاء القلوب وقوتها ، من لزمه سعد في دنياه وأخراه ، وكيف لا والنبي ﷺ يقول : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » ، قالوا : بلى ، قال : « ذكر الله تعالى »^(١) .

وأفضل الذكر القرآن . . وقد جاءكم موسم القرآن . . شهر رمضان شهر

(١) أخرجه أحمد (١٩٥/٥) ، وصححه الألباني (٢٦٢٩) في « صحيح الجامع » .

القرآن . . فالبدار البدار يا أمة القرآن ، يقول رسول الله ﷺ : «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»^(١) ، ويقول ﷺ : «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ؛ يقول الصيام : أي رب منعه الطعام والشراب في النهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن أي رب منعه النوم بالليل فشفعني فيه ، فيشفعان»^(٢) .

إخواناه . . .

القرآن كلام الله ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه . . فداوموا على تلاوته ، وأكثروا من قراءته في شهر رمضان ، والتزموا بما ذكرناه آنفاً من الآداب ، الظاهرة والباطنة . . وفقنا الله وإياكم لما قاله ربنا سبحانه وتعالى في أول كتابه : ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ٢] .

استدراك مهم

أيها الإخوة . .

بعد أن ذكرنا أهمية القرآن وحال السلف مع القرآن في رمضان لا يفوتني أيها الإخوة استدراك هام .

هذا الاستدراك نوبة للأمة ككل ؛ لإصلاح حال الأمة مع القرآن كي يصلح الله حال الأمة في الواقع المرير ، فافهم معي علمني الله وإياك الحكمة وفصل الخطاب :

إن توصيف واقع الأمة الإسلامية اليوم هو كلمة واحدة : «التَّيُّه» . . نعم : الأمة الآن في مرحلة التَّيُّه - نسال الله أن يعفو عنا - . . ولن نخرج من هذه

(١) أخرجه أحمد (٢٥٤ / ٥) ، وصحيح الألباني (٣٩٩٢) في «الصحيحة»

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤ / ٢) ، وصحيحه الألباني (٣٨٨٢) في «صحيح الجامع»

المرحلة إلا بتغيير أنفسنا ليتغير واقعنا ؛ فإن لله سننا ربانية لا تتغير ولا تبدل ، وهو سبحانه القائل : ﴿ أَوَلَمْآ أَصْبَحْكُمْ مُّصِيبَةً مَّذَّ أَصْبَحْتُمْ وَنَاقِيَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [ال عمران : ١٦٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [التورى : ٣٠] ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] .

وبعد أن جرّبت الأمة مرارًا وتكرارًا كل الوسائل في إعادة كرامتها ومقدساتها ؛ لم يعد أمامها إلا الحل الأول والأولى والأصل الذي غفلت عنه . . القرآن الكريم .

ولذا فإن الأمة بحاجة إلى مشروع قومي تنفق عليه في التربية على القرآن ، وتوحد حوله ليخرجها مما هي فيه ، ليعيدها إلى مجدها السليب ونهضتها المفقودة .

أيها الإخوة . .

«لقد أنزل الله القرآن كتاب هداية وشفاء وتغيير وتقويم لهذه الأمة ، وهذا هو سر معجزته ، وإن تعلم قراءته ، وترتيله ، وحفظه ، وسائل مساعدة يتيسر من خلالها الانتفاع بتلك المعجزة ، ومما يدعو للأسف أن الأمة قد ابتعدت طوال القرون الماضية عن جوهره ، والسبب الذي أنزل من أجله ، فتعاملت مع تلك الوسائل على أنها غايات ، وتسابق المسلمون على قراءته وحفظه في أقل وقت ممكن ، دون أن يصاب ذلك اهتمام بالمعاني الإيمانية التي تحملها آياته .

القرآن حاضرٌ معنا بقراءه وحُفَافِله ، وغائبٌ عنا بالأفراد القرآنيين الذين يُعرفون بسماهم ، قرآنا يمشي على الأرض .

القرآن حاضرٌ معنا في المساجد وحلقات التعليم ومدارس التحفيظ والإذاعات ووسائل الإعلام ؛ لكنه غائبٌ عنا بأثره ومفعوله .

القرآن حاضراً معنا بطبعاته الفاخرة ، وتجلياته المبهرة ، وآياته التي تزين الجدران ، وتُرسَم على المشغولات الذهبية ؛ لكنه غائبٌ عن دوره الحقيقي في قيادة الحياة وتوجيهها إلى الله عز وجل .

نفتتح به الحفلات ، ونصنع منه المسابقات ، وننشئ له الكليات ، ومع ذلك لا نجني من وراء هذا الاهتمام ثماراً حقيقية تظهر في واقعنا ، وتصطبغ بها حياتنا .

فماذا حدث نتيجة هذا التعامل الشاذ مع القرآن ؟

توقفت المعجزة القرآنية ، أو كادت تتوقف عن العمل ، وابتعد المسلمون عن سر عزهم ومجدهم وعلومهم عند الله ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ كُلِّكُمْ رَسُولًا مِّنْ دُونِكُمْ فَأَكْفَلُوا بِمَا أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ أَصْحَابَهُمْ فَوَقَّاعُوا بَيْنَ غَيْبٍ وَظَاهِرٍ وَمِنَ الْغَيْبِ الْغَايِبُ ۚ وَمِنَ الظَّاهِرِ الْبَاطِنُ ۚ﴾ [الأنبياء: ١٠] فازدادت الفجوة بين الواجب والواقع ، والقول والعمل ، ولم يعد يظهر في الأمة أجيال قرآنية يتمثل فيها القرآن كما حدث في الجيل الأول ، ذلك الجيل العظيم .

أنا من أهل القرآن ؟!

قد يقول قائل : ولكني أقرأ القرآن وأختمه مرة كل شهر - على الأقل - واحفظه ، بل وأعمل على تعليمه للناس ، وأعتبر نفسي من أهل القرآن ، بل ويتعامل مَنْ حولي معي على هذا الأساس ، رغم أنني أشعر داخلي بغير ذلك ، فلا يوجد فارق في السلوك بيني وبين غيري ممن لا يهتمون بالقرآن كاهتمامي به ؛ بل إنني أشعر مثلهم بتلك القيود التي تكبلني وتمنعني من فعل ما يرضي الله والتضحية من أجله .

نعم ، هذا وصف دقيق لحال البعض مع القرآن ، وهذا مما يزيد الأمر صعباً ، أن يعتبر الواحد منا أن اهتمامه بلفظ القرآن وشكله قد جعله من أهل القرآن ، مع أن أهل القرآن هم العاملون به ، المتضمنون بمعجزته .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « حامل القرآن حامل راية الإسلام لا يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو » .

إن تلاوة ألفاظ القرآن ، وحفظ آياته يقدر عليها الصغير والكبير ، المؤمن والمنافق ، البر والفاجر ، بل والكفار ، وبالتالي لا يمكن لهؤلاء أن يصيبحوا من أهله بمجرد حفظهم وكثرة قراءتهم لألفاظه ، ولله در عمر بن الخطاب حين قال : لا يفرركم من قرأ القرآن ؛ ولكن انظروا من يعمل به .

ويؤكد هذا المعنى ابن القيم فيقول : قال بعض السلف : نزل القرآن ليُعمل به ، فاتخذوا تلاوته عملاً . . ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به ، والعاملون بما فيه ، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب ، وأما من حفظ القرآن ولم يفهمه ولم يعمل به ، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم .

قال رسول الله ﷺ في ذكر علامات الساعة : « يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية »^(١) .

إن المطلوب من قراء القرآن بالإضافة إلى القراءة والحفظ ، شيء آخر في غاية الأهمية ، المطلوب هو الانتفاع بمعجزته في تغييرنا ووضعنا في القلب الذي يرضي الله عز وجل ، المطلوب أن نستخدم القرآن كوسيلة تقودنا للصالح مع الله ، ومن ثم نتأهل للدخول في دائرة حمايته وكفايته ونصرته ، وهذا لن يتم من خلال قراءته باللسان فقط ولو آلاف المرات .

هذا لن يتم بحفظ حروفه وترك لآلئه وكنوزه . .

هذا لن يتم إذا جعلنا المذيع يذيع آياته طيلة الليل والنهار ، ونحن غافلون عنه ، منشغلون بغيره . .

(١) أخرجه أحمد (١/١٣١) ، وصححه الألباني (٣٦٥٤) في « صحيح الجامع » .

لن يصبح أولادنا قرآنيين بمجرد حفظهم لألفاظ القرآن ، وإن حفظوه كله . .

سيصبح أولادنا قرآنيين عندما يتعلمون ما في الآيات من معاني وإيمان ، ويطبقون ما فيها من عمل ، بعد أن يحفظوها ، وإن أدنى ذلك إلى حفظهم لأجزاء قليلة من القرآن ، فهذا خيرٌ لهم ولأمتهم من أن يكونوا مجرد حفظة فقط ، وإن جمعوا الأمرين - أقصد حفظه كاملاً مع فهمه والعمل به - فهو الأول بل وهو المطلوب في هذه الأيام ؛ فهذا علو همة ، وزيادة طاعة ، ونصرة الأمة .

جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال : إن ابني جمع القرآن ، فقال : اللهم غُفراً ؛ إنما جُمع القرآن من شيعٍ له وأطاع .

كيف تربي النبي ﷺ الصحابة على القرآن ؟

ما ذكرناه هو أيضاً للشباب والكبار . . وانظر كيف تربي الصحابة ، يقول الإمام القرطبي رحمه الله في مقدمة تفسيره تحت عنوان « باب كيفية التعلم والفقه لكتاب الله تعالى وستة نيه ﷺ ، وما جاء على أنه سهل على من تقدم العمل به دون حفظه » :

ذكر أبو عمرو الداني عن عثمان وابن مسعود وأبي : أن رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشرٍ أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل ؛ فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً ، وعن أبي عبد الرحمن السُّلَبي قال : كنا إذا تعلمنا عشرَ آياتٍ من القرآن ؛ لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها .

وعن نافع عن ابن عمر قال : تعلم عمر البقرة في اثني عشرة سنة ، فلما خَشِها نمر جزوراً .

وقال عبد الله بن مسعود : إنا صَعَبَ علينا حفظ ألفاظ القرآن ، وسَهَلَ علينا العملُ به ، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ، ويصعب عليهم العمل به .

وعن مجاهد عن ابن عمر قال : كان الفاضل من أصحاب الرسول ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها ، ورزقوا العمل بالقرآن ، وإن آخر هذه الأمة يقرءون القرآن ، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به .

وقال خلف بن هشام البزار : ما أظن القرآن إلا عارية في أيدينا ؛ وذلك أنا روينا أن عمر بن الخطاب حفظ البقرة في بضع عشرة سنة ، فلما حفظها نحر جزورًا شكرًا لله ، وإن الغلام في دهرنا هذا يجلس بين يدي فيقرأ ثلث القرآن لا يُسقط منه حرفًا ، فما أحسب القرآن إلا عارية في أيدينا .

وقد قال أهل العلم بالحديث : لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على سماع الحديث وكتبه ، دون معرفته وفهمه ؛ فيكون قد أُنعب نفسه من غير أن يظفر بباطل ، وليكن تحفظه للحديث على التدرج قليلًا قليلًا مع اللبالي والأيام .

وممن ورد عنه ذلك من حفاظ الحديث : شعبة وابن عطفة ومُعمر ، قال معمر : سمعت الزهري يقول : من طلب العلم جملة فاته جملة ؛ وإنما يُدرك العلم حديثًا وحديثين ، والله أعلم .

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : اعلّموا ما شئتم قلن يأجركم الله بعلمكم حتى تعملوا .

وقال ابن عبد البر : رُوي أن العلماء همّتهم الذراية ، وأن السفهاء همّتهم الرواية اهـ .

ولايد من تعليق أيها الأحبة في الله بعد كل ما سبق ، وإنما ذكرت لكم كل ما سبق جملة واحدة وإن كان يبدو على خلاف منهجنا في الأمر بتلاوة القرآن وحفظه بتدبر وبغير تدبر وحفظ القرآن بعلم أو بغير علم ، سُقْتُ ما سبق لنتقل خطوة إلى الإمام ؛ **لذلك ألخص أهدافنا في موضوع القرآن جملة واحدة فأقول :**

أولاً : الاهتمام بالقرآن وجعله نصب أعيننا لا يفارقها ليل نهار .

ثانياً : التلاوة للقرآن أهم من الحفظ وهي نوعان لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر .

١- **تلاوة تدبر وتفكر :** وهي ختمة لا يتصرع بالوصول إلى آخر القرآن فيها ؛ بل يتم فيها بالعلم لتمطي كل آية حفظها من التدبر ، والبحث عن العلم بها ، والتغيب عن أسرارها بالفراءة في التفاسير وكتب العلم ومزاج أهل العلم .

٢- **تلاوة الأجر :** وهي الختمات التي يطالب بها يومياً وفي رمضان وغيره ؛ إنما هي ابتغاء الأجر ، بكل حرف عشر حسنات ، فهذه يُتقاضى فيها عن التدبر ، وتُصرف الهمة إلى تحصيل الأجر من الله فحسب ؛ فإن الوعد بأن على كل حرف عشر حسنات لم يُشترط فيه التدبر .

ثالثاً : حفظ القرآن وظيفة الأمة ومطلب شرعي ، ولا يزهدك في ذلك ما سقناه من نقولات عن بعض السلف ؛ وإنما كان التركيز السابق من أجل العمل ؛ فلا بد أن تحفظ القرآن ؛ لأن درجتك في الجنة بقدر حفظك ؛ بدليل حديث : « يقال لقارئ القرآن : اقرأ وارزق ، ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا ؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »^(١).

(١) أخرجه أحمد ، وصححه الألباني (٨١٢٢) في « صحيح الجامع » .

إخوتي في الله :

إنني أريد أن أحذّر بعض قومنا الذين يأخذون بعض الكلام ويتركون بعضه
لأهواء في أنفسهم فيستفون من الكلام ما يلهيهم به أهواءهم ورغباتهم .

أؤكد مرة أخرى أن كل ما هو مطلوب منك :

- حفظ القرآن .
 - تلاوة القرآن .
 - فهم القرآن .
 - تدبر القرآن .
 - العمل بالقرآن .
 - إسلام زمامك للقرآن .
- أن يربيك القرآن ، وأن يصنعك الله بالقرآن ، وأن بقودك القرآن ، وأن
يحكم القرآن حياتك . .

لتكون من أهل القرآن . . اللذين هم أهل الله وخاصته . .

اللهم اجعلنا وأهلنا وذرياتنا من أهل

القرآن أهلِكَ وخاصَتِهِ



فَيَا مَرْضَانَا

لَيْسَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ يَشْبَهُ نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ

إِلَّا خِلَافُهُ

الْمُنَاجَاةُ فِي الْقِيَامِ

صلاة التراويح في رمضان

شهر رمضان شهر كله خير وبركة ، وسبحان الله الكريم ، أعطى فيه من فرص المغفرة للمؤمنين ما يفوق الأمنيات ، ولكن وسبحان الملك العظيم القدير تجد في شهر رمضان علامة مميزة عجيبة دون غيره من الشهور ، كأنها شامة في جبين هذا الشهر ألا وهي قيام رمضان .

ففضلاً عن أن قيام رمضان يستوجب مغفرة الذنوب المتقدمة ، فلقيام رمضان لذة وبهجة خاصة عجيبة ليس كمثله شيء .

سبحان الملك ! ، قد يقوم الإنسان كثيراً وطويلاً على مدار السنة ؛ ولكن قيام رمضان له مذاق خاص يختلف عن جميع السنة ، وسبحان الملك أيضاً القرآن في رمضان له مذاق خاص يختلف عن جميع أيام السنة ، وفي القيام : القرآن .

والليل في رمضان له مذاق خاص أيضاً يختلف عن جميع ليالي السنة . وأيضاً هذه من خصوصيات رمضان ، أن تجد القيام سهلاً على جميع الناس ، حتى إنك لتجد بعض من لا يصلي الفرائض في غير رمضان يصلي القيام في رمضان ، ومن خصوصيات هذا الشهر الكريم أيضاً نداوة الأصوات ، فأحلى قرآن تسمعه في حياتك تسمعه في ليالي رمضان .

وإليك أخي الحبيب بعض المنشطات لقيام رمضان أولها فوائد هذه العبادة .

فوائد صلاة التراويح :

(١) قيام رمضان من الإيمان ، ومغفرة لسالف الذنوب :

قال رسول الله ﷺ : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »^(١)، قال الشيخ الألباني رحمه الله : هذا الترغيب وأمثاله بيان لفضل هذه العبادات ، بأنه لو كان على الإنسان ذنوب ؛ فلأنها تغفر له بسبب هذه العبادات ، أما إذا لم يكن للإنسان ذنب ، يظهر هذا الفصل في رفع الدرجات كما في حق الأنبياء المعصومين من الذنوب .

(٢) استحقاق قائمه اسم الصديقين والشهداء :

وهذا فيض الكريم وجوده ، يسوقه ﷺ وفيه العُثم كل الغنى : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنتك رسول الله ، وصليت الصلوات الخمس ، وأديت الزكاة ، وصمت رمضان وقمته ، فممن أنا ؟ ، قال رسول الله ﷺ : « من الصديقين والشهداء »^(٢).

(٣) من قام مع إمامه كتب له ثلث ليله :

لقد جاء في حديث أبي ذر قوله ﷺ : « إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة »^(٣)، فائق الله في عمرك ، وأقبل على صلاة التراويح يقبل الله عليك ، أن تُحسب لك عند الله ليلة فكل ليالي المسر حذر وضياح لا قيمة لها إلا أن تقومها لله عز وجل ؛ فعندها يُحسب لك عند الله قيام ليلة واحتساب هذا الأجر عند الله عظيم ، فاصبر على إمامك حتى ينصرف ولا تستعجل فتخسر ليلتك .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٧) ، مسلم (٧٥٩) .

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٤٣٨) ، وصححه الألباني (٩٩٣) في «صحيح الترغيب والترغيب» .

(٣) أخرجه أحمد (١٥٩/٥) ، وصححه الألباني (١٦١٥) في «صحيح الجامع» .

(٤) اختر لنفسك اسمًا عند الله :

قال رسول الله ﷺ : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين »^(١).

إذا علم المسلم اطلاع الله على حاله ، وقربه منه ، وذكر الله للمعبد ، علم أن له اسمًا عند الله يعرف به عند الله سبحانه وتعالى ، قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا »^(٢) ، وفي هذا الحديث الذي معنا أسماء الناس في الليل ، فاختر عملًا يكتب لك به اسمًا عند الله .

(٥) القيام شرف :

قال رسول الله ﷺ : « شرف المؤمن قيام الليل »^(٣) ، وسبحان الملك ! ، هذا سبيلٌ يتشرف به الإنسان ليكون عند الله شريفًا ، وإن البحث عن هذه الصفة ، والانشغال بالوصول إليها ، والانتساب إلى هذا الاسم ؛ لواجب حتم على كل من يبتغي الرفعة ؛ فهيا إلى قافلة الشرفاء ، وواظب على قيام الليل تكن من الشرفاء .

(٦) قافلة الصالحين :

قال رسول الله ﷺ : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم »^(٤) ، نعم . . من أراد أن ينضم إلى قافلة الصديقين والشهداء ثم انضاف إلى قافلة

(١) أخرجه أبو داود (١٣٩٨) ، وصححه الألباني (٦٤٣٩) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٧) .

(٣) أخرجه الحاكم (٣٦٠ / ٤) ، وحسنه الألباني (٨٣١) في « السلسلة الصحيحة » .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٤٩) ، وحسنه الألباني (٢٨١٤) في « صحيح الترمذي » .

الشرفاء ؛ فليجعل قيام الليل دأبه لأنه دأبهم وعلامتهم ، وكأنك تستشعر من كلمة الدأب المداومة والصبر والاجتهاد في هذا العمل ، فاجتهد فيه كجهدهم تكن منهم .

(٧) القيام شفاء وعافية :

قال رسول الله ﷺ : «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومنهاة عن الإثم ، ومطرقة للداء عن الجسد»^(١) ، سبحانه الله العظيم الذي من عرفه لم يخل عليه يتنفس من أنفاس حياته ، فإنه ينعم التعامل مع الكريم ، إذا ضحيت لله بجزء من راحتك عوضك عن ذلك راحة أكثر وصحة أفضل ، بل إنه سبحانه يجعل قيامك له وأنت تغالب شهوة النوم فتطردها ، فيجعل الجزاء من جنس العمل ، أن يطرد مقابل ذلك : الداء عن جسدك ، فإلى الباحثين عن الصحة ، عليكم بقيام الليل فإن رضى الله وقبِل ؛ طرد الأمراض والأدواء عن أجسادكم .

(٨) عصمة من الذنوب :

مر معنا في الحديث السابق أن رسول الله ﷺ ذكر في مناقب قيام الليل أنه منهاة عن الإثم ، نعم والله :

كيف لقلب ذاق حلاوة قيام الليل أن يصبح فيعصي ربه :

كيف لقلب استشعر في الليل وهو قائم رؤية الله له ومباهاته ، به ثم يصبح فيعصي الله .

كيف لقلب بات يناجي ربه ويتلذذ بكلمات الله ، ثم يصبح تاركاً طاعة به ، إنها المكافأة .

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٩) ، وحسنه الألباني (٢٨١٤) في «صحيح الترمذي» .

كما قال الحسن : من أحسن في ليله كوفى في نهاره ، ومن أحسن في نهاره كوفى في ليله .

(٩) الله يباهي ملائكته :

قال رسول الله ﷺ : « إنا قام الرجل من الليل يصلي فغلبته عيناه فنام في سجوده ، فإن الله يقول لملائكته : انظروا يا ملائكتي ، هذا عبيدي روحه عندي وجسده بين يدي ، اكتبوا له قيامه ، واجعلوا نومه صدقة مني عليه »^(١) ، سبحان الملك الكريم ! ، الله يباهي ملائكته بساجد نائم ، فما بالك بالمتيقظ المقاوم ؟ .. هذا شرف لا يُقاوم .

(١٠) سبيل لمحبة الله :

قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يحبهم الله ويستبشر بهم ويضحك إليهم » وذكر منهم « رجلٌ عنده امرأة حسنة ، وفراش حسن ، ثم قام يصلي ، فيقول الله عز وجل لملائكته : انظروا يا ملائكتي ، هذا عبيدي ، عنده فراش حسن ، وزوجة حسنة ، فتركهما ، ثم قام يصلي يتملقني ، ويتلو آياتي ، ولو شاء رقد »^(٢) ، انظر أيها الحبيب المحب ، كيف أن كل ما تبذله لله له قدر عند الله ، ويقع عند الله بموقع ، والشاهد : قوله سبحانه للملائكة : « ولو شاء رقد » ، فالله يحفظ لك جميل أنك غلبت الرقود وآثرت القيام ، فأحبك ، واستبشرك ، وضحك لك .

(١١) القيام نور الوجوه والقلوب :

قيل للحسن : ما بال القاتمين أحسن الناس وجوهاً ؟ ، فقال : إنهم خلّوا بالله في السحر فالبسهم من نوره .

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٤٤) ، وصححه الألباني (١١١٥) في « صحيح ابن ماجه » .

(٢) أخرجه الحاكم (٧٧/١) ، وصححه الألباني (٣٤٧٨) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

نعم نشهد ، وقد رأينا أن أهل القيام أحسن الناس وجوهاً ، إذا رأيتهم ذكرت الله ، ورعهم ظاهر ، وحلاوتهم فائقة ، وملاحتهم بادية على سرائرهم . فاعلم يا أخي - هدانا الله وإياك إلى سبيله الأقوم - أن الناصح لنفسه لا يخرج عنه مواسم الطاعات عطلاً ؛ لأن الأبرار ما نالوا البر إلا بالبر ، قال رسول الله ﷺ : «الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»^(١).

فهلم يا باغي الخير إلى شهر يُضاعف فيه الأجر للأعمال ، فتصّب المجتهدين في خدمة مولاهم في هذا الشهر هو الراحة ، هبث على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب في رمضان ، وسعى سمسار الوعظ للمهجورين في الصلح ، ووصلت البشارة فيه للمتقطعين بالوصل ، وللمذنبين بالعفو ، والمستوجبين النار بالعنق ، فلم يبق للعاصي عذر .

كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة ، ثم يقول : «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٢).

قال الخطابي : إيماناً واحتساباً : أي نية وعزيمة ، وهو أن يقوم على التصديق والرغبة في ثوابه ، طيبة به نفسه ، وقال البغوي : احتساباً : أي طلباً لوجه الله .

ومن المعلوم أن قيام رمضان يسمى بصلاة التراويح ، قال الحافظ ابن حجر : التراويح جمع ترويح ، وهي المرة الواحدة من الراحة كتسليمة من السلام ، سميت الصلاة في الجماعة في ليالي رمضان التراويح ، لأنهم أول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليتين .

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣) .

(٢) متفق عليه ، للبخاري (٣٧) ، مسلم (٧٥٩) .

وقد أقر النبي ﷺ الجماعة فيها ، فقد خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة في رمضان فرأى ناساً في ناحية المسجد يصلون ، فقال : ما يصنع هؤلاء ، قال قائل : يا رسول الله ، هؤلاء ناس ليس معهم قرآن ، أبي بن كعب يقرؤهم معه يصلون بصلاته ، فقال : «قد أحسنوا ، أو قد أصابوا» ، ولم يكره ذلك لهم^(١).

وقد صلى النبي ﷺ التراويح ، فمن النعمان بن بشير قال : قمنا مع رسول الله ﷺ ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان إلى ثلث الليل الأول ، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل ، ثم قام بنا ليلة سبع وعشرين حتى ظننا أن لا ندرك الفلاح ، قال : وكنا ندعو السحور الفلاح .

وعن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يصلي في رمضان ، فجئت فقممت إلى جنبه ، وجاء رجل آخر فقام أيضاً حتى كنا رهطاً ، فلما أحس النبي ﷺ أنا خلفه جعل يتجوز في الصلاة ، ثم دخل رحله فصلّى صلاة لا يصلّيها عندنا ، قال : قلنا له حين أصبحنا : أقطنت لنا الليلة ؟ ، فقال : «نعم ، ذاك الذي حملني على الذي صنعت»^(٢).

• إحياء عمر لسنة الجماعة في التراويح :

كان الناس يقوم كل واحد منهم رمضان في بيته منفرداً ، حتى انقضى صدر من خلافة عمر .

يقول عبد الرحمن القاري : خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل

(١) أخرجه البيهقي (٤٣٨٦) ، رحت الألباني (١) في «صلاة التراويح» .

(٢) أخرجه مسلم (١١٠٤) .

فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعمت البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون - بهذا آخر الليل - وكان الناس يقومون أوله^(١) .

• فضل أداء التراويح جماعة :

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان ، فلم يقم بنا شيئاً من الشهر حتى بقي سبع - أي سبع ليالٍ - فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل ، فلما كانت السادسة لم يقم بنا ، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل ، فقلت : يا رسول الله لو نفلتنا قيام هذه الليلة ، فقال : « إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى يتصرف حسب له أيام الليلة^(٢) » ، فلما كانت الرابعة لم يقم ، فلما كانت الثالثة جمع أهله ونسائه والناس ، فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح ، قلت : وما الفلاح ؟ ، قال : السحور ، ثم لم يقم بنا بقية الشهر .

والشاهد من هذا الحديث قوله : من قام مع الإمام ، فإنه ظاهر الدلالة على فضيلة قيام رمضان مع الإمام .

قال صاحب «عون المعبود» : حصل له ثواب قيام ليلة تامة .

وقيل للإمام أحمد : يعجبك أن يصلي الرجل مع الناس في رمضان أو وحده؟ ، قال : يصلي مع الناس .

وقال : يعجبني أن يصلي مع الإمام ويوتر معه ، لحديث النبي « إذا قام مع الإمام . . . » .

(١) أثر صحيح . الألباني (١٥) في «صلاة التراويح» .

(٢) أخرجه أحمد (١٥٩/٥) ، وصححه الألباني (١٦١٥) في «صحيح الجامع» .

• وبذلك يكون تطور التراويح في العصر النبوي :

- أولاً : بدأت بالترغيب فيها دون أن يعزم عليهم .
- ثانياً : انتقلت إلى السنة والندب مقرونة بفريضة الصيام .
- ثالثاً : أذيت بالفعل ، أداها أوزاع من الناس .
- رابعاً : تسلل الناس إلى مصلاه ﷺ فاشتموا به ﷺ ، وهو لا يشعر بهم ، ثم أقرهم على ذلك وهو لا يقر على باطل .
- خامساً : تقريره ﷺ لمن يصلي بالناس سواء في المسجد أو في البيت .
- سادساً : صلاته هو ﷺ بالفعل بأهل بيته .
- سابعاً : صلاته هو ﷺ بأهل بيته والناس عدة ليال متفرقة .

عدد ركعات قيام رمضان :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله : « إن نفس قيام رمضان لم يوقت فيه النبي ﷺ عددًا معينًا ؛ بل كان هو ﷺ لا يزيد على ثلاث عشرة ركعة ؛ لكن كان يطيل الركعات ، فلما جمعهم عمر على أبي بن كعب كان يصلي بهم عشرين ركعة ، ثم يوتر بثلاث ، وكان يخفف القراءة بقدر ما زاد من عدد الركعات ؛ لأن ذلك أخف على المأمومين من تطويل الركعة الواحدة .

والأفضل يختلف باختلاف أحوال المصلين ؛ فإن كان فيهم احتمال لطول القيام بعشر ركعات وثلاث بعدها كما كان النبي ﷺ يصلي لنفسه فهو الأفضل ، وإن كانوا لا يحتملونه فالقيام بعشرين أفضل ، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين ، فإنه وسط بين العشرين وبين الأربعين ، ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد موقت عن النبي ﷺ لا يزداد منه ولا ينقص فقد أخطأ .

وكذلك لم يذكر أنه تختل حدد مقدار القراءة في كل ركعة ؛ بل يختلف ذلك بحسب نشاط القوم ، فقد أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميم الداري أن يقوموا بالناس في رمضان ، وقال قائلهم : « فكان القارئ يقرأ بالمئين ، حتى كنا نعتمد على العِصِي من طول القيام ، وما كنا ننصرف إلا في بزوغ الفجر » .

وقال أبو داود : سئل أحمد عن الرجل يقرأ القرآن مرتين في رمضان يؤم الناس ؟ قال : هذا عندي على قدر نشاط القوم ، وإن فيهم الغفال . اهـ كلام ابن تيمية رحمته الله .

أخي الحبيب : لا تشغل بمناقشة عدد ركعات القيام مع الآخرين ولا تجادل وتضيع رمضان ، عليك بالعمل : فاجتهد في أن تقوم أكثر الليل ولا تضيع وقتك مع البطالين .

ويجوز للنساء حضور الجماعة في قيام رمضان ، إذا تأدبن بآداب الخروج الشرعية من الحجاب ، وعدم التطيب ، وعدم رفع أصواتهن أو الاختلاط بالرجال في المواصلات والشوارع ونحو ذلك ، وغض البصر ، وعدم البقاء لوقت متأخر خارج المنزل دون محرم ، وإلا فصلاتهن في بيوتهن أفضل ، ويمكن لرجل من أهل البيت أن يؤمهن للصلاة ، فمن جابر قال : جاء أبي ابن كعب في رمضان فقال : يا رسول الله كان مني الليلة شيء ، قال : « ما ذلك يا أبي ؟ » ، قلت : نساء داري قلن : إنا لا نقرأ القرآن ، فنصلي خلفك بصلاتك ، فصليت بهن ثمان ركعات والوتر ، فسكت عنه وكان شبه الرضا^(١) .

ويمكن أيضًا أن تؤم المرأة النساء في قيام رمضان ، عن أم ورقة الأنصارية :

(١) أخرجه ابن حبان (٢٥٤) ، وحثه الألباني (٧٩) في « صلاة التراويح » .

أن رسول الله ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها ، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميتها الشهيدة ، وكان لها مؤذن .

وإذا لم يكن الإمام قارئاً ، جاز له أن يصلي بالناس ويقرأ من المصحف ، فقد كانت السيدة عائشة تأمر مولى لها يؤمها في شهر رمضان في المصحف ، وعدة من أصحاب النبي ﷺ .

قال أبو داود : سمعت أحمد قبل له : زعم الزبيرى أنه إذا ختموا القرآن رفعوا أيديهم ودعوا في الصلاة ؟ ، فقال : هكذا رأيتهم بمكة يفعلون ، وسفيان يومئذ حي ، يعني في قيام رمضان ، وكذلك الاستراحة بعد كل أربع ركعات بجلسة يسيرة فعلة السلف ، ولا يدعو إذا استراح .

أخي .. رحيمي :

الصلاة مكيال .. فمن وقى وقى له ، ومن طُفّف ، فقد علمتم ما قيل في المطففين ، أما يستحي من يستوفي مكيال شهوته ، ويطفّف في مكيال قيامه وصلاته ١٢ ، ألا بعداً لمدين .

إذا كان الويل لمن طُفّف في مكيال الدنيا ، فكيف حال من طُفّف في مكيال الدين ؟ ، كيف حال المسيئين في عباداتهم ؟ ، ارحموا من حسنته كلها سيئات ، وطاعاته كلها غفلات .

كيف لا تحجري للمؤمن على هذه الأيام دموع ، وهو لا يدري هل بقي له من عمره رجوع ، متى يصلح من لا يصلح في رمضان ؟

من رد في ليلة القدر متى يصلح ؟ ، كل ما لا يثمر من الأشجار في أوان الثمار فإنه يُقَطَّع .

شهر رمضان شهر المصاييح ، شهر التهجد والتراويح ، وأما لأوقاته من

زواهر ما أشرقها ، ولساعاته التي كالجواهر ما أظرفها ، أشرقت ليلها بصلاة التراويح ، وأنارت أيامها بالصيام والتسبيح ، جليتها الاخلاص والصدق ، وشرها الخلاص والحق .

فطوبى لعبد صام نهاره ، وقام أسحاره .. يا حُسنه ومصايح النجوم تزهّر ، والناس قد ناموا وهو في الخير يسهر ، غسل وجهه من ماء عينه ، وعين العين أظهر وأظهر .

إذا ما الليلُ أظلم .. كابدوة :

حبي في الله ..

لعل أطيب أوقات المناجاة أن تخلو بربك والناس نيام ، والخليلون هُجج ، وقد سكن الكون كله ، وأرخى الليل سدولة ، وغابت نجومه ، فتستحضر قلبك ، وتذكر ربك ، وتمثل ضعفك وعظمة مولاك ، فتدّنس بحضرته ، ويطمئن قلبك بذكره ، وتفرح بفضله ورحمته ، وتبكي من خشيته ، وتشعر بمراقبته ، وتلج في الدعاء ، وتجتهد في الاستغفار ، وتغضي بحوائجك لمن لا يعجزه شيء ، ولا يشغله عن شيء شيء ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن ، فيكون ، وتسأله لدنياك وآخرتك ، وجهادك ودعوتك ، وأمانيك ووطنك وعشيرتك ، ونفسك وإخوانك .

الليل مسكون وهدوء ، وفي الهدوء تركيز وصفاء والناس نيام ، وفي ذلك بعد عن الرياء ، الليل خلوة مع الله ، وفي الخلوة قرب وأنس ومناجاة .

قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل »^(١) ، وإنما كانت صلاة الليل أفضل ، لأن

(١) أخرجه مسلم (١١٦٣) .

القلب فيها يكون أكثر إقبالاً على الله ، وأبعد عن الشواغل ، ولما كان وقت الليل والتهجد فيه أفضل أوقات التطوع بالصلاة ، فيها يكون العبد قريباً من ربه ، فيها تفتح أبواب السماء ويستجاب فيها الدعاء ، فينبغي عليك أن تواظب عليها خلال شهر رمضان .

قال الأزدی : سمعت الحوَّاص يقول : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

ولكن لا ينهض إلى قيام الليل إلا أهل المجاهدة والمغالبة وأولو العزم ، فالنهوض إلى الله في هذه الساعات أشد وطئاً على النفس وأثقل من النهوض إليه بغيرها ، ولذا كان قيام الليل من مقاييس العزيمة الصادقة وسمات النفوس الكيرة ، فعلينا أن نُدخل هذا في حسابنا ولا نخفل عنه ، حتى لا نخدعك نفسك وتضيع عليك عملاً من أفضل الأعمال التي يتقرب بها إلى الله عز وجل في هذا الشهر وغيره ، وإنما تفاوت القوم بالهمم لا بالصور ، ومن نلّمح حلاوة العاقبة هان عليه مرارة الصبر .

قال رسول الله ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن »^(١) .

وصف المتجهدين وليلهم :

في وصف ليلة واحدة من ليلي أهل القرب والصفاء أهل السيق والنقاء أهل الله المخلصين :

يقول ابن القيم - عليه رحمة الله : « أما السابقون المقربون فستغفر الله

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٩) ، وصححه الألباني (٢٠٥٣) في « صحيح الجامع » .

الذي لا إله إلا هو ، أولاً من وصف حالهم وعدم الانصاف به ، بل ما شمعنا له رائحة ، ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها ، وإن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم ، فاسمع الآن وصف القوم واحضر ذهتك لشأنهم العجيب وخطرهم الجليل ، فإن وجدت من نفسك حركة وهمة إلى التشبه بهم فاحمد الله وادخل فالطريق واضح والباب مفتوح .

فنيا القوم عجيب ، وأمرهم خفي إلا على من له مشاركة مع القوم ، فإنه يطلع على ما يراه إياه القدر المشترك ، وجملة أمرهم أنهم قوم قد امتلات قلوبهم من سرقة الله ، وغمرت بسبته وخشيته وإجلاله ومراقبته ، فسرت المحبة في أجزائهم فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب .

فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه ، واجتمع همه عليه ، متذكراً صفاته العلى وأسمائه الحسنى ، مشاهداً له في أسمائه ، وقد تجلت على قلبه أنوارها ، فانصبغ قلبه بمعرفة ومحبة ، فأت جسمه على فراشه يتجافى عن مضجعه ، وقلبه قد أرى إلى مولاه وحبيبه فأراه إليه ، وأسجده بين يديه خاضعاً خاشعاً ذليلاً منكسراً من كل جهة من جهاته ، فبأ لها سجدة ما أشرفها من سجدة ، لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء .

وقيل لبعض السلف : أسجد القلب بين يدي ربه ؟ قال : إي والأي ، بسجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة ، فشتان بين قلب يبيت عند ربه قد قطع في سفره إليه ببداء الأكوان ، وخرق حجب الطبيعة ، ولم يقف عند رسم ، ولا سكن إلى علم ، حتى دخل على ربه في داره ، فشاهد جز سلطانته وعظمة جلاله وعلو شأنه وبهاء كماله . فإذا صارت صفات ربه وأسمائه مشهدة لقلبه أنستة ذكر غيره ، وشغلته عن حب من سواه .

وبالجملة : فيقن قلب العبد - الذي هذا شأنه - عرفاً للمثل الأعلى - أي

عرشاً لمعرفة محبوبه ومحبه . وناهيك بقلب هذا شأنه ، فياله من قلب من ربه ما أدناه !!

فهؤلاء قلوبهم قد قطعت الأكران ، وسجدت تحت العرش ، وأبدانهم في فرشهم كما قال أبو الدرداء : « إذا نام العبد المؤمن عُرج بروحه حتى تسجد تحت العرش ، فإن كان طاهراً أذن لها في السجود ، وإن كان جُنُباً لم يؤذن لها بالسجود » وهذا - والله أعلم - هو السر الذي لأجله أمر النبي ﷺ الجنب إذا أراد النوم أن يتوضأ .

فإذا استيقظ هذا القلب من منامه ، صعد إلى الله بهمة وحبه وأشواقه ، مشتاقاً إليه ، طالباً له ، محتاجاً له ، عاكفاً عليه ، فحاله كحال المحب الذي غاب عنه محبوبه الذي لا غنى له عنه ، ولا بد له منه ، وضرورته إليه أعظم من ضرورته إلى النفس والطعام والشراب ، فإذا نام غاب عنه ، فإذا استيقظ عاد إلى الحنين إليه وإلى الشوق الشديد والحب المقلق ، فحبيبه آخر خطراته عند منامه وأولها عند استيقاظه كما قال بعض المحبين لمحبوبه :

وَأَجْرُ شَيْءٍ أَنْتَ فِي كُلِّ مَجْعَةٍ وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتَ حَيْثُ مُبُوسِي
فَأَنْ لِقَابٍ لَا يَصْلَحُ لِهَذَا وَلَا يُصَدَّقُ بِهِ ، لَقَدْ صُرفَ عَنْهُ خَيْرُ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ .

فإذا استيقظ أحدهم ، وقد بدر إلى قلبه هذا الشأن ، فأول ما يجري على لسانه ذكر محبوبه والتوجه إليه ، واستعطافه والتعلق بين يديه ، والاستعانة به أن لا يُخْلِي بينه وبين نفسه وألا يَكُلْهَ إليها فيكُلْهَ إلى ضعفٍ وعجزٍ وذنبٍ وخطيئة ، بل يَكُلَاهُ كَلَاءَةَ الْوَلِيدِ الَّذِي لَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا .

فأول ما يبدأ به : الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور متدبراً

لمعناها ؛ من ذكر نعمة الله عليه بأن أحياء بعد نومه الذي هو أخو الموت ، وأعادته إلى حاله سويًا سليمًا محفوظًا مما لا يعلمه ولا يخطر بباله من المؤذيات والمهلكات ، التي هو عَرَضٌ وهدف لسهامه كلها ، التي تقصده بالهلاك أو الأذى ، والتي من بعضها شياطين الإنس والجن . فمن الذي كلاه وحرسه وقد غاب عنه حسه وعلمه وسمعه وبصره ، قال سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّيهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٤٢] فإذا تصور العبد ذلك فقال : « الحمد لله » كان حمده أبلغ وأكمل من حمد الغافل عن ذلك .

ثم تفكر في أن الذي أعاده بعد هذه الإمامة قادرٌ على أن يعيده بعد موته الكبرى ، ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم يدعو ويتضرع ، ثم يقوم إلى الوضوء بقلب حاضر مستصحب لما فيه ، ثم يصلي ما كتب الله له صلاةً محببٌ ناصحٍ لمحبيه ، متللي منكسر بين يديه ، لا صلاة مُدِلِّ بها عليه ، يرى من أعظم نعم محبيه عليه أن أقامه وأنام غيره ، واستزاره وطرد غيره ، وأخلَّه وحرم غيره ، فهو يزداد بذلك محبةً إلى محبته ، ويرى أن قرؤة عينه ، وحياة قلبه ، وجنة روحه ونعيمه ولذته وسروره في تلك الصلاة ، فهو يتمنى طول ليله ، ويهتم بطلوع الفجر كما يتمنى المحب الفائز بوصل محبيه ذلك ، فهو كما قيل :

يُؤَدُّ أَنْ ظِلَامَ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ وَيَنْدُ فِيهِ سَوَادُ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ

فهو يتمنى فيها مولاة تملق المحب لمحبيه العزيز الرحيم ، ويناجيه بكلامه معطيًا لكل آية حظها من العبودية .

١- فتجذب قلبه وروحه إليه آيات المحبة والوداد ، والآيات التي فيها

الأسماء والصفات ، والآيات التي تعرّف بها إلى عباده بآلائه وإنعامه عليهم ، وإحسانه إليهم .

٢- وتُعْطِبُ له السير آيات الرجاء والرحمة وسعة البر والمغفرة ، فتكون له بمنزلة الحادي الذي يعطى له السير ويهونه .

٣- وتقلقه آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال غضبه بالمعرضين عنه العادلين به غيره ، العائلين إلى سواءه ، فيجعله عليه ويمتعه أن يشرّد قلبه عنه . فتأمل هذه الثلاثة وتفقه فيها ، واللّه المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه .

وبالجملة : فيشاهد المتكلم سبحانه وقد تجلّى في كلامه ، ويعطي كل آية حظها من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق بأنها كلام الله ، بل الزائدة على نفس فهمها ومعرفة المراد منها .

ثم شأن آخر لو فطن له العبد لعلم أنه كان قبل يلعب ، كما قيل :

وكنث لرى أن قد تناهى بي الهوى إلى غاية ما بحققا لي مله
فلما تلافينا وعابنت حسنها تيقنت أنني إنما كنت العب

فروآسفاه وواحسرتاه كيف ينقضي الزمان وينفذ العمر والقلب محجوب ما شم لهذا رائحة ، وخرج من الدنيا كما دخل إليها وما ذاق أطيب ما فيها ، بل عاش فيها عيش البهائم ، وانتقل منها انتقال المفايس ، فكانت حياته عجزا وموته كمدًا ، ومعاده حسرة وأسفا .

فإذا صلى ما كتب الله له جلس مطرقًا بين يدي ربه هيبًا له وإجلالًا ، واستغفره استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه ، فإذا قضى من الاستغفار وطرا وكان عليه بعد ليل ، اضطجع على شقه الأيمن مُجِمًا لنفسه مُرِيحًا لها ، مقويًا لها على أداء وظيفة الفرض ؛ فيستقبله شيطانًا بجذبه وهمة

كانه لم يزل نائماً طويلاً ليلته لم يعمل شيئاً^(١). انتهن كلام طيب القلوب وريحانة المتجهدين ابن القيم رحمته.

بكالهم . . وبحر الدموع :

ولا يُذكر الليل إلا ويقارنه ذكرُ الدموع ، والبكاء من أعظم ما يقرب به العابدون ، واسترحم به الخائفون ، ومن أرق من المتجهدين أفئدة حين اتخذوا من الدمع رسولهم لربهم ، فالدمع ألح شفعاثهم ، فقد كاتبوا الله بدموعهم وهم ينتظرون الجواب .

قال رسول الله ﷺ : « هيثان لا تمسهما النار أبداً : حين بكى من خشية الله ، وعين باتت نحرس في سبيل الله »^(٢) ، قيل لصفوان بن محرز عند طول بكائه وتذكر أحزانه : إن ذلك يورث العمى ، فقال : ذلك شهادة لها فبكن حتى عمي .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : ما عاشرت رجلاً أرق قلباً من سفيان الثوري ، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة ، فما كان ينام إلا أول الليل ، ثم يتفطر مرعوباً ينادي : النار . . النار ، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ، ثم يتوضأ ويقول على إثر وضوءه : اللهم إنك عالمٌ بحاجتي غير مُعلم ، وما أطلب إلا فلكك رقبتني من النار ، إلهي ، إن الجزع قد أرقني ، وذلك من نعمك السابغة علي ، إلهي ، لو كان لي عند في التخلي ، ما أقمت مع الناس طرفة عين ، ثم يُقبل على صلاته ، وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه .

(١) طريق الهجرتين (٢٠٥-٢١١) .

(٢) أخرجه أبو يعلى (٣٠٧/٧) ، وصححه الألباني (٤١١٣) في «صحيح الجامع» .

أما الحسن البصري شيخ البكائين الذي وصفوه بأنه إذا بكى فكان النار لم تخلق إلا له ، لما قيل له : ما يبكيك ؟ ، قال : أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي .

وفي رواية : وما يؤمني أن يكون قد اطلع على بعض ذنوبي فقال اذهب فلا غفرت لك .

إنا لت . . أبقظ أهلك :

إن عباد الرحمن لا يكفيهم أنهم ييتون لربهم سجداً وقياماً فحسب ، بل ويرجون ذرية تسير على نهجهم ، وأن تكون لهم أزواجٌ من نوعيتهم فتقر بهم أعينهم ، وتعلمش لهم قلوبهم . قال سبحانه وتعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا عَنْهُمْ دُؤْرَهُمْ يَأْتِيَنِ لِلْعَقَابِ يَوْمَ دُؤْرِهِمْ وَمَا أَلْتَهُمْ مِنْ عَذَابٍ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينَ﴾ [الطور : ٢١]

وتأمل معي قول الرسول الكريم ﷺ : « من استيقظ من الليل وأيقظ أهله فصلباً ركعتين جميعاً ، كتبنا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات »^(١) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « رحم الله رجلاً قام من الليل فصلباً ، وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضج في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها ، فإن أبى نضجت في وجهه الماء »^(٢) ، وهذا النضج من باب الملاعبة بين الرجل وزوجته ، فهما متعاونان على طاعة الله تعالى ، ولا يحب أحدهما أن ينفرد بالخير دون الآخر .

(١) أخرجه أبو داود (١٤٥١) ، وصححه الألباني (١٢٨٨) في «صحيح أبي داود» .

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٥٠) ، وصححه الألباني (٣٤٩٤) في «صحيح الجامع» .

لِمَ نُكَلِّ هذا الامتنام بالليل ؟

لخمسة أمور :

الأول : أن الإنسان عندما يقوم الليل يكون هذا أخلص لربه جل وعلا ؛ لأنه يكون في وقت سر لا يطلع عليه أحد .

الثاني : أنه أشق على النفس ولذلك يكون الأجر أكثر ، فالأجر على قدر المشقة .

الثالث : مع ظلمة الليل من مشاغل الحياة وسكون الليل والفراغ من الدنيا والكد فيها يكون القلب أكثر مواظاة وموافقة للسان في الذكر .

الرابع : أن الليل موطن لتنزل الرحمات وتنزل رب الأرض والسموات ، فعظمت العبادة فيه .

الخامس : أن نيام الليل عبادة جامعة لطهارة القلب .

وقد قال قتادة : « كان يقال : شهر الليل منافق » يعني في قيام الليل .

ما بعين على التهجد :

الأسباب الظاهرة :

(١) قلة الطعام وعدم الإكثار منه :

فكما قلت لك سابقاً - أسني الحبيب - حاول أن تقلل من كمية الطعام ، فقلة الطعام محاب ، وإذا قل الأكل مُطِئَ القلبُ الحكمة ، فالواجب على الناصح لنفسه ألا يكثر الأكل ، فيكثر الشرب ، فيغلبه النوم ، ويتقل عليه القيام ، أما برعيت حديث رسول الله ﷺ : « أقصر من جشائك ؛ فإن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً في الآخرة »^(١) .

(١) أخرجه المحاكم (٤/ ١٣٥) ، وحسنه الألباني (١١٧٩) في «صحيح الجامع» .

رأى معقل بن حبيب قوماً يأكلون كثيراً فقال : ما نرى أصحابنا يريدون يصلون الليلة .

وقال وهب بن منبه : ليس من بني آدم أحب إلى شيطانه من الأكل والنوم .
وقال أبو سليمان الداراني : من شبع دخلت عليه ست آفات : فقد حلاوة المناجاة ، وتعذر عليه حفظ الحكمة ، وحرمان الشفقة على الخلق ، وثقل العبادة ، وزيادة الشهوات ، وإن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد ، والشباعون يدورون حول المزابل .

(٢) الاقتصاد في الكد نهاراً :

لا تتعب نفسك بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح ، وتضعف بها الأعصاب ، فإن ذلك مجلبة للنوم ، وعليك بالقصد في هذه الأعمال ، وأن تتجنب فضول الكلام ، وفضول المخالطة التي تشتت القلب .

(٣) الاستعانة بالقليلة نهاراً :

فمن أنس عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : « قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ »^(١) .

(٤) ترك المعاصي :

لا تختب الأوزار بالنهار فتقيد عليك صيامك ، وتُقسي قلبك ، وتحول بينك وبين قيام الليل .

قال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد ، إني أبيت معافى ، وأحب قيام الليل ، وأعد طهوري ، فما بالي لا أقوم ؟ ، فقال : ذنوبك قيدتك .

(١) أخرجه الطبراني (١٣/١) في « الأوسط » ، وحسنه الألباني (١٦٤٧) في « السلسلة الصحيحة » .

وقال الثوري : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنوب أذنبته ، قيل : وما هو ؟ ، قال : رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي : هذا مراء . . .
رحمهم الله قُلْتُ ذُنُوبُهُمْ فَعَلِمُوا مِنْ أَيْنَ أَتَوْا ، وَنَحْنُ كَثُرَتْ ذُنُوبُنَا فَلَمْ نَدْرِ مِنْ أَيْنَ أَتَيْنَا .

وقال الفضيل بن عياض : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار ؛ فاحلم
أنك محروم مكيل كبكتك خطيتك .

(٥) طيب المطعم :

قال بعض العلماء : إذا صمت بما مسكن ، فانظر عند من تفطر ، وعلى أي شيء تفطر ، فإن العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأولى ، فالذنوب كلها تورث قساوة القلب ، ونمنع من قيام الليل ، وأخصه بالتأثير تناول الحرام .

ولذلك قال بعضهم : كم من أكلة منعت قيام ليلة ، وإن العبد ليأكل أكلة فيحرم قيام الليل سنة .

(٦) عدم المبالغة في حشو الفراش :

فإن مما يعين على قيام الليل عدم المبالغة في حشو الفراش ؛ لأنه سبب لكثرة النوم والغفلة ، ومجلبة للكسل والدعة ، ولقد كان فراش رسول الله ﷺ من الحصر الذي حُطَّ في جنبه ، وكانت وسادته التي بنام عليها بالليل من آدم حشوها ليف .

فلا تندثر بالبطاطين ، وتضع المدفأة إلى جوارك ، على سرير وثير مريح ، فأنت بذلك تستعد لنوم طويل لن تستطيع الاستيقاظ منه أبداً ، تعتمد أن يكون نومك غير مريح حتى تستطيع القيام بسهولة .

(٧) النوم على الجانب الأيمن ، والوضوء والتسوك قبل النوم وأذكار النوم

هذه سنة النبي ﷺ والأحاديث فيها محفوظة مشهورة فاصمل ولا تكل .

الأسباب الباطنة :

(١) الإخلاص :

من صفا صفى له ، ومن كثر كثر عليه ، وإنما مكال للعبد كما كال .
إذا اطلع الخبير على ما في الضمير فلم يجد غير الخير أقامك بين يديه في
الدياجي ، فإن قيامك في الليل علامة من علامات المحبة لله ، وهي عبادة
صوائها وتاجها الإخلاص .

يا أخي . . كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم من عبادة أفسدها المحجب ،
وساعة يزري العبد فيها على نفسه خير له من عبادة يُدِل فيها عمله ، وأضر
الطاعات على العبد ما أنسته مساويه وذكرته حساته .

(٢) يقينك أن الكبير المتعال هو الذي يدعوك للقيام :

إنها دعوة من السماء . . ويكفي أنها من الله لتلبس وتنفلد ، كفأك جزاء على
الطاعة أن رغبك لها أملا . . انظر إلى حديث رسول الله ﷺ : « ينزل ربنا
تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يقرب ثلث الليل الآخر فيقول : من
يدعوني فأستجيب له ؟ ، من يسألني فأعطيه ؟ ، من يستغفرني فأغفر له »^(١) . .
قف بوادي الدل . . وقل في الدياجي : يا أيها العزيز . . منا وأهلنا الصر . .

(٣) نعم الرجل إن كان يقوم من الليل :

قال رسول الله ﷺ : « نعم الرجل عبد الله إن كان يقوم من الليل »^(٢) ، فمن
كان يصلي من الليل بوصف يكونه نعم الرجل ، وهذه شهادة غالية عالية من
الحبيب محمد ﷺ ، وقد ساق إليك عشرات الأحاديث في فضائل
المنهجدين ، فكيف تصيب على نفسك أن تكون منهم !!

(١) أخرجه السهني ، وصححه الألباني (٨٠٢١) في «صحيح الجامع» .

(٢) أخرجه أحمد ، وصححه الألباني (٦٧٧١) في «صحيح الجامع» .

(٤) يتيقنك أنك بعين الله :

الله يسمع ويرى صلاحك بالليل .. هان سهر الحراس لما سمعوا أن أصواتهم بسمع الملك ، قال سبحانه تعالى : ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ جِبْنَ تَقُومُ ۖ وَقَدْ لَدَّكَ فِي الشَّجَرِ﴾ [النمل: ٢١٨-٢١٩] .

(٥) نبيك ﷺ قام ، وأنت تنام !!

كان ﷺ يقوم الليل حتى تضطر قلعاه ، وكان لا يترك القيام وهو مريض ولا في سفر ، وأنه ﷺ ما ترك القيام في وقت الجهاد ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فكيف بك وقد ضج الليل من نومك وضجت الأرض من معاصيك .

(٦) وضع الجنة نصب عينيك :

ويتيقنك بأن التهجد يورثك أكل الجنة .. وتفكر في ما أهد الله للمتجهدين في الغرف من نعيم الجنة .. ووقوفك طويلا مع أخبار المتجهدين في ليالهم ونومهم مع الحور العين .

(٧) وضع النار وعذابها وأهلها نصب عينيك أيضا :

فمن سهر هنا في طاعة الله متهجدا ياكثا مناجيا ، لا يسهر في النار مع الصريع والزقوم والغسلين ، وسهر الليل بالقيام أهون من مقطعات الحديد وشرب الحديد .

(٨) النوم على نية القيام للتهجد .

(٩) سؤال السؤل عز وجل ودعاه أن يمن عليك بالقيام .

(١٠) علمك بمدى اجتهاد الصحابة الكرام في القيام .

(١١) معرفة مدى اجتهاد نساء السلف في القيام :

أما لك بالرجال أسوة ١١٩ . . أتبكت وانت رجل نسوة ١١٩

(١٢) الشيطان يمتك من القيام ، انطيمه ١١٩

(١٣) دوام محاسبة النفس :

وتوبخها على قيام الليل إن فرطت فيه .

(١٤) النبي ﷺ كان يتخذ أصحابه ويوقظهم للقيام .

(١٥) علمك ببيكاه السلف وتحسرهم على فوات القيام .

(١٦) اتهام النفس :

بالتقصير في القيام ، وقولك لها : قومي يا ماوي كل سوء ، فلانت أحق بالضرب من شر الدواب ، أيلظن أصحاب محمد أن يتأثروا به دوننا . . كان الرجل من السلف لا يأتي فراشه إلا زحفاً ، ومع هذا يعاتب نفسه على التقصير في حق ربه .

(١٧) معاقبة النفس :

على ترك القيام ، ومنعها من لذاتها أياماً ، والتصدق بالمال ، نام الصحابي نعيم الداري ليلة فلم يقم للتهجد ، فقام سنة لم ينام فيها عقوبة للذي صنع .

(١٨) الزهد في الدنيا :

فمن زهد في الدنيا وتقلل منها ، وصحب الدنيا بيدته صارت روحه معلقة بالأعلى ، وعلق قلبه بالآخرة ، صفى وقته بمناجاة ربه في القيام ، واتخذ القرآن دثاراً وشعاراً ، ومن عرف قيمة الدنيا وقلة المقام بها ، أمات فيها الهوى طلباً لحياة الأبد ، فاستيقظ من نوم الغفلة واسترجع بالقيام ما انتهبه العدو منه في زمن البطالة ، ومن لم تبك الدنيا عليه ، لم تضحك الآخرة إليه .

(١٩) علمك بأن الحيوانات تذكر ربها ، وأنت نائم !!

لماذا تسبح الحيوانات ربها في الحر ؟ وهي لتي لم تقترف ذنباً ولم
تركب جناية ، وأنت في نومك وخطيئك ١١ ، وتجاهد الديوك في عبادة الله
وأنت في لعبك وتفريطك .. أما تستحي !!

(٢٠) كفرة ذكر السوت :

كان النبي ﷺ إذا ذهب تلك الليل قام فقال : «يا أيها الناس ، اذكروا الله ،
جاءت الراجفة ، من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله
غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما
فيه» (١).

(٢١) قراملة تراجم المتجهدين والعيش معهم :

والترية بالقدوة خير وسيلة تعين على القيام ، والحكايات عن الصالحين
المتجهدين وكيف أنهم ما كانوا يريدون العيش في الدنيا إلا للتهجد ..

لما أتى معاذ بن جبل الموت قال : مرحباً بالموت مرحباً ، زائر مُغِيب
وحبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ، اللهم ، إني كنت أخافك وأنا اليوم
أرجوك ، اللهم ، إنك تعلم أنني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لغرس الأشجار ،
ولا لكري الأنهار ، ولا لجني الثمار ، ولكن لظلم الهواجر ، ومكابدة
الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب في جَلِّي العلم .

هذه الحكايات جند من حنود الله يثبت الله بها قلوب من يريدون سلوك
طريق التهجّد ، فبعثت لعبد نفسه ، وهو يرى أناساً يصيرون ومصيره إلى الله
واحد ، ومع هذا سهرت عيونهم ونامت عينه !

(١) أخرجه الحاكم (٣/٤١٣) ، وحسنه الألباني (٩٥٤) في «السلسلة الصحيحة» .

ما ذقت أصيبتهم غمضًا وهو ينام وله غطيط ! بكوا تحت ستر الليل وهو لاعب ! خافوا وهم قد نصبروا أقلامهم حتى تورمت ومالوا في الأسحار إلى الاستغفار وهو الأمن الغافل النائم إفلافاً أراد أن يلحق بالمتهجدين السادة .. فليترك مخاللة الفراش والوسادة ..

وأما الميسرات الباطنة لقيام الليل فأربعة أمور :

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين ، وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا .

الثاني : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل ، فإنه إذا تفكر أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره .

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأحاديث والآثار ، حتى يستحكم به رجاءه فيهيجه الشوق لطلب المزيد .

الرابع : وهو أشرف البواعث : حب الله وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو متاج ربه وهو سبحانه معه مطلع عليه .

آداب القيام :

١ - الإخلاص وترك المعجب :

قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل تطوعاً حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أمين الناس خمناً وعشرين »^(١) ، وقد كان ﷺ ينام السحر الأعلى ليذهب النوم بصفرة القيام وهو أبعد الناس عن الرياء .

اتباع هدي النبي ﷺ :

(١) صحيحه الألباني (٣٨٢١) في «صحيح الجامع» .

٢- الاغتسال والتطيب ولبس الثياب الحسنة :

فمن مجاهد بن جبير قال : كانوا يكرهون أكل الثوم والكراث والبصل من الليل ، وكانوا يستحبون أن يمس الرجل عند قيامه من الليل طيباً يمسح به شاربته وما أقبل من اللحية .

٣- التسوك لقيام الليل :

قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي ، قام الملك خلفه ، فسمع لقراءته ، فبدنوا منه حتى يضع يده على فيه ، وما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك ، فطهروا أفواهكم للقرآن »^(١) ، فانظر رحمك الله إلى حرص الملائكة واعتنائهم باستماع القرآن من البشر ، والذي نفسي بيده لو لم يكن في فضيلة السواك ليلاً إلا هذا الحديث لكفى .

٤- غسل البدن قبل ختمها في إناء الموضوء .

٥- الحرص على أذكار القيام والاستفتاح والتأسي بالنبي ﷺ في كيفية صلاته .

٦- ترديد الآية وتدبر ما فيها . ٧- ترديد السورة .

٨- البكاء . ٩- حسن الصلاة وحضور القلب .

١٠- ترك القيام مع النعاس والفتور :

قال رسول الله ﷺ : « إذا نعن أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم » فإن أحدكم إذا صلى وهو ناس نعله يذهب يستغفر فيسب نفسه^(٢) .

(١) أخرجه البزار (٢/٢١٤) ، وصححه الألباني (٢١٣) في « السلسلة الصحيحة » .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٢٠٩) ، مسلم (٧٨٦) .

١١- انتهى عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام :

قال رسول الله ﷺ : « لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا تختصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم »^(١).

١٢- إيقاظ الأهل والعصبة ومن يليه لقيام الليل .

واعلم - أخي - أنه من اعتاد على القيام لله لذلك إذا غفل عنه ، فعن ابن مسعود قال : إذا نام الرجل وهو يريد القيام من الليل أيقظه إما سنور ، وإما صبي ، وإما شيء فيستيقظ ، فيفتح عينيه وقد وكل به قرينان : قرين سوء وقرين صالح ، فيقول قرين السوء : افتح بشر ، ثم عليك ليلاً طويلاً ما تسمع صوتاً ولا قيام أحد ، فإن نام حتى يصبح أتاه الشيطان فبال في أذنه ، فأصبح ثقيلاً كسلاناً خبيث النفس مغبوراً ، أما الآخر فيقول له الملك : افتح بخير ، قم فاذكر ربك وصل ، فإن قام فتوضأ ثم دخل المسجد فذكر الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبي محمد ﷺ ، فإذا فرغ من صلاته استقبله الملك فقبله ، ثم أصبح طيب النفس قد أصاب خيراً .

أخي في الله ..

ألق نفسك في الدجن على باب الذل .

وقل : إلهي ، كم لك سواي ومالي سواك .. عبيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك .

فبفقرتي إليك وضناك عني ، بقوتك وضعفتي ، بعزك وذلي إلا رحمتي وعفوت عني ، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك .

أسألك مسألة المسكين .. وأبتهل إليك ابتهاج الخاضع الذليل .. وأدعوك

(١) أخرجه مسلم (١١٤٤) .

دعاء الخائف الضرير ، سؤال من خضعت لك رقبتك ، ورغم لك أنفك ،
وقاضت لك عينك ، وذل لك قلبك ..

إلهي .. أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي ، أنا الذي كلما هممت
بترك خطيئة عرضت لي أخرى ..

والذنوباء ! خطيئة لم تبل وصاحبها في أخرى ..

والذنوباء ! إن كانت النار لي مقبلا وماوي ..

والذنوباء ! إن كانت المقامع لراسي تها ..

رب أفحمتني ذنوبي وانقطعت مقالتي فلا حجة لي ، فانا الأسير ببليتي ،
المرتهن بعملتي ، المتردد في خطيئتي ، المتحير عن قصدي ، المنقطع بي ، قد
أوقفت نفسي موقف الأشقياء المجترئين عليك ، المستخفين بوعدك ،
سبحانك أي جرأة اجتريتها عليك ، وأي تغرير غررت بنفسك .

مولاي ارحم كبوتي لحسر وجهي وزلة قدمي ، وعد بحلمك على جهلي
وبإحسانك على إساءتي ، فانا المقر بذنبي المعترف بخطيئتي ..

وهذه يدي وناصيتي ، أستكين بالقود من نفسي ، ارحم ضعفي ونفاد أيامي
واقتراب أجلي ، وقلة حيلتي ومسكنتي ، مولاي وارحمني إذا انقطع من الدنيا
أثري ، وانمحي من المخلوقين ذكرى ، وكنت في المنسيين كمن قد نسي ،
مولاي وارحمني عند تغير صورتي وحالي ، إذا بلت جسمي وتفرقت أعضائي
وتقطعت أوصالي ، يا غفلي عما يراد بي .

مولاي وارحمني في حشري ونشري ، واجعل في ذلك اليوم مع أوليائك
موقفي ، وفي أحبائك مصدري ، وفي جوارك مسكني يارب العالمين ،
سبحانك اللهم وحنانك ، سبحانك اللهم وتعاليت .



الاعتصام بكاف

حين يخلو

كل جيب كينا

الاعتكاف

الاعتكاف .. وما أدراك ما الاعتكاف ..

جئنا إلى بيت القصيد والمَحْكُ الصادق للحب الحقيقي ..

حين يخلو كُلُّ حبيبٍ بحبيه

حين يُذكر الاعتكاف تهفو إليه النفوس المزمّنة والقلوب الصادقة .

الاعتكاف بيتُ المشاعر .. وعمقُ الإيمان .. وصدقُ التوجه .. وحلاوةُ

الغربة ..

الاعتكاف .. ملازمةُ الباب .. والوقوفُ في المحراب : ولذةُ أولي

الآباب ..

الاعتكاف .. لا بد منه لكل صادق ؛ فإنه مطلبٌ رئيسٌ يحتاجه في حياته ..

في القلب شعث لا يُلْمَةُ إلا الإقبال على الله ..

وفي القلب فاقة .. لا يسدها إلا الأنس به واستشعار معيته ..

همُّ الحياة وكبدُها .. شتاتُ القلب وتفرقه .. مأساةُ التعامل مع الناس

ودنياهم .. كل ذلك يجعل الإنسان يتوق إلى خَلوة حصينة يخلو فيها مع ربه

والله .. وحيه ومعبوده وسيده ومطلوبه ..

يجعل الإنسان يشنق إلى لحظات يتخلص فيها من كل شيء ، ومن كل

أحد .. ويجتمع همُّ قلبه وكلُّ مشاعره وأحاسيسه بل وكلُّ حواسه على الله

وحده .

وفرحة احتكاف رمضان لمن أراد أن يفتنمها فرصة الفرص ..

فإنه يخص العشر الأواخر من رمضان جو إيماني عبق .. جو روحاني طلق .. فيها هدايا .. وفرائد وفوائد .. ونغم لا تحصي تحتاج إلى شكر ..
ولك في رسول الله ﷺ أسوة ١ فإن هذه الخلوة فترة إعداد وتهية وتدريب لأحد عشر شهراً قادمة .

قال بعض أصحاب التفاسير عند الكلام على خلوة النبي ﷺ في غار حراء
كلاماً نفيساً أنقله هنا بنصه تتأمله وتستفيد ما يحس قلبك منه قال ﷺ :

« وكان اختياره ﷺ لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له ١ ليبيده لما ينتظره من الأمر العظيم . ففي هذه العزلة كان يخلو إلى نفسه ، ويخلص من زحمة الحياة وشواغلها الصغيرة ١ ويقرع لموجيات الكون ، ودلائل الإبداع ؛ وتسبح روحه مع روح الوجود ١ وتتعانق مع هذا الجمال وهذا الكمال ؛ وتتعامل مع الحقيقة الكبرى ، وتتمرّن على التعامل معها في إدراك وفهم .

ولابد لأي روح يُراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى .. لابد لهذا الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت ، وانقطاع عن شواغل الأرض ، وضجة الحياة ، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة .

لابد من فترة للتأمل والتدبر والتعامل مع الكون الكبير وحقائقه الطليقة . فالاستغراق في واقع الحياة يجعل النفس تألفه وتستقيم له ، فلا تحاول تغييره . أما الانخلاع منه فترة ، والانعزال عنه ، والحياة في طلاقة كاملة من أسر الواقع الصغير ، ومن الشواغل التافهة ١ فهو الذي يؤهل الروح الكبير لرؤية ما هو أكبر ، ويدربه على الشعور بتكامل ذاته بدون حاجة إلى عرف الناس ، والاستعداد من مصدر آخر غير هذا العرف الشائع ١

وهكذا دُبِّرَ - الله لمحمد ﷺ وهو يحمده لحمل الأمانة الكبرى ، وتغيير وجه الأرض ، وتعديل خط التاريخ . . دُبِّرَ له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة بثلاث سنوات . ينطلق في هذه العزلة شهرًا من الزمان ، مع روح الوجود الطليقة ، ويتدبر ما وراء الوجود من غيب مكنون ، حتى يحين موعد التعامل مع هذا الغيب عندما يأذن الله . اهـ .

أبها الإخوة . .

لقد كان محور حياة الرسول ﷺ الرئيسي عبادة الله عز وجل ، فهو خير من عبد الله عز وجل في هذا الكون ، فكانت له عباداته اليومية التي كان يواظب عليها من فروض ونوافل ، من أداء الصلوات الخمس ، وأداء للرواتب ، وصلاة الضحى ، وقيام الليل ، وعبادة مريض ، وتجهيز غاز ، وقضاء حوائج الناس ، وغير ذلك من سلوكه اليومي .

وقد كانت له عبادات أسبوعية ، مثل : صيام الاثنين والخميس ، وصلاة الجمعة .

وعبادات حولية ، مثل : صيام شهر رمضان ، وقيامه ، واعتكافه في العشر الأواخر منه .

وكل هذه الأمور التعبدية التي كان يحيا بها ﷺ لها توجيهاتها التربوية في حياة الإنسان المسلم ، لذلك كان لزامًا على المسلم معرفة التوجيهات التربوية في عبادات رسول الله ﷺ المتنوعة ، حتى يستطيع العمل على نهج رسول الله ﷺ ، لأنه القدوة في كل أمورنا على حد سواء وهذا هو الاتباع بإحسان .

والاعتكاف عبادة ليست كغيرها من العبادات ، فهي تعني الانقطاع إلى الله عز وجل بالكلية ، وهجر ملذات الدنيا ، التي تعترض عادة السمو الروحي للإنسان ، والصلة المتكاملة بالله عز وجل من أجل تحقيق الصفاء الروحي في علاقة الإنسان المسلم بالله عز وجل .

فالجانب الروحي في الشرع وظيفته الرئيسية لإيجاد صلة مستمرة بين العبد وخالقه عز وجل من خلال دائرة العبادة الواسعة ، التي تشمل حياة هذا الإنسان بكليته ؛ مبتغياً بذلك مرضاة الله عز وجل ، متبعاً فيه شريعة الحق تبارك وتعالى ، وتنقطع هذه الصلة الروحية عند انحراف هذا الإنسان عن اتباع مرضاة الله عز وجل ، وتطبيق شرعه القويم ، وتعود بعودة الإنسان إليها .

وهي الاعتكاف فرصة كبيرة لتحقيق هذه الصلة المستمرة بين العبد وربه عز وجل ، وذلك لتوفر بُغْيَةِ مرضاة الله عز وجل ، واتباع شرعه تبارك وتعالى بصورة مستمرة أثناء الاعتكاف ، والجوانب التربوية لسنة الاعتكاف لا تنحصر في تربية النفس على تحري ليلة القدر ، أو في تربية الجانب الروحي في حياة الإنسان المسلم ، وإنما هناك جوانب تربوية متعددة تمكثنا أن نقول : إن الاعتكاف يعتبر بحق مدرسة إسلامية تلفق بصورة مستوية .

وعندما تعمل التربية الإسلامية على الوصول بالإنسان المسلم إلى درجة «أَنْسَى تَوْبِيرَهُ» ، كان لابد وأن تُعبرها التَّوْبَةُ جُلُّ اهتمامها ، وتُتمثل على ترسم خطا النبي ﷺ في أحواله كما كان يفعل ذلك الصحابة رضوان الله عليهم ، فكانوا نماذج بشرية عالية الهمم ، أمثال : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وغيرهم رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين ، كانوا يعملون باستمرار في اتباعه ﷺ في جميع أموره حتى وإن لم يعرفوا بالحكمة في سلوكه ﷺ في أي موقف من مواقف حياته .

ولا أدل على ذلك من أنه قد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعلي فوضعهما عن يساره ، فلما رأى ذلك انقوم القوم نعالهم ، فلما فضى رسول الله ﷺ صلاته قال : «ما حملكم على التناكم نعالكم؟» ، قالوا : رأيناك ألنيت نعليك فآلقينا نعالنا ، فقال

رسول الله ﷺ: «إن جهنم خير من المسجد فليمنع، فإن رأى في عليه قلراً أو أذى فليمنعه وليصل فيهما»^(١).

فكانت تلك المبادرة الفورية التلقائية لمتابعة سلوك الرسول ﷺ التي نعلمه فآلقوا نعالهم وهكذا دوماً في كل الأحداث، وتبع عن ذلك بطبيعة الحال الاسلام الكلي لشرع الله عز وجل، الذي كان أساسه ارتفاع درجة الإيمان بالله في تلك النفوس.

وعندما بدأ نور الإيمان يخفت، وتدنّت مؤشرات في نفوس كثير من المسلمين - إلا من رحم ربي - بدأ التخلت من دائرة الشريعة الإسلامية، وخاصة سنة المصطفى ﷺ، وقد نبئت نابتة شرٌ باعتبار أن كثيراً مما جاء في حياته ﷺ سُنة، ولا بأس من تركها!!

نرى بعض العلماء والمتفكرين من أهل عصرنا، ممن عُرف بالتساهل في التمسك بالسنن، إذا قيل له في تركه بعض السنن، قال: هي سنة، وهي جائزة الترك، وينسى أو يُغفل المعنى الإيجابي لحب الرسول ﷺ، وهو مقتضى للاتباع والافتداء، واللائق بالمسلم الحصيف غير هذا، فقد كان السلف الأول يفعلون كل مطلوب شرعاً - ولو كان رغبة أو فضيلة - ودون تمييز بين ما يطلب على سبيل الفرض أو الواجب، وبين ما يطلب على سبيل الترغيب أو التذنب.

فالسنة المطلوبة جهنٌ للفرائض الواجبة، وبابٌ لزيادة الحسنات والأنوار على المتسنن بها، وعنوان الحب والاتباع لهدى الرسول الكريم ﷺ في شأنه

(١) أخرجه أبو داود (٦٥٠)، وصححه الألباني (١٣) في «مشكاة المصابيح».

كله ، فالحرص على السنن النبوية والتمثل بها من أكبر الغنائم ، وأجل الصفات ، وأفضل القربات والطاعات ؛ فعليك به أيها الأخ المسلم .

والاعتكاف سنة مؤكدة ، واطلب عليها رسول الله ﷺ في حياته بعد هجرته إلى المدينة المنورة ، وقد هجرت هذه السنة وغيرها من السنن النبوية في حياة الكثير من مسلمي اليوم - إلا من رحم ربي - وذلك لأسباب منها :

(١) ضعف الجانب الإيماني في تلك النفوس .

(٢) الإقبال المتزايد على ملذات الحياة الدنيا وشهواتها ، والذي أدى إلى عدم القدرة في الابتعاد عنها ولو لفترة بسيطة ، وبالتالي شغل الوقت والفكر بها .

(٣) اختصار محبة رسول الله ﷺ على الجانب اللفظي دون العملي ، والذي يتمثل في تطبيق جوانب السنة المحمدية المتعددة ، ومنها الاعتكاف .

قال الزهري : عجباً من الناس ، كيف تركوا الاعتكاف ، ورسول الله ﷺ كان يفعل الشيء ويتركه ، وما ترك الاعتكاف حتى قبض .

الاعتكاف الذي كان يحياه الرسول ﷺ في العشر الأواخر من رمضان ، واقتصرت مدته الزمنية بين تسعة إلى عشرة أيام ، إلا أنها تعتبر بمثابة مدرسة تربوية مستغلة متكاملة ، تتخللها كثير من أنواع العبادة لله عز وجل ، والتي تعمل على إيقاظ كثير من الجوانب الحياتية في الإنسان ، وجعلها في دائرة واحدة متجهة إلى خالقها عز وجل ، فهي بمثابة دورة تربوية مكثفة لها نتائجها الإيجابية الفورية على حياة الإنسان في أيام وليالي الاعتكاف .

ولها أيضاً أثرها الإيجابي على حياة الإنسان فيما يستقبله من أيام خلال حياته التي يحياها إلى رمضان آخر ، فحريّ بنا أبناء أمة محمد ﷺ العمل بهذه

السنة ، والإقبال عليها سنة بعد سنة ، للإفادة من جوانبها المتعددة ، وإحياء لسنة الحبيب محمد ﷺ الذي قال : « من أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة »^(١) .

هدي النبي ﷺ في الاعتكاف :

وهديه ﷺ في الاعتكاف كان أكمل هدي وأيسره .

فكان إذا أراد أن يعتكف وُضع له سريرته وفراشه في مسجده ﷺ ، وبالتحديد وراء اسطوانة التوبة كما جاء في الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ : « أنه كان إذا اعتكف طرح له فراشه ، أو بوضع له سريره وراء اسطوانة التوبة »^(٢) .

وكان النبي ﷺ يُضرب له خِباء على مثل هيئة الخيمة ، فيعكث فيه غير أوقات الصلاة حتى تتم الخلوة له بصورة واقعية ، وكان ذلك في المسجد ، ومن المتوقع أن يُضرب ذلك الخِباء على فراشه أو سريرته ، وذلك كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان ، فكنت أضرب له خِباءً ، فيصلي الصبح ، ثم يدخله »^(٣) .

وكان دائم العكث في المسجد لا يخرج منه إلا لحاجة الإنسان من بول أو غائط ، وذلك لحديث عائشة رضي الله عنها حين قالت : « وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان متكفًا »^(٤) .

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٨) ، وضعفه الألباني (٥٠١) في «ضعيف الترمذي» .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٧٤) ، وضعفه الألباني (٣٩٢) في «ضعيف ابن ماجه» .

(٣) متفق عليه ، البخاري (١٩٢٨) ، مسلم (١١٧٢) .

(٤) متفق عليه ، البخاري (١٩٢٥) ، مسلم (٢٩٧) .

وكان ﷺ يُزَيَّنُ إليه بطعامه وشرابه إلى معتكفه ، وكان ﷺ يحافظ على نظافته ؛ إذ كان يُخرج رأسه إلى حجرة عائشة رضي الله عنها لكي تُزجل له شعره ، فعنها رضي الله عنها : « أنها كانت تُزجلُ النبي ﷺ وهي حائض ، وهو معتكف في المسجد ، وهي في حجرتها ، تناولها رأسه »^(١) .

وكان ﷺ لا يعود مريضاً ، ولا يشهد جنازة ؛ وذلك من أجل التركيز والانقطاع الكلي لمناجاة الله عز وجل ، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كان النبي ﷺ يمر بالمريض وهو معتكف فيمر كما هو ولا يُعرج يسأل عنه »^(٢) ، وأيضاً عنها أنها قالت : « السنة في الاعتكاف أن لا يعود مريضاً ، ولا يشهد جنازة ، ولا يمس امرأة ولا يباشرها ، ولا يخرج لحاجة إلا لما لابد منه ، ولا اعتكاف إلا بصوم ، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع » .

وكان أزواجه رضي الله عنهن يزرنه في معتكفه ، وحدث أنه خرج يوصل إحداهن إلى منزلها وكان ذلك لضرورة ، إذ كان الوقت ليلاً ، فرأى ﷺ أن خروجه معها رضي الله عنها لابد في ذلك الليل ، فخرج معها من معتكفه ؛ ليوصلها إلى بيتها .

وغلاصة القول : إن هديه ﷺ في اعتكافه كان يتسم باليسر ، فقد كان جُل وقته مُكثً في المسجد ، وإقبالاً على طاعة الله عز وجل ، وترقبٌ ليلة القدر .

مقاصد الاعتكاف :

(١) تحري ليلة القدر .

(٢) الخلوة بالله عز وجل ، والانقطاع عن الناس ما أمكن ؛ حتى يتم أنه بالله عز وجل وذكره .

(١) نفس الحديث السابق .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٧٦) ، وصححه الألباني (١٤٣٨) في « صحيح ابن ماجه » .

- (٣) إصلاح القلب ، ولثم شغفه بالإقبال على الله تبارك وتعالى بكليته .
- (٤) الانقطاع التام للعبادة الصبر من صلاة ودعاء وذكر وقراءة قرآن .
- (٥) حفظ الصيام من كل ما يؤثر عليه من حفظ النفس وشهواتها .
- (٦) التقليل من الحباح من الأمور الدنيوية ، والزهد في كثير منها مع القدرة على التعامل معها .

حكم الاعتكاف :

سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ .

ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركبة على سديها حصير ، قال : فأخذ الحصى بيده ففحها في ناحية القبة ، ثم أطلع راسه فكلّم الناس ، فلدنوا منها ، فقال : «إني اعتكفت العشر الأول انصرف هذه الليلة ، ثم اعتكفت العشر الأوسط ، ثم أثبت فقبل : إنها في العشر الآخر ، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف» ، فاعتكف الناس معه ، قال : «وإني أريتها ونرا وإني أسجد صبيحتها في طين وماء» ، فأصبح رسول الله ﷺ من ليلة إحدى وعشرين وقد قام إلى الصبح فمطرت السماء ، فوكنف المسجد ، فأبصرت الطين والماء ، فخرج حين فرغ من صلاة الصبح وجيئه وروته أنه فيهما الطين والماء ، وإذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الآخر^(١) .

شروط الاعتكاف :

- (١) الإسلام : إذ لا يصح من كافر ، وكذلك المرتد عن دينه .

(١) متفق عليه ، البخاري (٧٨٠) ، مسلم (١١٦٧) .

(٢) التمييز : إذ لا يصح من صبي غير مميز .

(٣) الطهارة من الحدث الأكبر (من جنابة ، وحيفض ، وثقاس) ، وإن طرأت مثل هذه الأمور على المعتكف أثناء اعتكافه وجب عليه الخروج من المسجد ؛ لأن مكث على هذه الحال في المسجد حرام .

(٤) أن يكون في مسجد : والأفضل أن يكون الاعتكاف في مسجد جامع تقام فيه الجمعة ، حتى لا يضطر إلى الخروج من المسجد لأجل صلاة الجمعة .

أركان الاعتكاف :

(١) النية : وهي أمرٌ ضروري ، وفيه إخلاص العمل إلى الله عز وجل ، وهو كذلك في سائر الأعمال .

(٢) المكث في المسجد : وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَنَعْبُدُكَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَسْتَعِينُكَ أَنْ تَهْتَدِيَ بَيْنَ الْيَمِينِ وَالْمَكِينِ وَأَرْضَعِ الْجُودَ ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، وفي هذا تأكيد على أن مكان الاعتكاف هو المسجد .

زمانه وبداية وقته :

إذا كان في رمضان فأكذ وفيه العشر الأواخر منه ، ويجوز في أي وقت في رمضان أو غيره ، فهو لا يختص بزمان معين ؛ لأنه أمرٌ مستحب في جميع الأوقات ، وخاصةً إذا ألزم المسلم نفسه بنذر ، وأما بالنسبة لبداية وقته فقبل غروب الشمس لمن أراد أن يعتكف ليلة أو أكثر .

محظورات الاعتكاف :

(١) الخروج من المسجد : يبطل الاعتكاف إذا خرج من المسجد لغير حاجة .

(٢) مباشرة النساء : ومنها الجماع ، فهذا الأمر يطل الاعتكاف ؛ لو ردد النهي عنه صريحا في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَبْتَغُوا مِنْهُ أَنْتُمْ عَنْكُمْ فِي السُّجُودِ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

(٣) الحيض والنفاس : فإذا حاضت المرأة المعتكفة أو نفست وجب عليها الخروج من المسجد ؛ وذلك للحفاظ على طهارة و قدسية المسجد ، وكذلك الجنب حتى يغتسل .

(٤) قضاء العدة : وذلك إذا توفي زوج المعتكفة وهي في المسجد ، وجب عليها الخروج لقضاء العدة في منزلها .

(٥) الرضة : حيث إن من شروط الاعتكاف الإسلام ، فيطل اعتكاف المرتد .

أهداف الاعتكاف :

لا بد أيا الأحبة في الله من تحديد الأهداف المطلوبة وراء هذا العمل العظيم ؛ لأن معرفة الأهداف وتحديداتها يجعل النفس تشرف لها وتنطلع إليها دوماً وتحرص على تحصيلها .. وهي كثيرة :

(١) تطبيق مفهوم العبادة بصورتها الكلية :

يُوصِل الاعتكاف في نفس المعتكف مفهوم العبودية الحققة لله عز وجل ، ويدربه على هذا الأمر العظيم الذي من أجله خلق الإنسان ؛ إذ يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات : ٥٦] ، حيث إن المعتكف قد وهب نفسه كلها ووقته كله متعبدا لله عز وجل ، فالإنسان كثيرا ما يضع أوقانا ثمينة ، قضائها في أمور مباحة دون أن ينوي بها طاعة الله عز وجل ، وفي هذا المدار تسير حياته ، ويعيش كثيرا من ساعات الغفلة

وخاصة في زمننا المعاصر الذي كثرت فيه المغريات والصوارف عن طاعة الله .

فالمعتكف يادئ ذي بَدْء نجد أنه ينوي الاعتكاف مخلصاً لله عز وجل ، ويبدأ ذلك بلزومه المسجد من أجل طاعة ربه ، ويكون شغله الشاغل في زمن الاعتكاف هو مرضاة الله عز وجل ، فهو يشغل بدنه وحوائه ووقته من أجل هذا الأمر ، بالصلاة من فرض ونفل ، وبالدعاء ، والذكر وقراءة القرآن ، وغيرها ، ويبتعد في نفس الوقت عن صوارف هذه الطاعة ، فيبتعد عن مجالس الكلام المباح ، وإن تكلم مع أخيه ففي حدود الحاجة وفي مدار طاعة الله عز وجل .

وبذلك يتحقق في واقعه مفهوم العبادة لله عز وجل التي عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية - عليه رحمة الله بقوله : العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة ، والصيام ، والحج ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم ، والمكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين أو البهائم ، والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك من العبادة لله . اهـ .

وبهذه الدُربة في مثل أيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان المبارك يترين المعتكف على كيفية تطبيق مفهوم العبودية لله عز وجل في حياته العامة والخاصة ، ويضع موضع التطبيق قول الحق تبارك وتعالى : ﴿عَلَّ إِنِّ سَلَّانِي وَمُسْكِي وَمَحْمَايَ وَمَمَائِي بِقُوِّ رَبِّ الْمَلَّيْنِ ۝ لَا شَرِيكَ لَمْ وَمَذَلَّكَ لُزْتُ وَلَنَا أَوَّلُ السَّيِّئِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

وبعد انقطاع وقت الاعتكاف يجتهد المعتكف قدر استطاعته ليجعل حياته الخاصة والعامة في دائرة العبادة ، ولم يفتن كثير من الناس أن النية هي المحوّل العجيب ، إلا أنها لا تحوّل الجماد إلى نوع آخر من الجماد ؛ ولكنها تحوّل العبادة العادية التي تضمحل وتزول بمجرد الانتهاء منها إلى أعمال باقية خالدة ؛ فالطعام والشراب والنكاح كل ذلك زائل ذاهب ، فإذا قصد العبد به نية صالحة ؛ كأن ينوي التقوي بالطعام والشراب على طاعة الله ، وكأن يعف نفسه عن الزنا بالنكاح ، ويطلب الولد الصالح الذي يعبد الله ويجاهد في سبيله ؛ فإن هذه الأعمال تتحول إلى أعمال باقية صالحة .

وبهذا التوجه في النفس الإنسانية المسلمة تستقيم هذه النفس في حياته كلها ، وإذا كثرت عدد الأفراد من هذه النوعية في أي مجتمع إسلامي استقام ذلك المجتمع أيضًا .

(٢) تحري ليلة القدر :

يكدرح الإنسان في حياته من رمضان إلى رمضان اثني عشر شهرًا بأيامها ولياليها ، ﴿يَكَايُهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَايُحُ إِنَّ رَبَّكَ كَذًا فَلْيُؤْيِ﴾ [الانشقاق : ١] ويبقى الإنسان المسلم في عملية أخذ وعطاء في ميدان الطاعة والمعصية ، ويغفل القلب في كثير من الأحيان عن ميدان الطاعة ، وتتغفل الجوارح في الخطايا ، وتتكاثر الذنوب على كاهل هذا الإنسان من حيث يدري ومن حيث لا يدري ، وفي واقع الإنسان المسلم الحصيف تجده مستغفرًا منيًّا إلى الله عند درابته بوقوعه في المعصية والخطأ ، وهذه من سمة الإنسان ؛ لقوله ﷺ : «كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون»^(١) . فتدوم توبة الحصيف ويضيق الكثير على الغافل .

(١) أخرجه أحمد (١٩٨/٣) ، وحسنه الألباني (٤٥١٥) في «صحيح الجامع» .

وتبين بذلك الخطايا التي لم يعلم بها ، ولكن هذا الواقع لا يتوافر في حياة الكثير من مسلمي اليوم ، الذين يعيشون في عصر سمته الغفلة عن مرضاة الله عز وجل ؛ وذلك لكثرة صوواف وشواغل الدنيا ، وكثرة الغلهيات والمنكرات ، التي أصبحت في حرف هذا العصر من المعروف ، كل هذا يستوجب على الإنسان تحيُّن الفرص التي يلقا فيها لمحاسبة نفسه ، والتخلص قدر الاستطاعة من تراكم الذنوب .

ومن رحمة الله عز وجل بالإنسان المسلم أن أوجد له مواسم للطاعات يتقرب فيها الإنسان إلى ربه عز وجل ، وتحيط عنه من خلال هذا التقرب تلك الخطايا والمعاصي ، ومن هذه المواسم شهر رمضان ، وأخص ما في هذا الشهر ليلة القدر ، إذ يقول الرسول الكريم ﷺ : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »^(١) .

ففي الاعتكاف فرصة دورية للمعتكف لمراجعة حياته السابقة ، وتأمل ما عمل فيها من سوء ، وحقد النية على عدم الرجوع إليه ، والتوبة والندم عليه ، والتضرع إلى الله العليّ القدير أن يعفو عنه ويغفر له ، وخاصة في ليلة القدر ، وأولى الناس بشهود ليلة القدر من بداية وقتها وحتى انتهائه هو المعتكف ؛ لأنك تجده قابلاً في المسجد في ذلك الوقت ذاكراً لله في جميع أحواله بمختلف أنواع الذكر متحريراً هذه الليلة المباركة .

وشعور الإنسان المسلم بمخفرة الله عز وجل ، وأنه قد تخفف من كثير من الذنوب التي أزيحت عن كاهله يعطيه نوعاً من الدافعية للانطلاق في طاعة الله عز وجل ، ومرضاته في أعماله المختلفة ، لكسب المزيد من الحسنات التي تثقل موازينه يوم العرض على الله عز وجل .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٥) ، مسلم (٧٦٠) .

(٣) **تعوّد المكث في المسجد :**

في الاعتكاف تدريب وتربية للنفس على تعوّد المكث في المساجد ، الذي له أهميته في حياة الإنسان المسلم ، فالمعتكف قد ألزم نفسه البقاء في المسجد مدة معينة ، وفي شهر رمضان عادة ما تكون ما بين تسع إلى عشر ليال يقضي وقته كله في مرضاة الله عز وجل ، وقد لا تقبل النفس الإنسانية مثل هذا القيد في بداية الاعتكاف ، ولكن عدم القبول هذا عادة ما يتبدد سريعاً لما تلقاه النفس المسلمة من راحة وطمأنينة في بقائها في بيت الله .

ومعرفة المعتكف بأهمية بقاءه في المسجد أثناء اعتكافه ، وبالتالي المبادرة إلى المسجد قبل الأذان أو بعده بعد رمضان ، يجعله يحرص على هذا الأمر في حياته بصورة مستمرة لأهميته التي تتجلى في الأمور التالية :

١- رجل تعلق قلبه بالمساجد :

أن الرجل الذي يمكث في المسجد قد أحب المسجد من قلبه ، وذلك الحب يجعله من الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، ففي الحديث : «ورجل قلبه معلق بالمساجد»^(١) .

٢- فضيلة المكث في المسجد :

أن الذي يمكث في المسجد ينتظر الصلاة له أجر صلاة ، وأن الملائكة تستغفر له مادام في مُصَلَّاء ولم يُحَدِّث . قال رسول الله ﷺ : «صلاة في إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين»^(٢) .

(١) متفق عليه ، البخاري (١٣٥٧) ، مسلم (١٠٣١) .

(٢) أخرجه أبو ذرّاد (٢٧/٢) ، وحتّ الألباني (١٢٨٨) في «صحيح أبي ذرّاد» .

٣- فرح الله بالعبد :

فرح الله عز وجل بانخراط المؤمن المسجد موطنًا يقصد الله فيه ويذكره ، وهذه من النعم الجليلة من الله الجليل عز وجل على هذا العبد الفقير ، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « ما توطن رجلٌ مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تبشّر الله له كما يتبشّر أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم »^(١) .
الله أكبر ! ، لك أن تتصور من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل تبشّر الله لك حال قدومك إليه وإقبالك عليه .

ومعرفة هذه الفضائل ضرورية بالدرجة الأولى للمعتكف ؛ إذ أنها تعطيه دافعًا للاستمرار في اعتكافه بجد واجتهاد في طلب رضا الله عز وجل ؛ حتى تستمر له هذه الحسنات والأجور .

(٤) البعد عن الترف المادي :

فُتحت الدنيا على كثير من مسلمي اليوم ، وتوفرت وسائل الراحة المختلفة التي كلما أخذ إليها الإنسان ازداد في طلبها ، وبذلك عملت وسائل الراحة هذه في زيادة الغفلة في حياة المسلم ، ويشعر في كثير من الأحيان أن وسائل العيش المترفة أمرٌ أساسي في حياته لا يستطيع أن يتخلّى عنه .

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، إذ كان راضيًا من الدنيا بالكفاف ، وهو الذي كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، ويتمتع بالطيبات متى تيسرت من غير سرف ولا مجيلة ؛ ليوضح لأمة حقيقة الزهد لتستشّر به فيه ؛ لأنه إمام الزاهدين وقدوة المؤمنين ورحمة الله للعالمين .

(١) أخرجه أحمد (٣٢٨/٢) ، وحسنه الألباني (٥٦٠٤) .

ففي جنبه ﷺ تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بُرُّ ثلاث ليالٍ تياحاً حتى قبض »^(١).

وفي إدامه يقول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « إن رسول الله ﷺ سأل أهله الأذم فقالوا : ما عندنا إلا خُلٌّ ، فدعا به فجعل يأكل ويقول : « نعم الأدم الخُلُّ ، نعم الأدم الخُلُّ »^(٢).

وفي مسكنه في حديث عمر الطويل ، يقول عمر : « قد دخلت عليه ، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش ، قد أثر الرمال بجنبه ، متكئاً على وسادة من أدم حشوها ليف »^(٣).

فهذا واقع خير خلق الله عز وجل في هذه الدنيا ، وهذا موقفه من وسائل العيش التي جعلت الكثير منا - إلا من رحم الله - يتمادى في طلبها بصورة تزيد غفلة عن طاعة الله عز وجل ويسع دينه من أجلها .

وفي الاعتكاف يتخفف المعتكف من هذه الأمور ، فيعرف قيمتها الحقيقية وأنها لا أهمية لها ويصبح كأنه إنسان غريب في هذه الدنيا ، فهو من أجل مرضاة الله عز وجل ارتضى أن يقع في ناحية من المسجد ليس لديه في الغالب إلا وسادة يضع عليها رأسه وغطاء يغطي به ، فراشه هو فراش المسجد ، فهو قد ترك فراشه الوثير وعاداته الخاصة من أجل ذلك الرضى . وكذلك طعامه ، فهو عادة لا يؤتى إليه بالكثير من الطعام ، فيأكل كما يأكل الغريب ، ويأكل كما يأكل العبد الفقير إلى ربه .

وبهذا يتبين الفرد على حقيقة لها أصالتها في التربة الإسلامية ، وهي أن

(١) متفق عليه ، البخاري (٥١٠٠) ، مسلم (٢٩٧٠) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥٢) .

(٣) متفق عليه ، البخاري (٤٦٢٩) ، مسلم (١٤٧٩) .

الحياة الدنيا دار ابتلاء واختبار ، وأنها دار مرر وعبور إلى حياة أخرى . سرمدية خالدة ، يجب أن يعمل لها الإنسان جُلَّ وقته من خلال تعامله مع هذه الحياة الفانية ، فيترفع عن التعلق بالكثير من الأمور المعاشية ، التي كانت تشغل باله في السابق عن مرضاة الله عز وجل .

(٥) الإقلاع عن كثير من العادات الضارة :

في ظل غياب مفهوم التربية الإسلامية في كثير من المجتمعات الإسلامية ، نشأت لدى أفراد هذه المجتمعات كثيرٌ من المعاصي المنتشرة التي استهان بها الناس ، ومنها : التدخين ، وسماع الموسيقى والأغاني ، ومشاهدة ما يَبْثُّ في الفضائيات من أحاديث تخدش عقيدة المسلم ، ومن مناظر تعمل على هدم أساسيات الأخلاق الإسلامية .

فيُتعرف الإنسان المسلم في فترة الاعتكاف ، وقد خلا إلى خالقه ، على مفهوم العبادة بصورتها الشاملة ، وأنه يجب أن يكون متعبداً لله عز وجل على مدار الساعة في حياته العامة والخاصة ، وأن يتفني مرضاة الله عز وجل في كل حين فشغله بالطاعة انشغال عن المعصية ، وهذه المعرفة لمفهوم العبادة تجعله ينفق على زيف هذه المعصية السيئة ، فهو عندما يتخذ حب ومرضاة الله عز وجل كميزان يزن به كل عمل يقوم به ، يجد أن تلك المعاصي لا تنفق مع هذه المحبة لله عز وجل ، بل تعمل في اتجاهٍ معاكس لها ، ويجد بذلك أن مثل تلك المعاصي تخرجه من دائرة العبودية الصادقة لله ، وإذا كان الأمر كذلك فيجب عليه أن يتخلص منها في أسرع وقت ممكن .

فالمسلم العاقل الذي أخلص نيته لله عز وجل في اعتكافه يحرص كل الحرص على سلامة وكمال طاعته وعبادته لله عز وجل ، فإذا كان قد ابتلي بشيء من هذه المعاصي ، فالاعتكاف فرصة سنوية يستطيع فيها المعتكف أن

يتخلص من هذه البلايا عن طريق التوبة والالتجاء إلى الله عز وجل أولاً ، وعن طريق فطام النفس عن تلك البلايا في فترة الاعتكاف ، وعدم تحقيق رغبة النفس منها وتعويدها على ذلك ، وفي هذا كله تربية للنفس على القدرة على التخلص من كثير من العادات التي لا تُرضي الله عز وجل فضلاً عن المعاصي والذنوب .

(٦) حفظ اللسان والجوارح عما لا ينفع الإنسان :

يُستحب للمعتكف أن يشتغل بالصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله وما إليها من القربات ، وعليه أن يترّك اعتكافه عما لا يعنيه من الأقوال والأفعال ، وأن يتجنب الجدال والجراء والسباب ، فهذه الأمور تُكره لغير المعتكف ، فمنه أشدُّ كراهة ، ولا بأس أن يتكلم بما فيه حاجته ومصلحته مما لا إثم فيه .

ومن أطلق عَذْبَةَ اللسان ، وأهمله مَرْجِيَّ العَنَان ، سلك به الشيطان في كل ميدان ، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ، ولا يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيد بلبام الشرع ، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله .

وغض البصر أيضاً من الأمور التي أمر الإسلام بها ، فينبغي على المعتكف ألا يستخدم بصره إلا في أمور الطاعة من قراءة قرآن ، وطلب علم ، وتدبر ، وتأمل في ملكوت الحق تبارك وتعالى ، وهو بذلك ممثلٌ لأمر الله عز وجل في حالته هذه في مقامه بالمسجد الذي قد يرتاده النساء ، كما هو الحال في المسجد الحرام ، أو في حالة خروجه لحاجاته المختلفة إلى خارج المسجد .

وكذلك بقية الجوارح لا يستخدمها إلا في طاعة الله عز وجل ، حتى القلب والفكر لا يجوز استخدامهما في تمنى أمور لا تُرضي الله عز وجل .

(٧) التفكير في آلاء الله عز وجل :

في عصر الغفلة الذي نعيشه ، وسعي الإنسان الحثيث وراء متطلبات الحياة المادية ؛ تقل الفرص التي تتيح للإنسان المسلم إعمال العقل والفكر في مجال الآيات الكونية والشرعية .

وفي فترة الاعتكاف تصفو النفس المسلمة في اتصالها بخالقها ، وينفص الإنسان يديه من مشاغل الحياة الدنيا ، ويتفرغ لما يرضي الحق تبارك وتعالى ، وتُتاح له الفرصة يَلُوّ الفرصة للقيام بعمليات التفكير والتدبر ، وذلك من جراء الوقت الفسيح الذي يعيشه المعتكف ، وقد أخلّى قلبه من كل شيء إلا الله عز وجل ، فلو تفكر المعتكف في أمر كُلٍّ من الصيام والاعتكاف فقط ؛ لعرف ووقف على كثير من الجُحُم التي تقف وراءهما ، ولارتفع مؤشر الإيمان لديه .

(٨) الصبر وقوة الإرادة :

في واقع الاعتكاف يتعرض الإنسان المسلم إلى مواقف متعددة هي بمثابة تمرين عملي للعبد على الصبر ، فعلى سبيل المثال :

• هناك صبر على طاعة الله عز وجل ، فهو أمر لم يكن المعتكف معتاداً عليه في حياة ما قبل الاعتكاف ، وهو الآن بعيد تماماً عن أي صوارف تصرفه عن هذه الطاعة ، وهذه الطاعة المستمرة لله عز وجل تحتاج إلى صبر مستمر من قبل المعتكف ، وفي هذا تربية للإرادة وكبح لجماع النفس التي عادة ما ترغب في التغلب من هذه الطاعة إلى أمور أخرى تهواها .

• وهناك الصبر على ما نقص مما ألفت عليه النفس من أنواع الطعام مثلاً .

• وهناك الصبر على نوع الفراش الذي ينام عليه ؛ فليس بالإمكان أن يوضع له سرير في المسجد .

• وهناك الصبر على ما يجد في المسجد من مزاحمة الآخرين له ، ومن عدم توفر الهدوء الذي كان يألفه في منزله إذا أراد النوم .

• وهناك الصبر على الزوجة إذ يُحَرِّمُ عليه مباشرتها عند دخوله إلى منزله للحاجة وهي حلاله ، وفي هذا الأمر تتجلى قيمة الصبر وقيمة القوة في الإرادة وضبط النفس .

(٩) الاطمئنان النفسي :

إن ذكر الله عز وجل بعموميته جالب لطمأنينة النفس لا محالة ، وتؤكد الطمأنينة في واقع المعتكف بصورة أساسية ؛ لأن حياته في معتكفه تدور حول هذا الأمر بطريقة مستمرة ، فصحوته ذكر ، ومنامه ذكر ، وطعامه ذكر ، وحركاته وسكناته كلها ذكر ، وهنا تشرق على نفسه طمأنينة لم يكن يعيها في حياته قبل الاعتكاف ؛ لأنه زَكَنَ واستكان إلى جنب الله ، فهو ضيفٌ على الله في بيت من بيوته ، وقد يتساءل عن سر تلك الطمأنينة ومصدرها ، فيجد الإجابة تبرز من ثنايا أعماله التي يقوم بها في اعتكافه ، والتي منها هلن سبيل

المثال :

- الصلاة : لقاء مباشر مع خالقه . . بناجيه . . فيسمعه الله عز وجل . . يدعو في سجوده . . فيستجيب له ، فتطمئن النفس إلى هذا اللقاء وتكثر منه .
- قراءة القرآن : وهو ذكر الله الذي أنزله على رسوله ﷺ ، به طمأنينة قلوب المؤمنين ، فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين ، ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن ، فإن سكون القلب وطمأنيته من يقينه ، واضطرابه من شكِّه ، والقرآن هو المحصل لليقين ، الدافع للشكوك والظنون والأوهام ، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به .

• الذكر المقيد والمطلق : من تهليل وتحميد وتسبيح وتكبير . . وفي استمرارية المعتكف في هذا النوع من الذكر كل أوقاته مدعاة وسبب لحصول الأمان والاطمئنان النفسي .

يقول ابن القيم : إن ذكر الله عز وجل يُذهب من القلب مخاوفه كلها ، وله تأثير عجيب في حصول الأمن ، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل ، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه ، حتى كان المخاوف التي يجدها أماناً له ، والغافل خائف مع أمنه ، حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف ، ومن له أدنى جش قد جرب هذا ، هذا والله المستعان .

(١٠) تلاوة القرآن الكريم :

إن معرفة المعتكف بفضائل قراءة القرآن الكريم ، والعمل به ، وختمه مرة تلو الأخرى ، هي تربية على الحرص على تعلم القراءة السليمة للقرآن الكريم ، وعلى الحرص كذلك على المداومة على قراءته ، وتخصيص ورد يومي يحرص كل الحرص على قراءته ، وبذلك يسعد في دنياه وآخرته .

(١١) التوبة النصوح :

في حياة المعتكف نجد أن هناك أموراً عدة تحثه على التوبة النصوح من كل معاصيه ، **منها :**

• أن القلب قد توجه بكليته إلى الله عز وجل ، وأن الصلة بين هذا الإنسان وخالقه اتسمت بالاستمرارية على مدار اليوم والليلة في أيام وليال متوالية ، وحرى بالإنسان المسلم أن يستمر هذه الصلة بالتوبة والندم والاستغفار ، وذلك لقربه من الله عز وجل .

• أن هناك مجالاً للتفكير والتأمل في حياته : كيف هي من تطبيق شرع الله عز وجل ؟ ، وما جوانب النقص في هذا التطبيق ؟ ، وما الأسباب التي أدت إلى وجود هذا النقص ؟ ، ومن خلال هذا التأمل تظهر خطايا ومعاصي هذا الإنسان ، ومن خلال التأمل يأتي الإقرار والاعتراف من جانبه بهذه الذنوب والمعاصي ، ويدفعه ذلك إلى المبادرة بالتوبة والنية والعزم على عدم العودة إليها .

• أن المعتكف يحيا بواقعيته شهر المغفرة والتوبة والعنق من النار ، وفي هذا دافع حقيقي للتوبة النصوح .

• استشعار مرضاة الله عز وجل والثقة فيه بأن يغفر الذنوب جميعاً ، يورث النفس طمأنينة واستقراراً ، ويدفعها إلى الاستمرارية في العمل الصالح ، وابتغاء مرضاة الله في كل حين ، والمصارعة إلى التوبة والاستغفار كلما بدا منه ذنب أو خطأ أو تقصير ، وبذلك تصلح حياته .

(١٢) التورود على قيام الليل :

المعتكف يتبغي مرضاة الله عز وجل من اعتكافه وقيام الليل ، وخاصة في العشر الأواخر من رمضان ، من صلاة التراويح والتهجد ، وبذل جهده فيما يزيده رضا من الله عز وجل .

ومن خلال قيام الليل يترى المعتكف على حسن الوقوف بين يدي الله عز وجل بنفس صافية ، وروح موصولة بالله عز وجل ، يترى على حسن المناجاة ، ويقف على هذه اللذة ، وهو موقن بأن الله عز وجل قريب منه . . . يراه . . . يسمعه . . . يستجيب له .

وهذا كله يعطي للإنسان دفعة قوية للمواظبة على قيام الليل ، وحرى بمن

تعود على لذة مناجاة خالقه في أوقات السحر ، والذي يعتبر من أنعم الأوقات في حياة المسلم ، واليقين بأن الله عز وجل يراه ويسمعه ، حري به ألا تفوته ليلة من ليالي عمره القصير إلا وقد تلذذ بتلك المناجاة ، وأعز نفسه بالالتجاء الحق إلى بارئه .

(١٣) همارة الوقت :

يقول ابن القيم - عليه رحمة الله : «وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة ، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم ، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم ، وهو عمر فر السحاب ، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره ، وخير ذلك ليس محسوبا من حياته ، وإن عاش فيه جيش البهائم ، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهر والأمانى الباطلة ، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة ، فموت هذا خير له من حياته » اهـ .

والمعتكف قد عمل جهده وحرص على إنفاق وقته كله في طاعة الله عز وجل ومرضاته ، وحمل أيضا على تنظيم وقته ، وتعود في فترة اعتكافه على ذلك التقسيم ، فاستفاد من كل دقيقة في مرضاة الله ؛ وهو بذلك قد وقف على قيمة الوقت وحقيقتها ، فترى في هذه الفترة الزمنية القصيرة على كيفية استغلال الوقت بصورة سليمة ؛ مما يتوقع أن يكون له أثره في حياته بعد الاعتكاف .

(١٤) القرب من الله عز وجل ، ومحبة تبارك وتعالى للعبد :

للمعتكف قد ابتعد عن الخلق ، وأدنى ما التزمه الله عليه من صيام وصلاة وزكاة ، وتقرب إلى الله عز وجل بنوافل شتى من اعتكاف وصلاة وقراءة قرآن وذكر وتفكير وتأمل وغير ذلك ، واعتادت النفس أداء هذه النوافل ، فمن طريق هذا القرب من العبد لربه ، وبعده عن الخلق ، يأتي تبادل المحبة بين العبد وخالقه عز وجل ، وهذا فضل من الله عز وجل في رفع درجة المعتكف عنده

تبارك وتعالى ، فهذا وعده سبحانه في الحديث القدسي قال : « لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه »^(١).

وشعور المعتكف بهذه المحبة تجعله يعمل على المحافظة عليها في حياته بعد الاعتكاف ؛ لأن محبة الله له أضمن ما يملك الإنسان في الدار الفانية ، والدار الباقية ، ولا بد له من العمل على تنمية هذه المحبة عن طريق زيادة القرب من الله عز وجل ؛ لأن العبد كلما ازداد تقرباً إلى الله عز وجل زاده الله قرباً منه ، وأثابه على القليل من هذا التقرب بالأجر والثواب العظيم ، فمن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة »^(٢).

(١٥) تزكية النفس :

قال سبحانه : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى » [الأعلى : ١٤] ، والتزكية هي تطهير النفس ، ورفع مكانتها عند الله عز وجل ، بطاعته تبارك وتعالى ، والاعتكاف ميدان رئيسي في تطهير النفس ، وعند استمرارية مفهوم التزكية من اعتكاف في مرحلة ما بعد الاعتكاف ، فيحرص دائماً على تطهير النفس من كل أمر ليس فيه رضى الله تبارك وتعالى ، فيكون ذلك عنوان فلاحه ونجاحه في دنياه وآخرته .

(١٦) صلاح القلب وجمعه على الله عز وجل :

وهذا مجمرع في فضائل الاعتكاف كلها ؛ إذ إن المعتكف إن أخلص النية

(١) أخرجه البخاري (١١/٣٤٨، ٣٤٩) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٦٩٧٠) ، مسلم (٢٦٧٥) .

في اعتكافه وحبس نفسه على طاعة الله ، واشتغل بذكر مولاه ، وابتغى بذلك رضا ، توجه القلب بكلية إلى خالقه يتاجيه ويدعوه ويستغفره ، ويفتقر إليه في كل شئونه ، **وفي هذا يقول ابن القيم :**

«وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه : عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه ، والخُلو به ، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق ، والاشتغال به وحده سبحانه ، بحيث يصبر ذكره وحب والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته فينولي عليه بدلها ، ويصير الهم كله به ، والخطرات كلها بذكره ، والتفكر في تحصيل مرضيه وما يقرب منه ، فيصبر أنه بالله بدلاً من أنه بالخلق ، فيبُعد بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حيث لا أنيس له ، ولا ما يفرح به سواء ، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم » اهـ .

إن الخُلو والأنس بالله عز وجل التي يحياها المعتكف في معتكفه هي بمثابة تربية وتدريب له ؛ لكي تستمر تلك الخُلو والأنس بالله في حياته بعد الاعتكاف ؛ حتى يتخلص في حياته العامة بعد ذلك من متعلقات النفس المادية ، وتستمر تهيئة النفس للأنس بالله في وحشة القبور ، وهذا يعني أن من فوائد الاعتكاف ما لا يقتصر على الدنيا ؛ بل يتعداها إلى الحياة الآخرة ، فالقبر أول منازل الآخرة .

(١٧) حقيقة اتباع ومحببة الرسول ﷺ :

اعتكف المعتكف اتباعاً للرسول واستمر في اعتكافه متابِعاً لهدي النبي ﷺ . فاتباع الرسول ﷺ في جميع أقواله وأعماله يؤدي إلى أمور أساسية يسعى إليها المعتكف ، منها :

• محبة الإنسان لله عز وجل ، وهذا مطلب أساسي .

- محبة الله عز وجل لهذا الإنسان ، وهي نتيجة أساسية لاتباع الرسول ﷺ .
- خفران الذنوب من الله عز وجل لهذا الإنسان .

• ثم نتيجة تلقائية ، وهي محبة الإنسان المسلم للرسول ﷺ ، محبة فعلية والتي تأتي عن طريق الاتباع ، فالمحِبُّ الحقيقي هو المتَّبِعُ لجميع أعماله وأقواله من غير زيادة أو نقصان ، ودرجة التكامل في محبة الرسول ﷺ هو التمسك بالسنة الواجبة والمستحبة على السواء ؛ لأنها دليلٌ حقيقي على المحبة والاستكثار من الحسنات التي تأتي من طريق متابعة الإنسان المسلم لسلوكه ﷺ بصورة عامة .

قال ابن القيم - عليه رحمة الله : « لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفاً على جمعيته على الله ، ولمْ شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى ، وكان فضول الطعام والشراب وفضول مخالطة الأنام ، وفضول الكلام ، وفضول المنام ، مما يزيده شعثاً ، ويشته في كل واد ، ويقطعه عن سيره إلى الله أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه .

اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب ، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى ، وشرعه بقدر المصلحة بحيث يتفجع به العبد في دنياه وآخرته ، ولا يضره ولا يقطع عن مصالحه العاجلة والآجلة .

فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره ، وقطع نفسه عن كل شاغل يشغله عنه ، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه ؛ فما بقي له همٌ سوى الله وما يرضيه عنه ، اهـ .

ولهذا ذهب الإمام أحمد وإمام السنة إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة

الناس ، حتى ولا لتعليم علم وإقراء قرآن ؛ بل الأفضل الانفراد بنفسه ، والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه .

إذا فمعنى الاعتكاف وحقيقته :

قطع العلائق عن المخلاتق للاتصال بخدمة الخالق ، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به ؛ أودت صاحبها الانقطاع إلى الله بالكلية على كل حال . كان بعضهم لا يزال منفردًا في بيته خاليًا بربه ، فقيل له : أما تستوحش؟ ، قال : كيف أستوحش وهو يقول : «أنا جليس من ذكرني» .

كيف نحصل حلاوة الاعتكاف؟

أما كون الطاعة ذات حلاوة فيدل عليه قوله ﷺ : «ذاق طعم الإيمان»^(١) ، وقوله ﷺ : «ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»^(٢) ، والمقصود أن ذوق حلاوة الإيمان والإحسان أمرٌ يهده القلب ، تكون نسبتُهُ إليه كنسبة ذوق حلاوة الطعام إلى النعم .

واعلم - علمتَ كُلَّ خير - أن حلاوة الطاعة ملاكها في جمع القلب والهم والشَرَّ على الله . ويُفسر ابن القيم ذلك قائلًا :

الاعتكاف هو مكوف القلب بكلينه على الله عز وجل ، لا يلتفت عنه بعتة ولا بكرة ، فإذا ذاقَت الهمّة طعم هذا الجمع اتصل اشتياقُ صاحبها وتاجعت نيرانُ المحبة والطلب في قلبه . .

ثم يقول : فلهذه همّة نفس قطعت جميع الأكوان وشارت ، فما ألقت عصا السير إلا بين يدي الرحمن تبارك وتعالى ، فسجدت بين يديه سجدة الشكر

(١) أخرجه مسلم (٣٤) .

(٢) مضمّن عليه ، البخاري (١٦) ، مسلم (٤٢) .

على الوصول إليه ، فلم تزل ساجدة حتى قيل لها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَكِينَةُ ۝
 أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّخْبِتَةً ۝ فَاذْخُلِي فِي عِصْيَانِي ۝ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ۝ ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] ،
 فسبحان من فاوت بين الخلق في مهمهم حتى ترى بين الهمتين أبعاد ما بين
 المشرقين والمغربيين ، بل أبعاد مما بين أسفل سافلين وأعلى عليين ، وتلك
 مواهب العزيز الحكيم : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝
 [البقرة: ٤] .

ثم يقول : وهكذا يجد لذة خامرة عند مناجاة ربه ، وأنسابه ، وقربا منه ،
 حتى يصير كأنه يخاطبه ويسامره ، ويعتذر إليه تارة ، ويتملقه تارة ، ويثني عليه
 تارة ، حتى يبقى القلب ناطقا بقوله : أنت الله الذي لا إله إلا أنت ، من غير
 تكلف له بذلك ؛ بل يبقى هذا حالاً له ومقاماً ، كما قال النبي ﷺ : «الإحسان
 أن تعبد الله كأنك تراه»^(١) .

وهكذا مخاطبته ومناجاته له ، كأنه بين يدي ربه ، فيسكن جاشه ويعطمن
 قلبه ، فيزداد لهجاً بالدعاء والسؤال ، تذللًا لله الغني سبحانه ، وإظهاراً لفقر
 العبودية بين يدي عز الربوبية ؛ فإن الرب سبحانه يحب من عبده أن يسأله
 ويرغب إليه ؛ لأن وصول بره وإحسانه إليه موقوف على سؤاله ..

بل هو المتفضل به ابتداء بلا سبب من العبد ، ولا توسط سؤاله وطلبه ، بل
 قدر له ذلك التفضل بلا سبب من العبد ، ثم أمره بسؤاله والطلب منه إظهاراً
 لمرتبة العبودية ، والفقر والحاجة ، واعترافاً بعز الربوبية ، وكمال غنى الرب ،
 وتفرد بالفضل والإحسان ، وأن العبد لا غنى له عن فضله طرفة العين ، فيأتي
 بالطلب والسؤال إتيان من يعلم أنه لا يستحق بطلبه وسؤاله شيئاً ، ولكن ربه
 تعالى يحب أن يُسأل ، ويرغب إليه ، ويطلب منه ..

(١) متفق عليه ، البخاري (٤٤٩٩) ، ومسلم (٨) .

ثم قال : فإذا تم هذا الذل للعبد تم له العلم بأن فضل ربه سبق له ابتداءً قبل أن يخلقه ، مع علم الله سبحانه به وتقديره ، وأن الله تعالى لم يمنعه علمه سبحانه بتقصير عبده أن يقتدر له الفضل والإحسان ، فإذا شاهد العبد ذلك ؛ اشتد سروره بربه ويمواقع فضله وإحسانه ، وهذا فرح محمود غير مذموم ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَتُوبُ الْفُؤُورُ وَيَرْحَمُهُ فَيُذَكِّرُ فَبِغَيْرِهَا هُوَ خَيْرٌ وَمِمَّا يَجْتَمُونَ ﴾ [يونس : ٥٨] اهـ^(١) .

برنامج الاعتكاف :

(١) الدخول إلى المعتكف مغرب يوم ٢٠ رمضان ، ليلة الحادي والعشرين هي أول ليلة من ليالي العشر .

(٢) لا تنس نية الاعتكاف ، والأجر على قدر النية ؛ إنما لكل امرئ ما نوى ، والنية تجزي مجزئ الفتوح من الله تعالى ، فعلى قدر إخلاصك يفتح الله عليك بالنيات ، مثلاً :

• اتباع سنة الرسول ﷺ طلباً لمحبة الله ورسوله .

• التعاس ليلة القدر .

• جمع شمل القلب .

• التخلي عن هموم الدنيا ومشاغليها .

• مصاحبة الصالحين والتأسي بهم .

• شد الميزر في العبادة والتخلص من الكسل .

• عمارة المسجد .

(١) تهذيب مدارج السالكين (٢/ ٨٧٢) .

• التبتل .

• التخلص من العادات وتحقيق معنى العبودية .

هذه أمثلة والفتح يأتي من الله .

(٣) أول اعتكافك الإفطار ، وتعود منذ يومك الأول ترك العادات الملازمة والطقوس التي تصاحب الإفطار ، تعود البساطة واجتنب التكلف ، تمرات وماء وقد أفطرت .

(٤) تعلم في هذا المعتكف ألا تصنع وقتك ، لتمرات وكوب من الماء لا تستغرق لحظات ، كن بقطاً .

(٥) ثم اجلس مكانك في الصف الأول خلف الإمام ، استعداذا لصلاة المغرب مع استحضار النيات في المسارعة والمساابقة إلى الصف الأول .

(٦) ابدأ المسابقة والمسارعة في المسجد لكل أعمال الخير وإن استطعت ألا يسبقك أحد إلى الله فافعل .

(٧) أحضر قلبك وكل جوارحك ومشاعرك ، واحتفظ بكل حضورك العقلي والذهني في صلاة المغرب ، هذه أول صلاة في الاعتكاف ، وصل الله بصدق : التوفيق والإعانة وألا تخرج من هذا المكان إلا وقد رضي ربك عنك رضا لا سخط بعده ، وأن يتوب عليك توبة صدق لا معصية بعدها ، وأن يقبل عملك ويوفقك فيه ويرزقك الإخلاص في القول والعمل ، وأن يصرف عنك القواطع والصوارف ، وأن يرزقك إتمام هذا العمل ولا يحرمك خيره ، ركز في هذه الأدعية وأمثالها ، وابتهل إلى ربك وتضرع ، فإنه لا يرد صادقاً سبحانه .

(٨) لا تتعجل وتعلم وتعود ذلك ، ألا تتعجل الانصراف بعد الصلاة ، فإنه لن تخرج من المسجد ، احتفظ بحرارة الخشوع بعد الصلاة أطول فترة

ممكنة ، أذكار الصلاة ثم الدعاء . . ثم انشغل بذكر الله حتى يأتي وقت الطعام وتُدعى إليه .

(٩) اضبط بطنك في هذا الاعتكاف ، فإن أخسر وقت تفقده هو الذي تقضيه في الحمام ، فكل ما تيسر ببساطة مما تم إعداده في المسجد ، ولا تأمر ولا توص أن يأتيك الطعام من البيت أو من الخارج ، ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس .

تواضع وكل مما تيسر ، وتعلم أن ما يَسُدُّ الرُّمَق وَيُقِيم الأود يكفي ، فلا تأنف أن تأكل بكرة من خبز ، ولا تتأفف من تصرفات مَنْ حولك أثناء الطعام ، ألزم نفسك الذل لله ، وترك التمتع في هذه الرحلة مع الله في الاعتكاف في بيته ، قال رسول الله ﷺ : « إن عباد الله ليسوا بالمتنعمين ، وكان بكره كثيرًا من الإرفاء »^(١) .

(١٠) فترة الأكل لا تتجاوز خمس دقائق أو عشر دقائق على الأكثر ، وقم فورًا ، ادخل الحمام قبل الزحام ، جدد نشاطك ، توضأ ، غير ملابسك إن أمكن ، خذ مكانك في الصف الأول ، صل ٦ ركعات بخشوع « صلاة الاوابين » إلى أذان العشاء .

(١١) اعلم أن القادمين لصلاة العشاء يختلفون عن المعتكفين ، فقلوب مقيمة في المسجد تختلف عن قلوب أتت من الدنيا وهمومها ، فاحذر المخالطة « احتبى » .

(١٢) صلاة العشاء والتراويح يجب أن تختلف عند المعتكف عما ذي قبل : حضور القلب . . استشعار اللذة . . حلاوة المناجاة . . لذة الأنس بالله . .

(١) أخرجه أحمد (٢٤٣/٥) ، وحسنه الألباني (٣٥٣) في « السلسلة الصحيحة » .

صدق الدعاء . . أنت رجلٌ مقيمٌ في بيت الله ، لا خروج . . لا اختلاط . .
لا معاصي . . كن أفضل .

(١٣) احرص على كل العبارات : ترديد الأذان ، أو اجعل لك نصيبًا من الأذان ، ثم ركعتي السنة فين كل أذنين صلاة ، ثم الدعاء بين الأذان والإقامة والانشغال بالذكر .

(١٤) إذا انقضت صلاة التراويح أسرع إلى جنبائك في المعتكف ، ودعك من السلام على الناس ، وكثرة الكلام ، فإن ذلك يقسي القلب ، لا بد أيها الحبيب من العزلة الشعورية الحقيقية وأن تماهد نفسك لكي تقبل ذلك وتُحب ذلك وترضى بذلك .

أسرع إلى جنبائك ، ارقد وانشغل بالذكر ، وسرعان ما ستنام هذه الساعة ، وهي مهمة طبعا لجسدك في أول الليل ، ففيها إغاثة على النشاط في التهجد .
(١٥) هي ساعة ، ستون دقيقة تحديداً إن بارك الله فيها ستكون كافية جداً ، استعن بالله واسأل الله البركة في أوقاتك وأعمالك .

(١٦) استيقظ وانطلق بسرعة وبشاط ، جدد وضوءك ، تعطّب ، جمل ملابسك ، استعد ببعض الأذكار والأدعية للدخول في الصلاة ، صلاة التهجد .

(١٧) تستمر صلاة التهجد إلى ما قبل الفجر بنصف ساعة ، واجتهد في هذه الصلاة أكثر من غيرها ، فإنه الثلث الأخير من الليل ساعة التنزل الإلهي ، أكثر الدعاء وصدق في اللجوء إلى الله ، جدد التوبة ، سأل الله القبول .

(١٨) السحور بمتهمي البساطة والسرعة لا يتجاوز ١٠ دقائق ، ثم تجديد الوضوء حتى ولو كنت على وضوء ، ثم الصرغ للاستغفار بالأسحار .

(١٩) سابق إلى مكانك في الصف الأول خلف الإمام ، وانشغل بالاستغفار

فقط : ﴿وَالْأَسْرَارُ قَدْ بَسَّتْهُنَّ﴾ [الذريات : ١٨] ، حاذر : لا يتسامرون .
لا ينامون . . لا ينفلون . .

(٢٠) صلاة الفجر مشهودة ، ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء : ٧٨] ، كن في أشد حالات الانتباه ، وتدبر الآيات ركز في الدعاء .

(٢١) اجلس في مُصَلَّاك بعد الصلاة ، ولا تلتفت بعد أذكار الصلاة . .
أذكار الصباح المأثورة كلها لا تترك منها شيئاً .

(٢٢) اقرأ الآن بعد الانتهاء من أذكار الصباح ثلاثة أجزاء ، وهذه القراءة بنية تحصيل الأجر ، أما تلاوة التدبر فلها وقت آخر .

(٢٣) صلاة الضحى نمان ركعات بالتمام والكمال ، احرص عليها وقد
أدبت شكر مفاصلك

(٢٤) أن أوان النوم وفراحة ، لك أربع ساعات بالتمام والكمال نوم ، ثم
نومًا حنيئًا ، ورؤى سعيدة .

لا تنس قول معاذ : إني لأحسب نومتي كما أحسب قومتي ، فاحسب
تلك الساعات ، وأشهد الله من قلبك أنك لو استطعت ما نمت ؛ ولكن هذه
انومة لا للخلة ولكن للتقوي على الاستمرار .

(٢٥) استيقظ قبل الظهر بفترة كافية لاستعادة النشاط وتحديد الوضوء ،
وربع ساعة قبل الأذان في الصلاة على النبي ﷺ وتركيز شديد .

(٢٦) ردد الأذان ، وصل قبل الفريضة أربعًا واستغل باقي الوقت في
الدعاء .

(٢٧) صل الفريضة بحضور قلب فللصلاة السرية أسرار في الأنس بالله
أكثر من الجهرية .

(٢٨) صلّ بعد الفريضة أربع ركعات ، قال رسول الله ﷺ : «من صلّى قبل الظهر أربعاً وبعد الظهر أربعاً حرّم الله لحمه على النار»^(١) .

(٢٩) تلاوة قرآن ، أربعة أجزاء إلى ما قبل أذان العصر بربع ساعة .

(٣٠) ربع ساعة قبل الأذان في قول : الكلمتان الحبيبتان «سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» تحبباً وطلباً لمحبة الله .

(٣١) صلّ قبل الفريضة أربعاً ، قال رسول الله ﷺ : «رحم الله امرأة صلّت قبل العصر أربعاً»^(٢) .

(٣٢) اقرأ بعد صلاة العصر ثلاثة أجزاء وقد تمت لك الآن عشرة أجزاء قراءة .

(٣٣) قبل المغرب بنصف ساعة أذكار المساء بتركيز ودعاء .

(٣٤) الوقت قبل أذان المغرب في غاية الأهمية ، استحضر الدعوة المستجابة للصائم ، وأنت في نهاية اليوم وفي غاية التعب من كثرة العمل لله ، انكسر وذلّ واطلب الأجر ، واحتسب التعب ، واسأل الله بتضرع أن يقبل منك عملك ، ولا تنس الدعاء بظهر الغيب لأهلك وللمسلمين ، ولن أهدم منك دعوة لي بظهر الغيب .



نصائح الاعتكاف

(١) محظورات :

• ممنوع الكلام :

إياك وكثرة الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد القلوب عن الله القلب الناسي .

• ممنوع الهزار :

إياك والضحك ، فإن كثرة الضحك تُميت القلب ، دَعِكْ من التهريج ، اترك المزاح تمامًا أنت في بيت الملك العظيم ، الزم السمح الصالح ، وكن في هذه الفترة متواصل الأحزان .

• ممنوع الاختلاط :

لا تشغل بغيرك ، الاعتكاف في المسجد اعتكاف جماعي ومعك أناس كثيرون ، الطباع مختلفة ، والبيئات متنوعة .

لا تشغل عينك بمتابعة النظر إلى الآخرين .

لا تشغل أذنك بسماع المناقشات والمحاورات .

لا تشغل قلبك بالنعليق على الأحداث .

لا تشغل بغيرك . . . دع الخلق للخلق . . . انشغل بحالك مع الله ، حاول

أن تنسى الناس .

• ممنوع التليفون داخل المسجد :

أغلق تليفونك تمامًا ، والأفضل أن تكون قد تركته في بيتك مع الدنيا ، ممنوع دخول الدنيا إلى بيت الله ، إن وُجد فهو اتصال واحد يوميًا يسمح به فقط للاطمئنان على أهلك ، لا رنات ، ولا رسائل .

• ممنوع الخروج من المسجد :

آخر حدود عالمك الخاص : حيطان المسجد وأبوابه . .
آخر حدود عالمك الخاص : وجوه المصلين من أهل المسجد . .
احذر أن يفلت قلبك من بين الجدران وينجول في الشارع . .
احبس قلبك هنا . .

• ممنوع الكسل :

كل الوقت عمل ، وانظر إلى البرنامج ، لا تجد دقيقة فراغ ، مطلوب علو الهمة في هذه الفترة ، فلا تقتر .

• ممنوع الشهوات :

هذا زمن المجاهدة :

قلل طعامك .

قلل نومك ما أمكنك .

قلل كلامك ما أمكنك .

لا تنهض لنفسك ، وأحسن إلى من أماء إليك .

عُضْ بصرك ، واجعل عينك على قلبك دومًا .

لا تُجب عن الأسئلة ، ولا تتعرف على أحد .

• ممنوع الغفلة :

جُدِّد التوبة دائماً ، ولا تترك نفسك بدون عمل ؛ بل اعمل واداب ، وقاوم الفتور ، وإياك والكسل والدُّخة والنوم ، واستعن بالله .

• ممنوع الكبر :

عند التعامل مع الآخرين ، قد تبدو تصرفات غير مقصودة ؛ ولكنها تشير إلى أمراض قلبية خطيرة من الكبر ، والغرور ، والمجب ، ورؤية النفس ، واحتقار الآخرين وازدراؤهم والتعالي عليهم ، وكل هذه الأمراض محبطة للأعمال ؛ فاحذر واحترس ، واضبط نفسك على أدب الإسلام :

لا تنظر إلى أحد شَرّاً .

لا تُشير إلى أحدٍ بإصبعك .

لا ترفع صوتك .

لا تسخر من أحد .

إياك وتصغير الخد للآخرين .

احذر الغيبة والنميمة والبهتان القلبي .

فتح ثغرات أخرى للمؤي الهمم العالية :

- ختمة من الفجر إلى المغرب .

- ختمة من المغرب إلى الفجر .

- صلاة ١٠٠ ركعة أو أكثر في ليلة أو يوم ، ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق : ١٩] ،

كل يوم ١٠٠ ركعة في ١٠ يوم = ١٠٠٠ ركعة .

- الذكر ١٢٠٠٠ مرة تسيحة في يوم وليلة كأبي هريرة .

- تكوين أكبر رصيد من الحسنات في الاعتكاف .

مَكْرَاهٍ مَضَائِكُ

مُكَافَاةُ

نَهَايَةِ الْخِدْمَةِ

عمرة رمضان

وأقبلت أيام الخير :

أحبني في الله ، أقبلت أيام الخير ، وهذه الأيام تمر وفجري وتمضي علينا ، ويتقضي العمر ويأتي الموت بما فيه ، وتقوم القيامة وعندئذ يتحسر الإنسان ولا تنفعه الحسرة ، ويندم ولات حين مندم ، ويقدم أذاره فلا تقبل : ﴿ قَوْلُ الْإِنْسَانِ يَوْمَهُ إِذَا الْفَتْرُ ۝ كَلَّا لَا تَدَّ ۝ إِنَّ رَبَّهُ يَسْخَرُ ۝ يَكُونُ الْإِنْسَانُ يَوْمَهُمَا قَدَمَ وَالْأَخَرُ ۝ يَوْمَ الْإِنْسَانِ عَلَى قَتِيرِهِمْ بَصِيرَةٌ ۝ وَكُلُّ الْفَقِيرِ ۝ ﴾ [القيامة : ١٠-١٥] ، نسال الله أن يرزقنا غنيمة الأوقات ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَلْهَى الْجَمَلَ الْيَلَدَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَرَ ۖ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۖ ﴾ [الفرقان : ٦٢] جعل الليل والنهار خلفه ، بخلف أحدهما الآخر ليستدرك العبد ما فاتته ، ودخول رمضان غنيمة تحتاج أن تستنمها اغتنامًا حقيقيًا .

هظمة رمضان :

أيها الإخوة ، أرايتم لو أن رجلاً ذُوقَ بزوجته صالحة على خلق ودين وجمال وحسب ، كيف يكون حاله ؟ ، إنه قد اجتمع له الخير كله ، وهذا المعنى نجده هنا ، إذا اجتمع شرف الزمان وشرف المكان وشرف العبادة ، والزمان الشريف هو رمضان ، رمضان وما أدراك ما رمضان ؟ ، شهر عظيم ، عظيم بكل معاني الكلمة ، يكفي في ذلك أن الله سمى باسمه في كتابه العزيز فقال : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وفرض صومه : ﴿ مَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .
يكفيك فيه قول النبي ﷺ : « من أدركه شهر رمضان فلم يغفر له فابعد الله

في النار»^(١)، ولذلك قلت مرارًا: إنني لا أتخيل السنة بدون رمضان، رمضان هو ترمومتر السنة، هو الضابط للسنة، وكأنني بحديث رسول الله ﷺ: «تُحْتَرَقُونَ تَحْتَرَقُونَ، فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تَحْتَرَقُونَ تَحْتَرَقُونَ فإذا صليتم الظهر غسلتها»^(٢)، كأنني بهذا المعنى في رمضان، كأن المعنى عندي تَحْتَرَقُونَ تَحْتَرَقُونَ طوال السنة، فإذا جاء رمضان أطفأ نيران السنة كلها فهو موسم عظيم جدًا.

وكما قلت بأنني لا أتخيل السنة بدون رمضان، فإنني أقول: لا أتخيل والله وجه الأرض بدون الكعبة، وهذا شرف المكان، قال تعالى: ﴿وَلَا جَبَلًا أَلِيَّتَ مَكَّةَ إِلَّا نَارٌ وَأَنْشَاءُ﴾ [البقرة: ١٢٥]، فهذه الكعبة أمان وقيام للدين، لأنه إذا هدمت الكعبة قامت القيامة، وقد قال الله عز وجل: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]، قال العلماء: تقوم به أديانهم، فقيام الدين بالكعبة أمر ظاهر... ما دامت الكعبة موجودة فالدين موجود.

لذلك ينبغي أن تفقه هذا الأمر وتفهمه إذا أردت أن تؤدي عمرة رمضان، فأعرف شرف الزمان وشرف المكان.

لماذا نعتشر؟

قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٣)، فلا بد من تحرير النية وتسميتها قبل التكبير في أداء عمرة في رمضان، وإلا

(١) أخرجه ابن سيان (٤٠٩)، وصححه الألباني (٧٥) في «صحيح الجامع».

(٢) أخرجه الطبراني (٩١/١) في «الصغير»، وحنه الألباني (٣٥٧) في «صحيح الترغيب والترهيب».

(٣) متفق عليه، البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

فإن هذا العمل العظيم - عمرة رمضان - يصبح عند فساد النية هباءً منثورًا ،
تعالوا لنحور ابتداء لماذا نعتزم في رمضان ؟

أولاً : الرحلة إلى الله :

قال بعض السلف : ذكرتني هذه الرحلة بالرحلة إلى الله .

عندما تذهب إلى العمرة ، تذهب إلى من ؟ . . . ترحل إلى من ؟ . . . إنك
تكون في رحلة إلى الله تعالى ، تفهم فيها معنى الفرار إلى الله : ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٥٠] ، وترى فيها معنى الهجرة : « المهاجر من هجر ما بهن الله
منه »^(١) .

فلا بد أن تفهم في العمرة أنك مهاجر إلى الله ، فارٌّ إلى الله ، مرتحلٌ ذاهبٌ
إليه ، وهذا كله يدخل في معنى كلمة « ليك اللهم ليك » .

ثانياً : التلبية والفرار إلى الله :

كثيرٌ من الناس يردد هذه التلبية ولا يفهم معناها ، وليك معناها : جئتك
يا رب . . . استجبت لأمرك . . . كان بعض السلف إذا ضاق صدره دخل بيته
وأغلق على نفسه الباب وقال : إلهي . . . إليك جئت ، هذا المعنى تجده حقيقة
في العمرة ، وأنت ذاهب إلى بيت الله تقول : يا رب جئت إليك ، لذلك فإن
الذي يحس هذا المعنى لا يردد التلبية على أنها نشيد أو أغنية يقال كما يفعل
كثيرٌ من الناس ، لا . . . وإنما يلبي من قلبه ، بل يلبي قلبه ، فقلبه هو الذي
يردد : ليك اللهم ليك ، ليك لا شريك لك ليك ، إن الحمد والنعمة لك
والملك ، لا شريك لك .

(١) أخرجه البخاري (١٠) .

لذلك فإن النبي ﷺ قال : « ما من مُلَبٍّ يلبي إلا لئى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مندر ، حتى تنقطع الأرض من هاهنا ومن هاهنا »^(١) ، فيصبح هذا الملبي مركز الكون ، كل ما عن يمينه يلبي معه ، وكل ما عن شماله يلبي معه ، وهو نقطة مركز الدائرة ، فاستشعار ذلك يملأ القلب خضوعاً وخشوعاً للملك جلّ جلاله ، قال جابر رضي الله عنه : « خرجنا من المدينة نصرخ بالحج صراخاً »^(٢) ، وقال رسول الله ﷺ : « غير الحج العَجُّ والثَّجُّ »^(٣) .

العج هو رفع الصوت بالتلبية ، والثج : كثرة إراقة الدماء ، ليك اللهم ليك . . تقول : جئت إليك ، جئت إليك بذنوب العمر . . بهوم العمر . . بمآسي السنين . . بكُرب الحياة . . جئت إليك وليس لي غيرك . . ومن ذا الذي أذهب إليه سواك ؟ . . عبيدك سواي كثير وليس لي غيرك . . ليك . . عندما تقولها بهذا المعنى ؛ فسوف تكون من قلبك . . من عقلك . . من عينك . . تكون ليك من كل ذرة في جسمك ، بكل كيانتك ، ليك حقيقة ، فالمعنى الثاني من معاني العمرة : الفرار إلى الله ، فرار من الفتن ، فرار من الدنيا ، فرار من الماضي الحزين إلى الله الرحيم الخئان .

ثالثاً : الهجرة إلى الله :

والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، وفي قصة قاتل المثة ، أمره العالم أن يخرج من بلده ؛ لأنها بلد سوء ، وأن يذهب إلى بلد آخر فيها أناس صالحون ليعبد الله معهم ، وهذا المعنى نجده في العمرة ، فأنت مهاجر إلى الله ، تركت

(١) أخرجه الترمذي (٨٢٨) ، وصححه الألباني (٥٧٧٠) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه مسلم (١٢٤٧) .

(٣) أخرجه الترمذي (٨٢٧) ، وحسنه الألباني (١٥٠٠) في « الصحيحة » .

ذنوبك ، ومعاصبك وغفلتك . . تركت أهلك ، ودنياك ، تركت كل شيء وجئت لربك وليس معك شيء من الدنيا لتعبد الله مع الصالحين من عباده في أظهر بقعة على ظهر الأرض ، لذلك فلا بد أن نتكلم عن النية : لماذا نعتمر ؟ ، لماذا ذهبنا إلى عمرة رمضان ؟

هل لأنها صارت عادة عندك ؟ ، وهل لو أنك لم تذهب سيتكلم الناس عنك بمسوء ؟ ، وقد يكون أحدهم قد قلَّ من مشاكل الدنيا فيذهب إلى العمرة ليترفع من ذلك العناء ، يذهب مفرحًا ، ويقول : رمضان هناك له لذة ، لا يوجد أولاد ولا مشاكل ، أو يذهب إلى الحرم لكي يرى المشايخ ويجلس معهم . . هذه كلها نيات فاسدة ، لماذا تذهب ؟

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، الرجل يغزو في سبيل الله يريد الأجر والذكر فما له ؟ ، قال ﷺ : « لا شيء له »^(١) ، فإذا اختلطت عليك النية بإرادة وجه الله وإرادات آخر فسد عملك ولا شيء لك ولا أجر لك ، لا بد أن تتخلص من كل النيات الفاسدة وكل الآفات المهلكة ، فتتوي نية صالحة متجردة خالصة هي : الرحلة ، والفرار ، والهجرة إلى الله وحده .

رابعًا : التبتل :

إننا نحتاج أن نعمل أعمالاً جديدة ، نريد أن نقوم بأعمال لم نقوم بها قبل ذلك ، هذه الأعمال الجديدة تمجد الإيمان ، تنشط الدورة الإيمانية ، ومن هذه الأعمال التبتل ، والتبتل معناه الانقطاع : «وَالَّذِينَ أَتَوْا رَبَّهُمْ وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتَلًا» [المزمل : ٨] ، أي انقطع إليه انقطاعًا . . وأنصحك أن تبحث أحيانًا عن مسجد

(١) أخرجه النسائي (٣١٤٠) ، وصححه الألباني (٥٢) في «السلسلة الصحيحة» .

بعيد عن حيك ، لا تعرف فيه أحدا ، ولا يعرفك فيه أحد . . اذهب وامكث هناك يوما كاملا من العشاء للفجر ، أو من الظهر إلى العشاء ، انقطع تماما . . ليس معك تليفون ، ولا جوال ، ولا أحد يعرفك ، ولا أحد يصل إليك ويراك ، وتلبس ثيابك وتجلس مسكينا فقيرا ذليلا منسكنا ، تنقطع عن انشغالاتك بالدنيا وتقبل على الله بكل قلبك .

وفرصتك لذلك التبتل في الكعبة أعظم وأفضل عندما تترك زوجتك وأولادك وعملك ومالك وأصدقائك وزملاءك وتليفوناتك وتنقطع لعبادة الله وحده لا شريك له .

إن معنى التبتل الانقطاع ، أما أن تذهب إلى هناك ومعك هواتفك وتتابع عملك من هناك . . ماذا فعلتم ؟ ، ماذا اشترىتم ؟ ، ماذا بعتم ؟ ، هذا ليس معنى التبتل .

أنت قلت : لبيك لا شريك لك ، فلماذا جعلت معه شركاء ، لبيك يا الله . أم لبيك للمصنع ؟ ، لبيك يا الله أم لبيك للشركة ؟ ، هل تقول : نعم أنا معك لكن أنا أيضا مع الناس ومع مصالحهم وشهواتهم وآمالهم الدنيوية . . هذا لا يصح أبدا .

الملك لا يرضى ذلك ، ولا يقبله ، إما هو وحده وإلا فلا . .

تبتل . . انقطع . . اترك كل شيء خلف ظهرك ، حاول أن تنسى الدنيا بما فيها ومن فيها ، لذلك إياك أن تتكلم وأنت هناك في التليفون كل الأيام بل اجعله للضرورة فقط كأن تعلمن على زوجتك وأولادك ، فأنهي ﷺ كان معتكفا وجاءت إليه السيدة صفية رضيها الله عنها تزوره ، وخرج معها فأوصلها إلى بيتها ، فتعلمنا من هذا جواز السؤال للاطمئنان على الزوجة والأولاد . كل عمل بدليل إنه شرع ودين .

لا بأس أن تطمئن على أهلِكَ ، بل هذا هو المطلوب منك أن تسأل عن أخبارهم ، وتطمئن على أحوالهم ، لأنهم مسئوليتك ، والرسول ﷺ يقول : « كلَّكم راع وكلَّكم مسئول عن رعيته »^(١) ، هذه مسئولية شرعية وليست دنيا ، أما المصنع والعمل فدعك من كل هذا .

نريد أن نعيش حياتنا يومًا بيوم ، فما أسرع موت الناس اليوم ، اللهم ارزقنا حسن الخاتمة ، نريد أن نستفيد من موت الناس من حولنا ألا نعيش الدنيا باتساعها . . بطول الأمل فيها ، بل عش كل يوم جزئية مستقلة بذاتها .

أيها الإخوة . .

نحن اليوم على قيد الحياة ، وغداً في علم الله ، لا ندري ماذا يكون فيه ، فأتقن عبادتك في يومك ودعك من كثرة الشواغل ، وحقق معنى التبتل وهو الانقطاع للعبادة

ودعني أنتقل معك مرة ثانية إلى النيات : لماذا نذهب إلى العمرة ؟

لأن في هذا جواب كثير من الإشكالات ، فإن بعض الناس يذهب إلى العمرة ، ثم يأتي يشكو ويقول : ذهبت إلى العمرة ، ولكني لم أجد قلبي . . كنت أظن أنني سأكون هناك في قمة الإيمان وسأشعر بروحانية كأنني أطير في السماء وأعيش في الجنة ، كنت أظن أنني سأموت من الفرح والسعادة ، ولكني لم أجد شيئاً من ذلك للأسف الشديد ! ، إن كثيراً من المسلمين يعيش وهماً . . وهماً حقيقياً . . يظن أنه بمجرد أن يذهب ويرى الكعبة سيظهر بجناحين !!

أقول : لا يا أخي ، بل هذا الأمر يحتاج إلى عمل إلى عبادة حتى يتحصل لك ما تتمناه . . أنت لماذا ذهبت إلى هناك ، لو قلنا : للتبتل ، فهذا يعني أنك

(١) مثنى عليه ، البخاري (٨٥٣) ، مسلم (١٨٢٩) .

ذاهب لعبادة الله ، صلاة وذكر ودعاء وطواف وقراءة قرآن واستغفار . . إن فعلت ذلك وداومت عليه وجدت ثمرته وإلا فلا ولكل سلعة ثمن .

بعض الناس يذهب فيقوم بالحجرة فقط ، ثم يذهب ليجلس في الفندق ويصلي في المسجد المجاور للفندق ! ، وكأنها سباحة !

وبعض الناس - للأسف الشديد! - يقضي أيامه هناك نائمًا ، حتى في الاعتكاف في العشر الأواخر ، تجده يصلي الظهر ثم ينام ، ويصلي العصر ثم ينام ، فمن أين إذا تجد قلبك ؟! ، وكيف بحالك هذه تجد قلبًا ؟!

حج الإمام مسروق بن الأجدع التابعي المعروف فما نام إلا ساجدًا ، إنه لم يضع جنبه على الأرض ، وما نام على ظهره ، وإنما كان يغلبه النوم وهو ساجد ، ما نام على سرير ، ولا استلقى على ظهره ! ، كان يصلي طوال الوقت ، فكان من طول الصلاة ينام وهو ساجد ، هذه هي الهمة ، إننا نذهب بنية التبتل ، فلا بد أن نعمل حقيقة ، ونجتهد في هذا العمل .

من يذهب بنية التبتل لابد أن يكون له برنامج عمل يقوم به ، ينظر أيهما أفضل : الصلاة أم الطواف أم تلاوة القرآن أم الذكر أم حضور مجالس العلم ، ماذا يعمل ؟ ، وماذا يقدم ؟ .

يقول العلماء : إن كل عمل لا يؤدي إلا في محل ووقت فهو واجب الوقت .

فأفضل الأعمال ما كان موافقًا لمكانك ووقتك ، فعندما تكون في الحرم ! دروس العلم موجودة لكنها موجودة في أماكن أخرى وفي أوقات أخرى ، تستطيع أن تجلس فتتشفيا بالذكر ، لكن الذكر له أوقات غير محددة ، بل تستطيع أن تذكر في أي وقت وفي أي مكان ، إذا الطواف يُقدم ، تقرأ فيه القرآن وتدعو وتذكر . . لأن الطواف لا يوجد إلا حول الكعبة ، فهذا محله وهذا وقته فهو أولى ، وهذا من فقه العبادة . .

بعض الناس لا يطوف إلا طواف العمرة فقط ، وهذا فهم خاطئ ، بل كلما وجدت السبيل للطواف طف ، كلما دخلت الحرم ووجدت السبيل للطواف طف .

وقد نجد من يقول : الطواف فيه اختلاط ، والنساء يسرن إلى جوارك وخلفك وأمامك ، أقول : وهل وقت الطواف يشعر فيه الإنسان بالنساء ؟ ، إنك تحتاج إلى علاج قوي من البداية ، لا بد أن تفهم أولاً ما هو قدر الكعبة ، ولا بد أن تفهم معنى الحب معنى حب الله سبحانه .

فحين تفهم معنى الحب ، وتعرف الله سبحانه ، وتعرف أنك في بيته ، وتعرف قدر بيته سبحانه وتعالى ، وأنت تطوف حول بيت حبيبك بالحب ، فلن تشعر ساعتها بمن حولك .

ولكن بعض الناس أساء إلى الحب ، فالحب معنى ، والعلماء يقولون : الألفاظ قوالب المعاني ، فلو أنك وضعت المعنى في قالب معين فلأنك بهذا تُضَيِّقُهُ . . تُصَغِّرُهُ ، فلو أردت أن تقول لإنسان : ما هو الحب ؟ ، فقد أخطأت في الحب .

الحب معنى فلا يوضع في قالب ، ولا يُحْجَم ، الحب معنى سام جداً ، معنى عالٍ ، وخصوصاً إذا تكلمنا عن حب الله ، فهو معنى يُحْسَنُ . . يُعَاشِرُ ، ولا يُوصَفُ ، هذا ما أطلبك به ؛ أن تذهب إلى العمرة بالحب ، وبالطبع إضافة الشرطين الآخرين الخوف والرجاء ، وكذلك أن تصوم رمضان بالحب والخوف والرجاء ، أن تصلي بحب وخوف ورجاء ، وهكذا كل عبادتك وأحوالك مع الله ، ساعتها ستعيش معاني لا تستطيع أن تصفها ، إذا سئلت : بماذا تشعر ؟ ، تقول : أشعر أنني أحب الله جداً . . أحس أنني أحب الله حباً شديداً ، هذا المعنى لا يوصف وإنما يُحْسَنُ فقط .

وهناك معان في الإسلام لا تفسر مثل : قرّة العين ، والسكينة ، والحب ، فهذه أشياء لا توصف ، لا تُعلم ، لا يستطيع أن أعلمك كيف تحب الله ، وإنما أستطيع أن أقول لك : افعل كذا لكي يحبك . .

الشاهد : أنك عندما تشرع في الطواف تتذكر عظمة هذا البيت . . وشدة شوقك إليه ، أحد الإخوة عندما ذهب إلى العمرة أول مرة ونظر إلى الكعبة قال : سأصاب بالذهول . . بيت ربنا فيه قطعة من الجنة : الحجر الأسود من الجنة ، قال رسول الله ﷺ : «تزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم»^(١) ، فإذا لمست الحجر الأسود فقد لمست شيئاً من الجنة .

ذهبت جارية إلى الحج ، فقالت لمن برققتها : أين بيت ربي ؟ ، فكانوا يقولون لها : اصبري حتى تري بيت ربك ، فلما دخلوا المسجد الحرام ورأوا الكعبة قالوا لها : هذا بيت الله ، فجرت وهزلت وهي تقول : بيت ربي . . بيت ربي ، حتى وضعت خدماً على الكعبة فما رفعوها عن جدار الكعبة إلا ميتة !!

هذا هو المعنى ، وهؤلاء هم الذين شعروا به وأحسوه ، بيت ربي . . بيت ربي !! ، إحساسك عندما ترى الكعبة بأن قلبك قد طار والنصق بالكعبة . . بيت ربك . . بيت حبيبك . . بيت الله ، هذا هو المطلوب . . الله الذي لم تر منه إلا خيراً ، هو الذي أوصلك إلى الكعبة ، فله الحمد والمئة سبحانه وتعالى .

فإذا وصلت إلى هذا البيت ورأيت ولمسته وأنت الآن تطوف حوله ، إن

(١) أخرجه أحمد (٣٠٧/١) ، وصححه الألباني (٢٦١٨) في «الصحيحة» .

المشتاق ساعتها لا يحس بمن حوله ، وإن المحب ساعتها لا يلدي من بجواره ، لأنه يطوف حول بيت حبيبه يناجيه وكأنه وحده معه .

سادسًا : صحبة الرسول ﷺ في حجة :

هذه نية غالية بهمة عالية ، قال رسول الله ﷺ : «عمرة في رمضان كمحبة ممي»^(١) ، لو استشعرت عظمة هذا الوعد النبوي الصادق ، أنك إذا اعترت في رمضان عمرة صادقة بنية خالصة ومتبعة بإحسان على منهج النبي ﷺ ، تكون كأنك حججت مع النبي ﷺ ، يالها من عمرة ١١ . . بل ركضة إلى الفردوس الأعلى . . اني صادقًا . . وإنما لكل امرئ ما نوى .

سابعًا : مغفرة الذنوب المتقدمة :

قال رسول الله ﷺ : «الجمعة إلى الجمعة ، والعمرة إلى العمرة ، ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتبت الكبائر»^(٢) ، فانظر إذا اجتمعت لك جمعة في رمضان في العمرة فقد اجتمعت لك ثلاثة أسباب لمغفرة الذنوب المتقدمة في وقت واحد ، فهذا حري أن تعود كيوم ولدتك أمك وصحيفتك بيضاء نقية لا ذنب فيها .

فالزم نفسك تلك النية ، أنك تريد أن تغسل من ذنوبك ، وتغتسل من خطاياك وآثامك ، وتطهر من غدراتك وفجراتك ، تريد أن تبدأ حياة جديدة بتاريخ ميلاد جديد ، لتكون عبداً جديداً لله عز وجل . . فأقبل ولا تخف . .

ثامناً : أهالي القصور من أهالي الأجور :

لا شك أن تاجراً حريصاً ، وخبيراً جريئاً لا يرضى بالقبض في تجارتها ، فضلاً عن خسارتها ، وقد رأينا أن التجار يسافرون إلى أقصى بلاد الأرض طلباً لربح

(١) متفق عليه ، البخاري (١٧٦٤) ، مسلم (١٢٥٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣) .

زائد ، فكيف برجلي عمره قصير ، وأجله قريب ، وعمله قليل ، وجهته ضعيف ؛ أمامه فرصة أن تُحَسَّبَ له الركعة بمئة ألف ، والتسبيحة بمئة ألف ، والحرف من القرآن بمئة ألف .

والله ، إنه لغورٌ عظيم ، وفرصة لا تُعوَّض ، إنها حقاً غيمة باردة ، لا تعجب من تكرار هذه الكلمة معنا ؛ فوالله أنا لا أدري كيف أشكر الله على هذه النعمة العظيمة ، ولا أدري إلى أي مدى سيبلغ حب القلب له سبحانه وتعلقه به بعد هذه البِئْسَ الجِسام .

فإنه سبحانه وَعَدَ على الحنة بعشر أمثالها ، وقلنا : رضينا ربي ، ثم وعد على الدرهم بسبعمئة في الإنفاق ، فقلنا : رضينا ربي ، وجعل النفقة في الحج والعمرة كالنفقة في سبيل الله بسبعمئة ألف أيضاً ؛ فقلنا : رضينا ربي ؛ فإذا بالكريم يزيدنا : أن الحنة هناك في بيته الحرام في الكعبة بمئة ألف ، وفي مسجد حبيبه المصطفى ﷺ الحنة بألف قياماً على الصلاة ، وهذا مذهب ابن عباس ؓ في المسألة : أن كل الأعمال تُضاعف في الحرمين الشريفين .

فأقبل يا بطال ؛ فرصة العمر ، ﴿وَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكْرَيْنِ﴾ [١١٤-١١٥] . اغتنم هذه الفرصة وارحل إلى عمرة رمضان ؛ تجدد المضاعفات من الخيرات ، والبركات والحسنات ، والفرص والمكافات .

ولا يفوتني أن أذكرك أن مذهب ابن عباس ؓ هذا في غاية الخطورة ؛ فإنه ثبت عنه ؓ أنه انتقل من مكة إلى الطائف ، فقيل له : أترغب عن البلد الحرام ؛ قال : وما لي لا أرحب عن بلد تضاعف فيه السيئات كما تضاعف فيه الحسنات . فكما بشرتك أذكرك ؛ أنه إذا كانت الحسنة بمئة ألف ؛ فالسيئة بمئة ألف .

ولعله يدلك على هذا قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُطْلَقِ
تُفْقَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج : ٢٥] فتوَعَّدَ بعذابٍ أليمٍ لمجرد الإرادة ، وهذا
مُسَامَحٌ فيه في غير هذا المكان ؛ فذلٌّ على أن المعاصي تُضَاعَفُ عقوباتُها
لشرف المكان .

ولاني وإن كان يهزني أن يُكْتَبَ لك مئة ألف قيراط في الجنة بصلاة جنازة
واحدة ، القيراط كجبل أحد ، تصديقًا بحديث رسول الله ﷺ ؛ إلا أنه يُفَزِّعُنِي
أَنْ نَظْرَةً واحدة إلى وجه امرأة في الحرم تُكْتَبَ بمئة ألف رَئِيَّة .

الخلاصة : لماذا نعتز في رمضان ؟

(١) ليجتمع لنا أفضل الأعمال في شرف الزمان ، وشرف المكان ، وشرف
الأعمال .

(٢) الرحلة إلى الله .

(٣) الفرار إلى الله .

(٤) الهجرة إلى الله .

(٥) التبتل والانقطاع والضرغ لله .

(٦) صحبة رسول الله ﷺ في حجة .

(٧) مغفرة الذنوب المتقلمة .

(٨) أعالي القصور من أعالي الأجور .

ثم تعال إلى العمل نفسه : كيف نعتز ؟

كيف نعتز ؟

(١) النية : وقد قلعنا تحريرها .

(٢) لابد من تعلم أحكام العمرة قبل السفر ، واعلم أن ذلك فرض عين عليك في هذا العلم ، فلا بد من أن تعلم كيف تؤدي العمرة على سنة النبي محمد ﷺ .

أحكام الإحرام : لأن كتابنا ليس كتاباً فقهياً ، فلاننا متحدث عن أسرار شعائر العمرة ، ويمكنك مراجعة أحد الكتب الفقهية لإتقان الشعائر ، ولكن ببساطة اعلم أن أركان العمرة أربع : الإحرام ، والطواف بالبيت سبعاً ، والسعي بين الصفا والمروة سبعاً ، والحلق أو التقصير .

واليك أخي أسرار الإحرام :

أولاً : تعظيم لمقام الملك جل جلاله ، ألا تدخل بيته أول قدومك عليه إلا بلباس هو يشترطه .

ثانياً : من أسرار لباس الإحرام أن تخلع كل شيء إلا ثوبين أبيضين ، فهو أنقص من الكفن ، فالكفن ثلاثة أثواب ، لتستشعر بذلك الاستغناء عن الدنيا بأكملها ، فأنت لا تحوز منها في هذا الحال إلا هذين الثوبين ، غنياً به سبحانه وحده ، مستغنياً به عن كل ما سواه .

ثالثاً : في هذه الملابس وفرضها على كل من أحرم للحج أو العمرة شعور بأن الناس سواسية أمام الله عز وجل ، فكلهم غنيهم وفقيرهم ، صغيرهم وكبيرهم ، الأمير والوزير ، والعامل والحقير ، الكل قد كشف رأسه خضوعاً وإذعائاً لذي الجلال ، لا يتميز أحد على أحد ، الكل قد خلع اسم دكتور أو مهندس أو وزير أو أمير ، وخضع الكل لاسم عبد ، وهذا من أجل ما في الحرقفة ، أن تنسى وظيفتك ومقامك النبوي ترتب لك نسبك إلى الله عز وجل عبد محبوب مقهور مطيع يلزم رسم الأدب وحدود الطاعة .

رابعاً : من أهم مشاهد الإحرام أن تشهد عند نزع ملابس الدنيا ثم اغتسالك

ولبس الإزار والرداء فحسب كأنه أنك ملك الموت فتزع روحك ، وغسلوك وكفنوك ، فلما باشرت الأحوال قلت كما يقول كل ميت : ﴿ حَقَّقْ إِنْكَ جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا يَمَّا رُكْتُ ﴾ [المومنون : ٩٩-١٠٠] ، وقد بقيت لك فرصة فقبل لك : ارجع ، فرجعت بكفك تنادي بأعلى صوتك . . ليك اللهم لييك ، إذا استشعرت هذا ، كل الذي قلته لك ، استشعرتة فعلا ، فتخرج لييك اللهم لييك من عين قلبك بكل مشاعر وأحاسيس رجل أعطي فرصة أخيرة لمهلة وجيزة ، فأقبل على ربه يقول لييك . . أي جئتك . . جئتك . . جئتك . . ملازمًا لطاعتك . . خاضعًا لك . . مقيمًا على ذلك . .

وأيضًا من أسرار الإحرام أنه تربية شديدة دقيقة لتعلم الطاعة المطلقة دون تدخل العقل في أوامر الله ، فممنوع في الإحرام لبس ساتر خاص غير الإزار لحفظ المودة المغلظة ، ممنوع الطيب ، ممنوع قص الشعر ، ممنوع قص الأظافر ، الصيد ممنوع ، والزوجة ممنوعة ، سبحانه الملك إنه إحرام !!

خامسًا : إحرام القلب قبل إحرام الجسد ، إنك حين تنوي العمرة تبغني وجه الله ، لا بد أن يحرم القلب ابتداء بتوبة نصوح قبل الجسد ، فكما يخلع الجسد ملابس الدنيا للإحرام ويلبس ملابس الآخرة ، فلا بد أن يخلع القلب أيضًا هم الدنيا ، ويلبس هم الآخرة ، فلا تلفته أثناء العمرة الصلارف ولا تقطعه القواطع .

(١) التلبية :

لكي تلبي من قلبك : لا بد أن تفهم معنى كلمة لييك ، وهي في الشرع كما هي في اللغة ، المقصود واحد ، فافهم معناها لتلي ولا تغني ، معنى لييك : إجابة ولزومًا لطاعتك ، وقيل معناها : اتجاهي وقصدي إليك ، وقيل معناها :

محبتي لك ، وقبل معناها : إخلاصي لك ، وقبل معناها : أنا مقيم على طاعتك ، وقبل معناها : قرباً منك ، وقبل : أنا ملب بين يديك ، أي خاضع .
والحقيقة أن معنى ليك هو كل ما سبق .. كل ذلك ؛ فقلها من قلبك .

(٥) رؤية بيت الله . . الكعبة بيت النور :

لما أضاف الله تعالى ذلك البيت إلى نفسه ونسبه إليه بقوله عز وجل لخليله : ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج : ٢٦] ، تعلق قلب المحيين ببيت محبوبهم ، فكلما ذكر لهم ذلك البيت الحرام حنوا ، وكلما تذكروا بغنم عنه أنوا . .

فلله ذرها من رؤية ١١ . . رؤية البيت . . لحظات كأنها ليست من الدنيا . .
بيت خلق من الحجر . . وأهيف إلى الله فصار مغناطيس أفئدة الرجال . .
بيت من وقع عليه طرفه بشر بتحقيق الغفران . .
بيت من طاف حوله ؛ طافت اللطائف بقلبه ، فطوفة بطوفة ، وشوطة بشوطة ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟

بيت ما خسر من أنفق على الوصول إليه ماله .

بيت ما ربح من ضن عليه بشيء .

بيت من زاره نسي مزاره ، وهجر دياره .

بيت لا تستبعد إليه المسافة .

بيت لا تترك زيارته لحصول مخافة أو هجوم آفة . .

بيت من صبر عنه ؛ فقلبه أقسى من الحجارة . .

بيت من وقع عليه شعاع أنواره ، تسلى عن شموسه وأقماره . .

بيت ليس المعجب من بُعد عنه كيف يصبر، إنما المعجب ممن حضره كيف يرجع!

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل على هذا البيت كل يوم مائة وعشرون رحمة: ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين»^(١).

والله كم في رؤية البيت من نفحات ونفحات ومعان عطرات . .
عجبا للبيت . . عجبا للكعبة . . أي سر في النظر إليها . . والله إنها ليست
من الدنيا هذه اللحظات . .

آيات تحير الأبواب . . رحال ينسبك الدنيا بأسرها . . وجلال دموع العين
منه جواب . . أي سر بين البيت والعين إذا ما نظرت . . وبين دموعها . .

(٦) الطواف :

أولاً : لو لم يكن للطواف من فضل إلا قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَقَدْ بَيَّنَّا لِلْعَالَمِينَ الْآيَاتِ لِقَاءِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ عَبْدِي إِنَّي جَاءْتُكَ بِالْغَدَاةِ غُدُوَ الثَّوَلَةِ﴾ [الحج : ٢٦] ، لكفاه . فقد استعمل الله الأنبياء لتطهير بيته للطائفين ، وقدمهم على غيرهم .

قال رسول الله ﷺ : «الطواف بالبيت صلاة ، ولكن الله أحل فيه المنطق ، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير»^(٢).

ثانياً : كان رسول الله ﷺ إذا طاف بالبيت استلم الحجر والركن في كل طواف ، وكان يلمس صدره ووجهه بالملتزم .

(١) أخرجه الطبراني (١٩٥/١١) في «الكبير» ، وضعفه الألباني (١٧٦٠) في «ضعيف الجامع» .

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٨٣٦) ، وضعفه الألباني (٣٩٥٤) في «صحيح الجامع» .

قال الثاوي : تبركاً وتيمناً به سمي الملتزم ؛ لأن الناس يعتنقونه ويضمونه إلى صدورهم ، وصح أنه ما دعا به ذر حامة إلا برئ ، أي بصدق النية وتصديق الشارع والإخلاص ، وغير ذلك مما يعلمه أهل الاختصاص .

عن محمد بن المنكدر عن أبيه قال ، قال رسول الله ﷺ : « من طاف بالبيت أسبوعاً لا يلفو فيه كان كعدل رقبة يعد له »^(١) .

ثالثاً : عن محمد بن المنكدر قال : قال رسول الله ﷺ : « من طاف بهذا البيت أسبوعاً فأحصاه ؛ كان كمنى رقبة ، لا يضع قدماً ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة وكتب له بها حسنة »^(٢) .

رابعاً : الابتداء بالحجر ؛ لأنه وجب عند التشريع أن يعين محل البداءة وجهة المشي ، والحجر أحسن مواضع البيت ؛ لأنه نازل من الجنة ، واليمين أيمن الجهتين .

وطواف القدوم بمنزلة تحية المسجد ، إنما شرع تعظيماً للبيت ؛ لأن الإبطاء بالطواف في مكانه وزمانه عند تهيؤ أسبابه سوء أدب ، وأول طواف بالبيت فيه رمل واضطباع ، وذلك لمعانٍ : منها ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ، من إخافة قلوب المشركين ، وإظهار صولة المسلمين ، فهو فعل من أفعال الجهاد ، وهذا السبب قد انقضى ومضى ، ومنها تصوير الرغبة في طاعة الله ، وأنه لم يزد السفر الشاسع والتعب العظيم إلا شوقاً ورغبة .

(٧) تقبيل الحجر :

وأعظم ما في الطواف تقبيل الحجر :

(١) أخرجه ابن حبان (٣٦٩٧) ، وصححه الألباني (١١٤٣) في «صحيح الترغيب والترهيب» .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢) وصححه الألباني (١١٤١) في «صحيح الترغيب والترهيب» .

• الحجر . . وما أدراك ما الحجر !! . . إنه من الجنة . . يا الله . . من الجنة شيء على الأرض ثم لا نشأتق إليه !! . . ثم لا نلرف الدموع عنده وحواليه !! . . ثم لا نلثمه بشفاء القلوب ورجيها !! . .

قال رسول الله ﷺ : «الحجر الأسود من الجنة»^(١).

وقال رسول الله ﷺ : «كان الحجر الأسود أشد بياضاً من الثلج حتى سودته خطايا بني آدم»^(٢) ، نقل الحافظ في الفتح عن المحب الطبري قوله : في بقاءه أسود عبرة لمن لا بصيرة له ، فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد ، فتأثيرها في القلب أشد .

يا هذا . . سودت الخطايا الحجر وهو من الجنة ، وأنت من التراب ومن الأرض ، فانظر سودته وهو صلد ، أفلا تسود القلب إذا عصى وهو من لحم ودم !!

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً : «إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولولا ذلك لأضاءا ما بين المشرق والمغرب» .

• وقال ﷺ : «إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يعطيان الخطايا حظاً»^(٣) ، فيالجود عطاء الملك . . وياله من حجر كريم ميمون يأتي مسحة يغفران الذنوب .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لولا ما مس

(١) أخرجه أحمد (٣٠٧/١) ، وصححه الألباني (٢٦١٨) في «الصحيحين» .

(٢) أخرجه أحمد (٣٠٧/١) ، وصححه الألباني (٢٦١٨) في «الصحيحين» .

(٣) أخرجه أحمد (٨٩/٢) ، وصححه الألباني (٢١٩٤) في «صحيح الجامع» .

الحجر من أنجاس الجاهلية ما منه ذو عانة إلا شفي ، وما على الأرض شيء من الجنة غيره»^(١) .

• عن ابن عباس مرفوعاً : « إن لهذا الحجر لساناً وشفعتين ، يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق »^(٢) ، وقال رسول الله ﷺ : « لياتين هذا الحجر يوم القيامة له هبتان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من استلمه بحق »^(٣) .

• **أخي** . . لقد بوب العلماء لتقييده وفضله والمزاخرة عليه .

لقد قبل عمر ابن الخطاب الحجر ثم قال : والله لقد علمت أنك حجر ، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك .

قال القاسم بن محمد : رأيت ابن عمر يزاحم على الركن حتى يدمى وقال : هوث الأفتد إليه ، فأريد أن يكون فزادي معهم .

وعن عبد الله بن عمر أنه استلم الحجر ثم قبل يده ، وقال : ما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يقبله .

(٨) صلاة ركعتين خلف المقام :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعا ، ثم صلى خلف المقام ركعتين^(٤) .

فبعد أن تنتهي من الطواف أخي الحبيب ؛ صل ركعتين سنة الطواف خلف مقام إبراهيم ، أو حيث تيسر بقدر إمكان القرب منه ، ثم حاول أن تقف على

(١) أخرجه البيهقي (٧٥/٥) ، وصححه الألباني (٢٦١٩) في «المصيبين» .

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٦/١) ، وصححه الألباني (٢١٨٤) في «صحيح الجامع» .

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٧/١) ، وصححه الألباني (٥٣٤٦) في «صحيح الجامع» .

(٤) متفق عليه ، البخاري (٣٨٧) ، مسلم (١٧٠٠) .

الملتزم بين الحجر وباب الكعبة ، الصق بطنك وصدرك وركبتك ووجهك بالكعبة ، وناج ربك . . وناد ربك من قريب ، وهنا تسكب العبرات وتحس بالقرب الحقيقي من باب مولاك . . ثم انطلق بعدها إلى زمزم .

(٩) التضرع من زمزم :

فضل زمزم :

• زمزم . . وما أدراك ما زمزم !! . ركضة جبريل عليه السلام ، هزمة الملك ، سقيا إسماعيل ، برة الشبابة ، إيه يا شرب الأبرار . . إيه يا خير ماء . . وإيا سيد الحياة . .

• قال وهب بن منبه : نجدوها في كتاب الله ، يعني زمزم ، شراب الأبرار ، مضمونة ، طعام طعم ، شفاء من سقم ، لا تُتْرَح ولا تُذَم .

• غسل قلب النبي ﷺ بماء زمزم ، اشرب وتضرع واغسل قلبك ، عن أنس ابن مالك : كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « فرج سقفي وأنا بمكة ، فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً ، فأفرغها في صدري ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فمرج إلى السماء الدنيا ، قال جبريل لخازن السماء الدنيا : افتح ، قال : من هذا ؟ قال : جبريل »^(١) .

• خير ماء على وجه الأرض ، خير ماء تشربه لتكون من خير أمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ، فيه طعام من طعم ، وشفاء من السقم »^(٢) .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٤٢) ، مسلم (١٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧٣) .

• لا يتصلع منه منافق ، عن عثمان بن الأسود ، حدثني عبد الله بن أبي مليكة قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : من أين جئت ؟ ، فقال : شربت من زمزم ، قال : شربتها كما ينبغي ؟ ، قال : وكيف ذا يا أبا العباس ؟ ، قال : إذا شربت منها فاستقبل القبلة واذكر اسم الله ، وتنفس ثلاثاً وتصلع منها ، فإذا فرغت منها فاحمد الله ، فإن رسول الله ﷺ قال : «إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتصلعون من زمزم»^(١) .

هذا الحديث قرأه عين للمخلصين الصادقين ، ويفصح المنافقين فحذار ، فإن زمزم اختبار لقلبك ، والتصلع : هو الإكثار من الشرب حتى يتمدد الجنب والأضلاع ، فيقال : شرب فلان حتى تصلع أي : انتفخت أضلعه من كثرة الشرب .

• ماء زمزم لما شرب له ، لماذا تشرب من زمزم ؟ ، قال رسول الله ﷺ : «ماء زمزم لما شرب له»^(٢) .

قال الحكيم الترمذي لشارب ماء زمزم :

إن شربته لشبع أشبعه الله .

إن شربه لرؤي أرواه الله .

وإن شربه لشفاء شفاه الله .

وإن شربه لسوء خلق حسنه الله .

وإن شربه لضيق صدر شرحه الله .

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦١) ، وضعفه الألباني (٣٠٥٢) في «ضعيف ابن حبان» .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢٥٧) ، وضعفه الألباني (٨٨٣) في «المستحسين» .

وإن شربه لانفلاق ظلمات الصدر فلقها الله .

وإن شربه لغنى النفس أغناه الله .

وإن شربه لحاجة قضاها الله .

وإن شربها لأمر نابه كفاه الله .

وإن شربه للكربة كشفها الله .

وإن شربه لنصرة نصره الله .

وباية نية شربه من أبواب الخير والصلاح وفقى الله له بذلك ؛ لأنه استغاث
بما أظهره الله تعالى من جنته غيائاً .

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنا نسحبها شباغة - يعني زمزم - وكنا نجدها
نعم العون على العيال .

• قال وهب بن منبه : والذي نفس وهب بيده لا يعمد إليها أحد فيشرب
منها حتى يتصلع إلا نزعته داءً وأحدثت له شفاء .

يقول ابن القيم - عليه رحمة الله : جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء
زمزم أموراً عجيبة ، واستشفيت به من عدة أمراض فبرئت بإذن الله .

(١٠) السعي بين الصفا والمروة :

• السر في السعي بين الصفا والمروة على ما ورد في الحديث ، أن هاجر
أم إسماعيل عليها السلام لما اشتد بها الحال ، سعت بينهما سعي الإنسان المجهود ،
فكشف الله عنها الجهد بإبداء زمزم وإلهام الرغبة في الناس أن يعمروا تلك
البقعة ، فوجب شكر تلك النعمة على أولاده ومن تبعهم ، وتذكر تلك الآية
الخارقة لتهت بهيمتهم وتدلهم على الله ، ولا شيء في هذا مثل أن يُغضد غُضْدُ

القلب بهما بفعل ظاهر منضبط مخالف لمألوف القوم ، فيه تذلل عند أول دخولهم مكة ، وهو محاكاة ما كانت فيه من العناء والجهد ، وحكاية الحال في مثل هذا أبلغ بكثير من لسان المقال .

● إذا دنوت من الصفا فاقرا قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ مَن حَجَّ فَلْيَسِّرْهُ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ حَبْرًا فَلَنَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [البقرة : ١٥٨] ، ثم قل : نبدا بما بدأ الله به ، ثم ابدأ بالصفا فترتقي عليه حتى ترى الكعبة إن أمكنك ذلك ، وتستقبل الكعبة وتوحد الله وتكبره وتقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، قل ذلك ثلاث مرات ، وادعوا بين التهليلات بما شئت من الدعاء المأثور ، ثم انزل لتسعى بين الصفا والمروة ، فامشي إلى العلامة الموضوعية عن اليمين وعن اليسار ، وهو المعروف بالميل الأخضر ، ثم اسع سعيا شديدا إلى العلم الآخر الذي بعده ، وكان في عهده ﷺ وأذي أبطلع فيه دفاق الحصن ، وقال ﷺ : **الآبِطُحُ إِلَّا شَدَاةٌ**^(١) .

ثم امشي ضغدا حتى تأني المروة فترتقي عليها ، وتصنع فيها ما صنعت على الصفا من استقبال الكعبة والتكبير والتوحيد والدعاء ، وهذا شوط .

● ثم تعود حتى ترقى على الصفا ، تمشي موضع مشيك وتسعى موضع سعيك ، وهذا شوط ثان ، ثم إلى المروة وهكذا حتى يتم لك سبعة أشواط نهاية آخرها على المروة ، وإن دعوت في السعي بقولك : **«رب اغفر وارحم**

(١) أخرجه أحمد (٤٠١/٦) ، وصححه الألباني (٢٤٣٧) في «الصححة» .

إنك أنت الأهمز الأكرم^(١)، فلا بأس ؛ لثبوته عن ابن مسعود وابن عمر
والمسيب بن رافع وعروة بن الزبير .

مشاهد العبودية في العمرة :

المشهد الأول : استشعار المنة :

لا بد في البداية من معرفة فضل الله عليك بأن أذن لك بهذه العمرة ،
فالكعبة حُجَّةٌ لك أو عليك ، الملك جل جلاله أدخلك بيته . . أنتحق
هذا ؟ ، والله لا أحد من المخلوقين يستحق ذلك ولكنه فضل الله الكريم ، ولو
عامل الله العباد بما يستحقون ؛ فمن ذا الذي يستحق أن يدخله الله بيته ؟ ! ،
فلذلك ينبغي أن تظل مستشعراً بفضل الله عليك ، أن أكرمك ، وأدخلك بيته ؛
فاحمده على ذلك .

الكعبة حجةٌ لك أو عليك ، فكم من أناسٍ أكثرُ منك مالاً ، وأصح منك
جسماً ، وأعلن منك همة في طلب الدنيا ؛ ولكنه لم يذهب إلى العمرة أليس
كذلك ؟ . . وكم من أناسٍ معهم المال الكثير ويستطيع أحدهم أن يأتي بتأشيرة
العمرة في ساعة واحدة وهو جالسٌ في بيته ؛ أولاً يحتاج إلى تأشيرة أصلاً بل
هو من أهلها ولكنه حُرِّمَ من العمرة ؛ لأنه لا يهتم بذلك ، لا يعنيه ذلك ، لم
يقذف الله في قلبه هذه الرغبة ، ليس عنده شوق إلى بيت الله ؛ لذلك نريد
الشوق إلى بيت الله . .

كنتُ جالساً ذات يوم في الحرم أمام الكعبة وفوجئت ببعض الإخوة
يقولون : تعال يا شيخ من فضلك ، قلت : ماذا حدث ؟ ، قالوا : هناك رجل
نريد أن نراه ، دقيقة واحدة ، لن نأخذ من وقتك كثيراً ، فلحبت معهم ،

(١) صحيح موقوفاً على ابن مسعود وابن عمر ، وصححه الألباني في «مسند الحج» ص ٥٣ .

فوجدت رجلاً كبير السن يرتدي ملابس الإحرام ويجلس على الأرض فقالوا: هذا الرجل طاف ثلاثة أشواط فقط من طواف العمرة ولا يريد أن يكمل الطواف، فقلت له: لماذا يا حاج؟، هل أديت العمرة؟، قال: لا، قلت: فلا بد أن تطوف سبعة أشواط، فقال: لقد تعبت، قلت: إذا نأيت بكركسي متحرك لتكمل عليه الطواف، فقال: لماذا، وهل أنا مقعد مشلول؟!

قلت: لا عليك، اسرح قليلاً، ثم ساعة أو ساعتين في الفندق ثم تعال اصعل عمرة من البداية مرة أخرى، أو تكمل الطواف بعد أن تستريح الآن، يمكن أن تستريح ثلث ساعة ومادام الفاصل لم يطل أكمل الطواف وليس ثمة مشكلة، هيا أكمل أربعة أشواط أخرى؛ فقال: لا، يكفي ذلك!، قلت: إذا ارجع ولكن احتفظ بثياب الإحرام ثم تعال غدا لتؤدي العمرة، فقال: لا، لقد مللت من هذه الثياب وسوف أخلعها!، عندئذ شعرت أنني سأجن... ماذا حدث؟!، كم من ملايين الناس يتمنون المعجزة إلى هنا ولا يستطيعون، وهذا يأتي أمام الكعبة ولا يريد إكمال العمرة!!.

ولما جلست وحدي أخذت أفكر في هذا، فلله الحجة البالغة، قلت: هذا من باب إقامة حجة الرب على العبد؛ لأن العبد يظل يقول: يا رب أريد أن أصتمر... أتمنى عمرة... لو أدت العمرة فسوف أعتدي وسوف تتحسن أحوالي، وحتى لا يأتي يوم القيامة ويقول: يا رب لو وفقتني لعمرة لا هتديت، فيقول الله له بهذه المواقف: بل هانذا أعطيك عمرة، وأنت بك حتى وصلت إلى بيتي، ولكنك لم تهتد ولم تتحسن، فيكون وجود الكعبة وذهابك إلى هناك وأدائك للعمرة من باب إقامة المعجزة عليك أو لك.

المشهد الثاني : شعار العمرة . . ليك ليك ، لا تنس ملازمة الطاعة

والعبادة :

أيها الإخوة ، إنك إذا ذهبت إلى العمرة ، فلا بد أن يكون لك برنامج تقوم به ، تفاجأ بأن كثيراً من الناس يضع وقته في لا شيء ، لا يدري أين يذهب ، ولا يدري ماذا يصنع ، ويبحث عن الشيخ فلان والشيخ فلان فيقول : رأيت الشيخ فلاناً هنا ، وتجد من يذهب يتجول في شوارع مكة ، ويهتم بالشراء والتليفونات وشراء الملابس والهدايا .

لماذا جئت ؟!! ، هذا السؤال لابد أن يحكم تصرفاتنا ، لماذا جئت ؟ .

لابد من برنامج : ستطوف كم مرة في اليوم ؟ ، ولا تقل لي : كيف أكثر من الطواف مع هذا الزحام ؟ ، بل طف وأكثر من الطواف .

واعلم أن الزحام رحمة ، كان علي بن أبي طالب عليه السلام يجلس في الحرم ، فرأى رجلاً يطوف وهو يحمل أمه على راسه ، فأسرع وقام وطاف خلفه ، ثم بعد أن قضى طوافه قال : واللّه ما كانت لي رغبة في الطواف غير أنني لما رأيت هذا يطوف وهو يحمل أمه ، ظننت أن سينزل الله عليه رحمة ، فأردت أن بصيبي شيء منها .

لذلك أقول لك : قد يكون من بين هؤلاء الطائفين رجل مرحوم فتتزل عليه وعليك رحمة ، أنت لا تدري من الذي سيرحم في كل هؤلاء ، ولا تدري من هو المخلص في كل هؤلاء الناس ، لا تدري من في هؤلاء الناس ينظر الله إليه برحمة ، فلا تخف من الزحام .

يوم في حياة معتمر :

رتب لك برنامجاً ، ولو أردنا أن نضع برنامجاً يومياً ثابتاً فسيكون لأصحاب

الهمة العالية الراغبين في الفردوس الأعلى من الجنة ، الذين يريدون أن يرجعوا من العمرة وقد رضي عنهم ربهم ؛ فأقترح عليك :

- ١- أن تطوف في اليوم أربع مرات .
- ٢- تقرا كل يوم عشرة أجزاء لتختتم كل ثلاثة أيام .
- ٣- تصلي مائة ركعة في اليوم .
- ٤- استغفر ألف مرة .

ولا أقصد ألف مرة تحديدًا وإنما للتكثير ، لا أقصد تحديد العمل وإنما أقصد كثرة العمل ، لو عشت حياتك الإيمانية هكذا في مكة أثناء العمرة تكون قد وصلت للهدف من العمرة ، وإياك والمشاكل الفارغة هناك .

● وأريدك وأنت تصلي في الحرم أن ترى الكعبة أمامك ، دعك من أولئك الذي يصلون على السطوح بحجة أن صحن الطواف مزدحم وفيه نساء ، أريد أن تظل الكعبة أمام عينيك طول الوقت ، لكي تؤثر فيك ، وتلهب مشاعرك ، وتوقظك ، وتغنيك ، اقترب منها ، فقد تنزل عليها رحمة فتال منها نصيبًا ، والقرب من الكعبة أيضا يجعلك في وقار واحترام . . يجعلك في هيئة واحتشام على الدوام .

● وأنبهكم إلى أن النبي ﷺ قال : « صلاة في مسجد الكعبة بمائة ألف صلاة فيما سواه »^(١) ، الصلاة في المسجد بمائة ألف صلاة ، وخارج باب الحرم بواحدة .

المقصود : اجعل لك برنامجًا ولا تترك نفسك على هواها ، والتزم ونافس

(١) أخرجه الطبراني (١/ ٧٠٠) في «الأوسط» ، وصححه ابن عبد الهادي في «التفيع» (١١١/٢) .

غيرك ، وتابع وحاسب كل ليلة ، في هذا البرنامج تنوي أن تطوف أربع مرات في اليوم ، هذا على الأقل ، قال رسول الله ﷺ : « من طاف بالبيت أسبوعاً لا يلبث فيه ففر له ما تقدم من فتيه »^(١) ، قف أمام الحجر الأسود وارفع يدك لتشير إليه ، وانو بقلبك الطواف ، واجعل في نيتك أنك ستطوف ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك .

ونجد من يأتي ليسأل : لو لمست امرأة في الطواف ينتفض وضوئي أم لا ؟ ، إذا أحسست أنك مستها توضاً ، ولكن الأصل أنك تطوف بكل جوارحك فلا تشعر بأي شيء يحدث حولك .

طف حول الكعبة . . حول بيت ربك وعينك على الكعبة ، وتحيل كيف كان سيدنا إبراهيم يني وإسماعيل يساعده . . وكيف كان المشهد عندما كان النبي ﷺ يضع الحجر الأسود . . تذكر عبد الله بن مسعود عندما ضرب وهو يقرأ سورة الرحمن . . تطوف بالكعبة وتذكر سيدنا موسى وهو يطوف حولها . تذكر النبي محمد ﷺ وهو مضطجع في ظل الكعبة وخباب بن الارت يقول له : يا رسول الله ، ألا تدعو لنا ؟ ، ألا تستنصر لنا ؟ .

تلك هي الحياة وهذا هو الإيمان ، تلك هي الطاعات ، هذا هو العلم واللذة الحقيقية .

نحتاج أن نطوف في ذروة الحر ولا نبالي ولو مرة واحدة ، وفي ظلمة الليل ولا نبالي بالنوم . . وفي شدة الزحام وتشعر أنك تطوف وحدك . . عيشوا هذه الحياة أيها الإخوة . . عيشوا هذه المعاني ، دعوكم من هذه الحياة الكدرة التي نعيشها هنا . . لتتخلص منها قليلاً ، ولنعمش معاني الإيمان بقلوبنا .

(١) أخرجه ابن حبان (٣٦٩٧) ، وصححه الألباني (١١٤٣) في «صحيح الترغيب والترهيب» .

الركعة هناك بمائة ألف كما أخبر النبي ﷺ ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق : ١٩] ، وقال النبي ﷺ لربيعة بن كعب الأسلمي : «فأضي على نفسك بكثرة السجود»^(١) ، وقال لثوبان : «عليك بكثرة السجود ، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة»^(٢) .

صل ألف ركعة . . صل ألفي ركعة . . صل عشرة آلاف ، وهناك يستحب عدم إطالة الصلاة بل تُكثّر الركعات ، فليس من الفقه أن تمسك المصحف وتظل طوال الليل في ركعتين ، بل زد عدد الركعات .

ومن عجب أن ترى من يجلس والإمام في الصلاة ، الإمام يصلي القيام وهو يجلس يتكلم في الدنيا ، قم يا بني صل ، يقول لك : الرسول ﷺ لم يزد في رمضان ولا غيره على أحد عشرة ركعة ، ويظل يناقش ويخرج بغير فائدة . دعك منه .

أكثّر الصلاة ، صل صلاة الضحى من بعد الشروق حتى قبل الظهر بثلاث ساعة ، صل خمسين أو ستين ركعة من الظهر إلى العصر ، ومن المغرب إلى العشاء ، ومن العشاء إلى الفجر ، صل ركعات كثيرة . . الركعة بمائة ألف ، ولا تدري ماذا سيقبل ؟ ، ربما تقبل سجدة فترحم بها ، صل وزد في الصلاة واستشعر معانيها .

المشهد الثالث : أنت هنا في بيته ، فاطلب وأنت قريب :

ومن العجيب أنك تجد في الطواف مجموعة من الناس يمشون خلف واحد منهم يمسك كتاباً ويقرأ أدعية الطواف : دعاء الشوط الأول ، وهم يرددون

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩) .

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٨) .

خلفه بغير أي فهم لما يقول : هل هو يقرأ أم يدعو ؟ ، هل هم يرددون فقط أم
يدعون ويطلبون من الله جل جلاله ؟ . . دعك من هذا الكلام الرسمي .
أريدك أن تدعو من قلبك . . قل ما في قلبك . . اطلب من الله ما تريده . .
أشك لربك . . قل :

يا رب ، أنا متعب . . أنا ضعيف . . ومفتون .

يا رب . . هذه المعاصي التي ارتكبتها لا أدري كيف نجات علي
فعلها . .

يا رب ، خذ بيدي . . يا رب تب علي . .

يا رب اصرف عني السوء والفحشاء والمعاصي . . يا رب نجني . . يا رب
لو تركتني سأضيع . .

يا رب ليس لي غيرك ، قل ما في نفسك وادع الله بما في قلبك ودعك
من التكلف ، واستشعر عظمة الطواف ، واستشعر وأنت تطوف وعينك على
الكعبة أنك تكلم الله من جوار بيته . . يا رب . . جئت إليك في بيتك فهل
ستطردني ؟

يا رب ، إن كل مزور يكرم زائره ، وقد جئت إليك ، فهل تتركني أرجع
بذنوبي كما جئت بها ؟ ، يا رب ، أنت أكرم . . أنت أعظم . . أنت أحلم . .
يا رب ، اغفر لي . . لن أرجع مرة أخرى إلى داري محملاً بالذنوب ، وإلا
فالموت هنا أفضل لي . . يا رب ، اقبض روحي أمسي ، لكن لن أرجع كما
جئت . . يا رب ، جئت إليك وأنت الطبيب تعالجنني . .

هكذا كلم ربك ، فاجه واطلب منه . . أشك إليه . .

ابدأ دعائك بحمد الله ثم الصلاة على رسول الله ﷺ ، فإن النبي ﷺ سمع

رجلاً يدعو في صلاته فلم يحمد الله ولم يصل على نبيه فقال : «لقد حُجِّل هلاء»^(١) ، قبل أن تطلب أي شيء من الله ابداً بالحمد والثناء عليه سبحانه ، واشكروه على نعمه ، ثم صل على النبي محمد ﷺ ثلاثاً ، ثم بعد ذلك اطلب النبي ﷺ علماً في دعاء القنوت أن تقول : «اللهم اهتدي فيمن هديت»^(٢) ، فهو الذي هدى سحرة فرعون يملك أن يهدينا . .

سبحان الملك ١١ ، فلانة الممثلة وفلان المطرب ، الله هداهم ، فتقول : يا رب ، اهتدي فيمن هديت ، يا رب ، كما هديت هؤلاء اهتدي ، وكما تب عليهم تب علي ، وكما أصلحتهم أصلحني . . تضرع إلى الله واخفض صوتك وابك له .

اقرب من الكعبة وقف تحت الباب في الملزم وتعلق ، وتكلم من تحت عتبة الباب ، باب الكعبة ، بث همك لربك ، أدخل رأسك في الحجر الأسود وقبله وابك ، ثم صل ركعتين في حجر إسماعيل كأنك داخل الكعبة ، واركن على الكعبة وقل : يا رب ، أسأت ظهري إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك .

هكذا عش حياتك الإسانية ، طواف وصلاة ، وقراءة قرآن وذكر ودعاء ، هناك في عمرة ومهضان أعمال قذة تمثل طفرات في الإيمان ، انفردت وحدك ، نركت زوجتك وأولادك وأهلك وجنت هنا في الحرم فلا بد أن تنظم وقتك ، لا سيما مع عدم وجود المشاكل عندك الآن .

وهنا يبدو للبعض أن يسأل : أيهما أفضل : حج المرأة مع صحبة أو

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، والألباني في «صفة الصلاة» ص ٨٦ .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٠) ، وصححه الألباني (٢٠) في «مشكاة المصابيح» .

الاعتماد مع صحبة ، أم وحدك ؟ ، لا شك أن الصحبة معينة ، والمنافسة نافعة ، والمتابعة مشجعة ، ولكن الانفراد هو الأولي ؛ فلذلك يمكنك أن تجمع بين الأمرين ، أن تجلس معهم ساعة الإفطار ، أن تراهم في صلاة الجماعة ، وفي غير ذلك انفرد بنفسك بعيدا عنهم ، اجلس بين أناس لا يعرفك فيهم أحد ، اجلس وحدك ، وابدأ في عمل بل أعمال لم تعملها قبل ذلك في عمرك ، كما فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ختم القرآن في ركعة واحدة أوتر بها في الجحجر .

المشهد الرابع : طفرات إيمانية :

لا بد من طفرات إيمانية ، وفرصتك هناك في العمرة أفضل لكي تخرج من بئر الحرمان ، وتجربة الحشرات ، ومن وهدة الغفلة ، ومن وادي المعاصي ، لا بد من طفرات إيمانية ترفعك عاليًا لتخرج من هذه الغفلات المتتالية .

أولاً : ختم القرآن في ركعة :

في هذه الأوقات والأماكن اختتم القرآن في ليلة كما فعل عثمان ، قد تقول لي : وهل هذا ممكن ؟ ، هل يمكن ختم القرآن في ليلة ١٩ ، أقول : نعم ، وهذا هو فعل عثمان .

استمع بالله وسوف يوفقك الله لذلك ، اقرأ بعد الفجر ، وبعد الظهر وبعد العصر ، وبعد المغرب ، وبعد العشاء ستختتم ختمة وأنت مستريح بتؤدة . . قم بعملها مرة ، إنك محتاج إلى طفرة كهذه . . طفرة كبيرة في أعمال الإيمان ؛ لتخلص من رق الذنوب التي تعيش فيها .

ثانياً : طواف وصلاة :

أيضاً من الطفرات المطلوبة أن تطوف سبعة أشواط ثم تصلي ركعتين ؛ ثم

تطوف سبعة أخرى وركعتين ، ثم سبعة أخرى وركعتين ، هكذا طوال الليل من بعد العشاء حتى الفجر ، تبقى في الطواف فقط ، صحيح ستؤلمك قدماك ، وستألم من ظهرك وقد تصاب بالصداع ؛ ولكنها مرة لله عز وجل .

ثالثًا : قيام الليل مئة ركعة :

ومن الطفرات المطلوبة أيضًا أن تصلي من العشاء إلى الفجر ركعتين ركعتين ، وتعتبر حاجز المائة ركعة لتسجل عند الملك في السابقين الفائزين ؛ لأنك ذكرت الله فذكرك .

رابعًا : قلة النوم :

ومن الطفرات الإيمانية أيضًا أن تقلل ساعات نومك ما استطعت . . . رحم الله مشايخنا ، كنا قديمًا نعيش الثلاثين يومًا من رمضان في الكعبة على التمر وماء زمزم فقط .

طعام خفيف لا تحتاج معه إلى حمام ولا تصاب بمفص في البطن ، ولا تشعر بكثرة النوم ، بل تجد خفة ورقة ، ودائمًا أقول : لو لم يكن في كثرة الأكل آفة إلا كثرة دخول الحمام لكفى .

خامسًا : طفرة حياتية :

نريد طفرة حقيقية في حياتك عمومًا ، جرب أن تقلع عن الشاي شهرا ، تترك أكل اللحوم شهرا ، لن يحدث لك شيء . لن تموت ، لا بد من طفرة في حياتك الإيمانية ، أصنع أشياء لم تعملها من قبل ، صل صلاة النبي ﷺ في الليل ؛ صل في الركعة الأولى بالبقرة وآل عمران والنساء ، واجعل ركوعك مثل ذلك وسجودك مثل ذلك ، ثم تصلي الركعة الثانية بالمائدة والأنعام ، فتقضي الليل في ركعتين عملاً بسنة النبي ﷺ كما ثبت في حديث حذيفة في الصحيحين .

افعلها ولو لمرة واحدة في حياتك .

المشهد الخامس : الأانس بالله :

قال رسول الله ﷺ : « عمرة في رمضان تعدل حجة ممي »^(١) ، ليست مجرد حجة ، بل حجة مع النبي ﷺ ، تستشر وأنت تقوم بأداء العمرة في رمضان أنك مع النبي محمد ﷺ ، حين تستشر أنك تمج مع النبي ﷺ تستشر بالأنس ، وكثيراً ما قلت : قال العلماء : إن في معاني الإيمان معالم على الطريق ، من لم يرها فإنه لم يسر قط ، لم يسلك الطريق .

أول معلم منها : الأانس بالله ، من لم يشعر بالأنس فهذا لم يسر في الطريق ، فإن أول معلم في الطريق الأانس بالله ، هذا المعلم إذا أحسست به اطمانت أنك تسير في الطريق ، نسال الله عز وجل أن يرزقنا الأانس به ، وعلامة الأانس به الاستيحاش من الخلق ، فلا تأنس بالنامس ، فتحب الخطوة ، والانفراد عن الناس ، لتأنس بالله ، وخصراً وأنت في بيته عنده سبحانه ، جئت إليه فاراً من الناس ، مهاجراً إليه ، طالباً للجوء الإيمانى كى يزورك ، استشر المعنى ثم اطلبه بالراح نجه .

المشهد السادس : تعظيم أمر رمضان :

رمضان شهر عظيم كريم ، وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب أجراً ورحمة وبركة للناس قبل أن يدخله »^(٢) ، الله كتب رحمته للناس في رمضان قبل دخول رمضان ، وكتب إيمه وشقاءه وحرمانه قبل أن يدخله ، يكتب الله من هو المرحوم ومن هو المحروم ، فمن تعظيم أمر رمضان أن تصرئ مواطن الرحمة ، فإذا ذهبت عند الكعبة اجتمع لك شرف

(١) منفق عليه ، البخاري (١٧٦٤) ، مسلم (١٢٥٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٧٤ / ٢) ، وصححه شعيب الأونورى .

المكان وشرف الزمان ومضاعفة الأعمال ، فليس الصيام فقط يتضاعف ، بل هناك قيام وذكر وتلاوة قرآن وطواف وإطعام طعام ، وأعمال بر وتقى لا تعد ولا تحصى ، وشرب ماء زمزم ، وسعي بين الصفا والمروة وتقبيل الحجر ، وصلاة في الحجر .

ومن الركن اليحاني ، والوقوف في الملتزم ، والصلاة خلف المقام ، والصلاة في حجر إسماعيل ، كل هذه أعمال لا تيسر إلا هناك ؛ فلذلك نعتمر في هذا الشهر التماساً لبركة تلك الأعمال مجتمعة هناك ، فأشعر قلبك أنك أتيت إلى هنا وتفعل كل هذه الأفعال طلباً لتعظيم هذا الشهر العظيم لأن الله عظمه .

مسألة المكث في مكة أفضل من المكث في المدينة :

تجد بعض الناس يقول : سوف أنتهي من العمرة ثم أذهب إلى المدينة ؛ لأن مكة مزدحمة ، وأنا أشعر بارتياح قلبي في المدينة أكثر .

وهذه مسألة الترجيع فيها بالهوى ، مسألة تقليد الناس واتباع أقوال العامة أن المدينة أكثر راحة عن مكة ، وهذا مفهوم خاطئ ، ومن تليس إبليس .

لا نريد أن نناق وراء كلام الناس ، لابد أن يكون كلامنا منضبطاً بالشرع : في مكة توجد الكعبة بيت الله ، وفي المدينة يوجد مسجد رسول الله ﷺ ، ولا ينبغي أن نخلط بين ما لله من حق ، وما لرسوله ﷺ من حق ، الرسول ﷺ دعا للمدينة فقال : «اللهم حبيب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد»^(١) ، وقال ﷺ : «اللهم إن إبراهيم حرم مكة وأنا أحرم المدينة»^(٢) ، فالدعاء أن تكون

(١) متفق عليه ، البخاري (١٧٩٠) ، مسلم (١٣٧٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٩٣) ، وصححه شعيب الأرنؤوط .

المدينة مثل مكة ، والمقارنة بين مكة والمدينة واضحة ، الصلاة في مكة بمائة ألف ، وفي المدينة بألف ، فأيهما يكون أربح ؟

إنك تجد في كتاب الله عز وجل الثناء كل الثناء على مسجد الكعبة ، فأين ما يقابله في مسجد الرسول ﷺ ؟ ١٩ ، ولست بهذا أهون من أمر مسجد رسول الله ﷺ - عباداً بالله - ؛ وإنما نضع الأشياء في موضعها الصحيح ، نعطي كل شيء حقه اللائق به ، وهذا من العدل الذي أمرنا الله به ، ومن الفقه الذي نريد دلالة الأمة عليه حتى لا يفوتها عظيم الأجر ، اليس النبي ﷺ قال في مكة : «والله لأنت أحب بلاد الله إلي الله ، وأحب بلاد الله إلي»^(١) ، والمسجد الحرام هو أول مسجد وضع على ظهر الأرض ، وليس بقعة في الأرض بشرط لدخولها الإحرام والتجرد من الملابس إلا مكة .

إن مكة هي مكة ، والمدينة هي المدينة ، فحدّد هدفك من عمرك ولا تحتر ما يوافق هواك ، بل اختر ما هو خير لك في آخرتك ، إننا نحب مسجد رسول الله ﷺ ليس من أجل النبي ﷺ فحسب بل نحبه لله ابتداء ، هذه الأمور لا بد أن تنضبط انضباطاً صحيحاً لا خلو فيه ولا جفاء .

فاعتكافك في مكة يختلف عن اعتكافك في المدينة ، صلاتك في مكة تختلف عن صلاتك في المدينة ، لا تظن أنني بذلك أهالك عن الذهاب إلى المدينة ، كلا . . بل يستحب زيارة مسجد الرسول ﷺ فاحرص على ذلك . . أسأل الله جل جلاله أن يتابع لنا بين الحج والعمرة ، وأن يرزقنا العمرة في رمضان دائماً ولا يحرمانا منها ، وأن يرزقنا الإخلاص فيها .



(١) أخرجه أبو يعلى (٦٩/٥) ، وقال حسين سليم أسد : رجاله رجال الصحيح .

الفصل الحادي عشر

نسائم الأسحار

اقعد على جانب وادي السحر ؛ فلعل إبل القوم تمر بك . . منهم
تعلمت الحمام النوح والإبل الحنينا . . وآسف المتقاعد عنهم ، واحسرة
البعيد منهم .

نسائم الأسحار

قال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥-١٨٦].

قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

في وسط سياق الآيات التي تتحدث عن الصوم ، نجد لفظة عجيبة إلى أعماق النفس وخفايا السريرة ، نجد العوض الكامل الحبيب المرغوب عن مشقة الصوم ، والجزاء المعجل على الاستجابة لله ، نجد ذلك العوض وهذا الجزاء في القرب من الله ، وفي استجابته للدعاء ، تصوره ألفاظ شغافة تكاد تنير : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ .

فلاني قريب .. أجيب دعوة الداع إذا دعان .. آية رقة ١٩ ، وأي انعطاف ١٩ ، وآية شغافية ١٩ ، وأي إيناس .

وأي تفع مشقة الصوم ومشقة أي تكليف في ظل هذا الود ، وظل هذا القرب ١٩ ؟ وظل هذا الإيناس .

وفي كل لفظ في الآية كلها تلك الندوة الحبية : إضافة العباد إليه سبحانه ، والرد المباشر عليه منهم سبحانه ، لم يقل لهم : فقل لهم إني قريب ، إنما

تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال . . قريب . . ولم يقل :
أسمع الدعاء . . إنما عجل بإجابة الدعاء : ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ . .

إنها آية عجيبة . . آية تسكب في قلب المؤمن الندوة الحلوة ، والود
المؤنس ، والرضى المطمئن ، والثقة واليقين . . ويعيش منها المؤمن في
جنان رضى وقربى ندية ، وملاذ أمين وقرار مكين .

وفي ظل هذا الأنس الحبيب ، وهذا القرب الودود ، وهذه الاستجابة
السريعة من الله بوجه الله تعالى عباده للاستجابة له ، والإيمان به ، لعل هذا
يقودهم إلى الرشd والهداية والصلاح ، فالثمرة الأخيرة من الاستجابة هي لهم
كذلك ، وهي الرشd والهدى والصلاح ، فالله غني عن العالمين .

والرشd الذي ينشأ الإيمان وتنشأ الاستجابة لله هو الرشd المطلوب
للحياة السعيدة التي ترضي الله ، واستجابة الله للعباد مرجوة حين يستجيبون
له وهم يرشدون ، وعليهم أن يدعوه ولا يستعجلوه ، فهو يقدر الاستجابة في
وقتها بتقديره الحكيم ، فبحان من أطمع المطيع والعاصي ، والداني
والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأمانى بقوله تعالى :
﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ . .

تدل هذه الآية على تعظيم حال الدعاء من وجوه :

الأول : كأنه سبحانه وتعالى يقول : عبدي . . أنت إنما تحتاج إلى الوسطة
في غير وقت الدعاء ، أما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك .

الثاني : أن قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ يدل على أن
العبد له ، وقوله : ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ يدل على أن الرب للعبد .

والثالث : لم يقل : فالعبد مني قريب ؛ بل قال : أنا منه قريب . .

وانظر إلى كرم الجواد الذي إذا لم يُسأل يغضب ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَّوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٧] ، وقال رسول الله ﷺ : « من لم يسأل الله يغضب عليه »^(١).

فالدعاء تذلل وخضوع ، وإخبات وانطراح على سُدَّةِ الكريم ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله حيي كريم ، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خالبين »^(٢).

وإن لم يكن رمضان وقت الدعاء المستجاب ، ففي أي شهر يكون الدعاء ؟ ، وهو وقت الشفاة الذابطة والطاعة الكاملة ، والبطون الضامرة ، وقت نزول الملائكة ، وقت فتح أبواب الرحمة وأبواب السماء .

ولكن أبواب السماء نحتاج إلى مفاتيح تفتح بها ، فإن الله جل جلاله بحكمته ورحمته جعل لكل شيء سبباً ، وأمرنا بالأخذ بالأسباب لنصل إلى مراده سبحانه وتعالى من غير أن نتعلق بها ، فهو سبحانه غني عن الأسباب ، ولكنها من سنن الله الربانية أن تكون البداية من العبد في إظهار الافتقار والحاجة والله يتمم له ويعطيه أكثر من مراده .

ولذلك جمع العلماء للدعاء آداباً وأسباباً يرجي لمن التزمها أن يحوز دعاؤه القبول ، أحب قبل أن ندعو وقبل أن أذكر لك طرقاً من عيون دعاء الصالحين ؛ أن أسردها لك ابتداءً .

(١) أخرجه أحمد (٤٤٢/٢) ، وصححه الألباني (٢٤١٨) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٨) وصححه الألباني (١٧٥٧) في « صحيح الجامع » .

آداب الدعاء :

(١) أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل .

(٢) أن يختصم الأحوال الشريفة :

وإليك بعض الأوقات والأحوال التي يستجاب فيها الدعاء :

• وقت التنزل الإلهي :

قال ﷺ : « إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً من أمر الدنيا والآخرة ؛ إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة »^(١).

• في السجود :

قال رسول الله ﷺ : « وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء ، فقمن أن يستجاب لكم »^(٢).

• أن يبيت على ذكر فيتعار من الليل فيدعو :

قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يبيت على ذكر طاهراً فيتعار من الليل فيسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله له »^(٣).

• عند الأذان :

قال رسول الله ﷺ : « إذا نودي بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء »^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٧٥٧) . (٢) أخرجه مسلم (٤٧٩) .

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٤/٥) ، وصححه الألباني (٥٧٥٤) في « صحيح الجامع » .

(٤) أخرجه أحمد (٣٤٢/٣) ، وصححه الألباني (٨٠٣) في « صحيح الجامع » .

• بين الأذان والإقامة :

قال رسول الله ﷺ : « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد »^(١).

• عند نزول المطر ، وعند التقاء الجيوش ، وعند إقامة الصلاة :

قال رسول الله ﷺ : « اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش ، وإقامة الصلاة ، ونزول الغيث »^(٢).

• آخر ساعة من نهار الجمعة :

قال رسول الله ﷺ : « يوم الجمعة ثلثا عشرة ساعة ، منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا آتاه الله إياه ، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر »^(٣).

• دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب :

دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير ؛ قال الملك الموكل به : آمين ، ذلك بمثل .

قال رسول الله ﷺ : « دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يرد »^(٤).

• دعوة المسافر ، والمظلوم ، والوالد لولده ، ودعوة الصائم :

قال رسول الله ﷺ : « ثلاث دعوات مستجابات : دعوة الصائم ، ودعوة المظلوم ، ودعوة المسافر »^(٥).

(١) أخرجه أحمد (١١٩/٣) ، وصححه الألباني (٢٦٥) في « صحيح الترهيب والترهيب » .

(٢) أخرجه البيهقي (٦٢٥٢) ، وصححه الألباني (١٠٢٦) في « صحيح الجامع » .

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٤٨) ، وصححه الألباني (٨١٩٠) في « صحيح الجامع » .

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٣) .

(٥) أخرجه ابن خزيمة (١٩٠١) ، وصححه الألباني (٣٠٣٠) في « صحيح الجامع » .

● عدم المعجلة :

قال رسول الله ﷺ : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : قد دعوت فلم يستجب لي »^(١).

● دعاء رمضان :

فهو وقت صيام وزمان شريف ، وهناك علاقة وطيدة بين فتح أبواب السماء وأبواب الرحمة وإجابة الدعاء ، وهي حاصلة في رمضان ، وقال رسول الله ﷺ : « لله في كل يوم ليلة عتقاء ، لكل عبد منهم دعوة مستجابة »^(٢).

(٣) أن يدعو مستقبل القبلة ، ويرفع يديه إلى السماء .

(٤) خفض الصوت بين المخافتة والجهر ، قال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعَاً أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّ مِمَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتُمْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠] ، قالت عائشة رضي الله عنها : أي بدعائك ، وقال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب »^(٣).

(٥) أن لا يتكلف السجع في الدعاء ، ادع بلسان الذلة والافتقار ، لا بلسان الفصاحة والانطلاق .

(٦) التضرع والخشوع والرغبة والرهبة .

(٧) أن يجزم بالدعاء ، ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه : قال سفيان بن عيينة : لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه ، فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر المخلوق إبليس لعنه الله : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴾ [١٥] قَالَ ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ [الحجر: ٣٦-٣٧] .

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٩٨١) ، ومسلم (٢٧٣٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٤/٢) ، وصححه الألباني (٢١٦٩) في «صحيح الجامع» .

(٣) متفق عليه ، البخاري (٢٨٣٠) ، مسلم (٢٧٠٤) .

(٨) أن يلج في الدعاء ، ويعظم المسألة ، ويكرر الدعاء ثلاثا : قال ابن مسعود : كان رسول الله ﷺ إذا دعا دعا ثلاثا ، وإذا سأل سأل ثلاثا ، وقال ﷺ : « إذا تمنى أحدكم فلمكثر ، فإنما يسأل ربه »^(١).

قال المناوي : إذا تمنى أحدكم خيرا من خير الدارين فليكثر الأمانى فإنما يسأل ربه الذي ربه وأنعم عليه وأحسن إليه ، فيعظم الرغبة ويوسع المسألة ، ويسأله الكثير والقليل حتى شغ النعل ، فإنه إن لم يسره لا يتيسر ، فينبغي للسائل إكثار المسألة ولا يختصر ولا يقتصر فإن خزائن الجود سبحانه الليل والنهار ، ولا يفنيها عطاء ، وإن جل وعظم فمعاذ بين الكاف والنون ، وليس ذا تناقض لقوله سبحانه : ﴿وَلَا تَكُونُوا مِمَّنْ قَدَّمُوا مَا قُضِيَ لَهُمْ مِنْهُ بِمَنَافِعِهِمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [نساء: ٣٢] ، فإن ذلك نهي عن تمنى ما لأخيه بغيا وحسدا ، وهذا تمنى على الله سبحانه خيرا في دينه ودنياه وطلب من خزائنه اهـ .

(٩) أن يفتح الدعاء بذكر الله ولتأه عليه ، وأن يختمه بالصلاة على رسول الله ﷺ ، قال رسول الله : « كل دعاء محبوب حتى يصلي على النبي ﷺ »^(٢).

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم يسأل حاجته ، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين ، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما .

(١٠) وهو الأدب الباطن ، وهو الأصل في الإجابة ، التوبة ورد

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٣٠١ ، وصححه الألباني (١٣٧) في «صحيح الجامع» .

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٧٥) ، وحسنه الألباني (١٥٢٣) في «صحيح الجامع» .

المظالم والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمة ، فذلك هو السبب القريب في الإجابة .

قال مالك بن دينار : إنكم تستبطون المطر ، وأنا أستبطن الحجارة ، أي نزول الحجارة .

وقال ابن المبارك : قدمت المدينة في عام شديد القحط ، فخرج الناس يستقون فخرجت معهم ، إذا أقبل غلام أسود ، فجلس إلى جنبي فسمعت يقول : **الهي** .. أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الأعمال ، وقد حبت عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك ، فأسألك يا حليماً ذا أناة .. يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة ، فلم يزل يقول : الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب ، قال ابن المبارك : فجئت إلى الفضيل فقال لي : مالي أراك كئيباً ؟ قال : أمر سيقنا إليه غبرنا فتولاه دوننا ، وقصصت عليه القصة فخرّ الفضيل مغشياً عليه .

إخواناه ..

الدعاء والمناجاة والتضرع والافتقار بالأسحار ؛ عبادة لها لذة ، وفي رمضان لها طعم آخر ، لها في رمضان مذاق خاص ، والسميد السعيد من قام في السحر يناجي ربه ويتملقه ؛ ليستشق نسيم الأنس بالله ، فوالله ثم تالله لو شملت نسيم الأسحار لاستغاق منك قلبك المخمور .

وفي هذا الفصل المفعم بالبكاء على النفس ، والرجاء لفضل الله ، والخوف من النيران وطلب الجنان ، تتعرض لأمثلة عطرة من مناجاة وأدعية السلف الأكابر ، لتتعلم كيف نتعلق ربنا ونستفتح لديه بالدعاء ، ولم نتعرض لأدعية القرآن الكريم والله ، فهي بفضل الله مبروغة لديكم ومشهورة .

إخوتاه . .

قال يحيى بن معاذ الواعظ : طوبى لعبد أصبحت العبادة حرفة ، والفقر منيته ، والعزلة شهوته ، والآخرة همته ، وطلب العيش بلغته ، وجعل الموت فكرته ، وشغل بالزهد نيته ، وأما بالذل عزته ، وجعل إلى الرب حاجته ، يذكر في الخلوات خطيبته ، وأرسل على الوجنة عبرته ، وشكا إلى ربه غرته ، وسأله بالتوبة رحمته ، وطوبى لمن كان ذلك صفته ، وعلى الذنوب ندامته ، جثار الليل والنهار ، وبكاء إلى الله بالأسحار ، يتاجي الرحمن ، ويطلب الجنان ، ويخاف النيران .

إخوتاه . .

لو رأيتم أرباب القلوب والأسرار ، وقد أخذوا أهبة التعب في الأسحار ، وقاموا في مقام الخوف على قدم الاعتذار ، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ .

عقدوا عزم الصيام وما جاء النهار ، وسجنوا الألسنة فليس فيهم مهذار ، وغضوا أبصارهم ولازم غص الأبصار ، فانظر مدحهم إلى أين انتهت وصار ، أحزانهم أحزان تكلل مالها اضطبار ، ودموعهم لولا التحري لقلت كالأنهار ، ووجوههم من الخوف قد علاها الصفار ، والقلق قد أحاط بهم ودار ، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ .

جدوا في انطلاقهم إلى خلأقهم ، وراضوا أنفسهم بتحسين أخلاقهم ، فإذا بهم قد أذاهم كرب اشتياقهم ، أتدري ما الذي حبسك عن لحاقهم : حب الدرهم والدينار .

أيقظنا الله وإياكم من هذه السنة ، ورزقنا اتباع النفوس المحسنة ، وآتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ووقانا عذاب النار .

من أدعية السلف .. ومناجاتهم :

• **رَبِّ** ، ما أحْكَمَكَ وأمَجَدَكَ وأَجْوَدَكَ وأَرَأَفَكَ ، وأَرْحَمَكَ وأَعْدَلَكَ وأَقْرَبَكَ ، وأَقْدَرَكَ وأَقْهَرَكَ ، وأَوْسَعَكَ وأَقْضَاكَ ، وَأَيْنِكَ وَأَنُورَكَ وَالطَّفِكَ وأَخْبَرَكَ ، وأَعْلَمَكَ وأَشْكَرَ وأَحْلَمَكَ ، وأَحْكَمَكَ وأَعْطَفَكَ وأَكْرَمَكَ ..

• **رَبِّ** ، ما أَرْفَعَ حُجَّتَكَ وَأَكْثَرَ مِدْحَتَكَ ، **رَبِّ** ما أَبَيَّنَ كِتَابِكَ وَأَشَدَّ عِقَابِكَ ، **رَبِّ** ما أَكْرَمَ مَأَبِكَ وَحَسَنَ ثَوَابِكَ ، **رَبِّ** ما أَجْزَلَ عَطَاءِكَ وَأَجَلَ ثَنَاءِكَ ، **رَبِّ** ما أَحْسَنَ بِلَاءِكَ وَأَسْبَغَ نِعْمَاءَكَ ، **رَبِّ** ما أَعْلَى مَكَانِكَ وَأَعْظَمَ سُلْطَانِكَ ، **رَبِّ** ما أَمْتَنَ كَيْدَكَ وَمَا أَغْلَبَ مَكْرَكَ ، **رَبِّ** ما أَعَزَّ مَلِكِكَ وَأَتَمَّ أَمْرَكَ ، **رَبِّ** ما أَعْظَمَ عَرْشَكَ وَأَشَدَّ بَطْشَكَ ، **رَبِّ** ما أَوْسَعَ رَحْمَتِكَ وَأَعْرَضَ جَنَّتِكَ ، **رَبِّ** ما أَعَزَّ نَصْرَكَ وَأَقْرَبَ فَتْحَكَ ، **رَبِّ** ما أَعْمَرَ بِلَادَكَ وَأَكْثَرَ عِبَادَكَ ، **رَبِّ** ما أَوْسَعَ رِزْقَكَ وَأَزِيدَ شُكْرَكَ ، **رَبِّ** ما أَسْرَعَ فَرْجَكَ وَأَحْكَمَ صُنْعَكَ ، **رَبِّ** ما أَلْطَفَ خَيْرَكَ وَأَقْوَى أَمْرَكَ ، **رَبِّ** ما أَنُورَ عَفْوِكَ وَأَجَلَ ذِكْرِكَ ، **رَبِّ** ما أَعْدَلَ حَكْمَكَ وَأَصْدَقَ قَوْلَكَ ، **رَبِّ** ما أَوْفَى عَهْدِكَ وَأَنْجَزَ وَعْدَكَ ، **رَبِّ** ما أَحْضَرَ نَفْعَكَ وَأَتَقَنَ صُنْعَكَ ..

• **إِلَهِي** . تم نورك فهديت فلك الحمد ، عَظُمَ حِلْمُكَ فَغَفَرْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ ، بَسَطْتَ يَدَكَ فَأَعْطَيْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ ، رَبَّنَا وَجْهَكَ أَكْرَمُ الرَّجْوِ ، وَجَاهُكَ أَعْظَمُ الْجَاءِ ، وَعَظِيمَتُكَ أَفْضَلُ الْعَطِيَةِ وَأَمْنَاهَا ، تَطَاعَ رَبُّنَا فَتَشْكُرُ ، وَتَعْصِي فَتَغْفِرُ ، وَتَجِيبُ الْمَضْطَرَّ ، وَتُكْشِفُ الضَّرَّ ، وَتُشْفِي السُّقْمَ ، وَتَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَتَقْبَلُ التَّوْبَةَ ، وَلَا يَجْزِي بِأَلَاثِكَ أَحَدٌ ، وَلَا يَبْلُغُ مَدْحَكَ قَوْلُ قَائِلٍ .

• **إِلَهِي** .. يَا خَسَرَ التَّجَاوُزَ ، يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ ، وَسَتَرَ الْقَبِيحَ ، يَا مَنْ لَا يُوَاخِذُ بِالْجَرِيرَةِ ، وَلَا يَهْتِكُ السِّرَّ ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ ، يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ ، يَا صَاحِبَ كُلِّ نَجْوَى ، وَيَا مُسْتَهْنِ كُلِّ شَكْوَى ، يَا كَرِيمَ الصَّفْحِ ،

يا عظيم العن ، يا مبتدئا بالنعم قبل استحقاقها ، يا ربنا وسيدنا ومولانا ،
ويا غاية رغبتنا ، أسالك يا الله ، أن لا تشوي وجهي بالنار .

• **اللهم** ، أنت أحق من ذكر ، وأحق من عبد ، وأعظم من ابتغي ، وأراف
من ملك ، وأجود من سئل ، وأوسع من أعطى ، أنت الملك لا شريك لك ،
والفرد لا يند لك ، كل شيء هالك إلا وجهك ، لن تطاع إلا بإذنك ، ولن
تعصى إلا بعلمك ، تطاع فنشكر ، وتعصى فتغفر ، أقرب شهيد ، وأدنى
حفيظ ، خلقت دون النفوس ، وأخذت بالنواصي ، وكتبت الآثار ، ونسخت
الآجال ، القلوب لك مفضية ، والسر عندك علانية ، الحلال ما أحللت
والحرام ما حرمت ، والدين ما شرعت ، والأمر ما قضيت ، الخلق خلقك ،
والعبد عبدك ، وأنت الرؤوف الرحيم ، اللهم لا تحرمني خير ما عندك بسوء
ما عندي .

• **يا سيدي وأملي** ، ومن به تم عملي ، أعوذ بك من بدن لا يتصب بين
يديك ، وأعوذ بك من قلب لا يشاق إليك ، وأعوذ بك من دعاء لا يصل
إليك ، وأعوذ بك من عين لا تبكي عليك .

• يا من أنسي بقربه ، وأوحشي من خلقه ، وكان عند مسرتي ، أرحم
اليوم غبرتي .

• شهد لك قلبي في النوازل بمعرفة الفضل لك ، وكيف لا يشهد لك قلبي
بذلك ، ولا يحسن بقلبي أن يالف غيرك ، هيهات ، لقد خاب لديك
المقصرون .

• **إلهي** ، أصبحت وأمسيت وقلبي مُصِرٌّ على حبك سيدي ، ومشتاق إلى
لقائك ، فعجل بذلك قبل أن يأتيني سواد الليل .

• قام البطالون وثقت معهم ، قمنا إليك ونحن ممرضون لجودك ، فكم من ذي جرم قد صفحت له عن جرمه ، وكم من ذي كرم عظيم قد فرجت له عن كرمه ، وكم من ذي ضر كبير قد كشفت له عن ضره ، فبغزلك ما دعانا إلى مسألتك بعدما انظرينا عليه من محبتك إلا الذي عرفتنا من جودك وكرمك ، فأنت المؤمل لكل خير ، والمرجو عند كل نائبة .

• **سيدي** .. قصدك عبدٌ روحه لديك ، وقيادته بيدك ، واشتياقه إليك ، واحسرتاه عليه ، ليله أرق ، ونهاره قلق ، وأحشاؤه تحترق ، ودموعه تستبق ، شوقاً إلى رؤيتك ، وحنيناً إلى لقاءك ، ليس له راحة دونك ، ولا أمل غيرك .

• **سيدي** .. أحلى العطايا في قلبي رجائك .. وأعذب الكلام على لساني ثناؤك .. وأحب الساعات إلي ساعة يكون فيها لقاءك .

• **إلهي** .. أخلقت الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح للسائلين ، غرات النجوم ، ونامت العيون ، وأنت الحريء الفيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، إلهي .. فرشت الفرش ، وخللا كل حبيب بحبيبه ، وأنت حبيب المنهجدين وأنيس المستوحشين ..

• **إلهي** .. إن طردتني عن بابك فلإني باب من الشجي ، وإن قطعني عن خدمتك فخدمة من أرغبي ..

• **إلهي** .. إن عذبتني فلإني مستحق العذاب والنقم ، وإن عفوت عني فأنت أهل الحود والكرم ، يا سيدي لك أخلص العارفون ، وفضلك نحا الصالحون ، وبعثك أناب المقصرون ، يا جيل العفو ، أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك ، وإن لم أكن أهلاً لذلك ، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة .

• **إلهي** .. أنت الذي خلقتني ، وفي الرحم صورتني ، فرحمني إلهي ،

فكما منت عليّ بالإسلام ؛ فامن عليّ بطاعتك ، وبترك معاصيك أبدًا
ما أبقيتني ولا بسرائري ، ولا تحذلني بكثرة فضائحي ..

• **سبحانك خالقي** .. أنا الذي لم أزل لك عاصيًا ، فمن أجل خطيئتي
لا تفر عيني ، وهلك إن لم تعف عني ..

• **سبحانك خالقي** .. بأي وجه القاك ، وبأي قدم أقف بين يديك ، بأي
لسان أناطقك ، بأي عين أنظر إليك ؟ ، وأنت قد علمت سرائر أمري ، وكيف
أهتدر إليك إذا ختمت عليّ لساني ، ونطقت جوارحي بكل الذي قد كان
مني !!

• **سبحانك خالقي** .. فأنا تائب إليك ، فاقبل توبتي ، واستجب دعائي ،
وارحم شبابي ، وأقلني عثرتي ، وارحم طول غربتي ، ولا تفضحني بالذي
قد كان مني ..

• **سبحانك خالقي** .. أنت غياث المستغيثين ، وقرّة أعين العابدين ،
وحبيب قلوب الزاهدين ، فإليك مستغاثي ومنقضي ، فارحم شبابي ، واقبل
توبتي ، واستجب دعوتي ، ولا تحذلني بالمعاصي التي كانت مني ..

• **إلهي** .. علمتني كتابك الذي أنزلته عليّ رسولك محمد ﷺ ، ثم وقعت
عليّ معاصيك وأنت تراني ، فمن أشق مني إذ عصيتك وأنت تراني ، وفي
كتابك المنزل قد نهيتني ، **إلهي** ، أنا إن ذكرت ذنوبي ومعصيتي لم تفر عيني
للذي كان مني ؛ فأنا تائب إليك فاقبل ذلك مني ، ولا تجعلني لنار جهنم
وقودًا ..

• **اللهم** .. نور دنيانا بنور من توفيقك ، واقطع أيماننا في الاتصال بك ،
وانظم شتاتنا في سلك طاعتك ، عجبًا لمن عرفك ثم أحب غيرك ، ولمن

سمع مناديك ثم تأخر عنك ، **إلهي** ، لا تعذب نفسك قد عذبها الخوف منك . .
ولا تخرس لسانا كل ما يروى عنك . . ولا تُقذ بصراً طالما يبكي لك . .
ولا تحيب رجاء وهو منوط بك .

• **إلهي** . . ضع في ضعفي قوة منك ، ودع في كفي كفي عن غيرك ،
ارحم عبدة تترقق على ما فاتها منك ، برّد كبدًا تحترق على بعدها عنك .

• **إلهي** . . عرفتنا بربوبيتك ، وأغرقنا في بحار نعمتك ، ودعوتنا إلى دار
قدسك ، ونعمتنا بذكرك وأنسك .

إلهي ، إن ظلمة ظلمنا لأنفسنا قد عمت ، وبحار الغفلة على قلوبنا قد
طمت ، فالعجز شامل ، والحصر حاصل ، والتسليم أسلم ، وأنت بالحال
أعلم .

• **إلهي** . . ما عصيناك جهلاً بعقابك ، ولا تعرضاً لعذابك ، ولكن سولت
لنا نفوسنا ، وأعانتنا شقوتنا ، وغرنا سترك علينا ، وأطمعنا في عفوك برك بنا ،
فالآن من عذابك من يستنقذنا ؟ ، ويحيل من نعتصم إن قطعت حبلك عنا ؟ ،
واخجلنا من الوقوف غداً بين يديك !! ، وافضيحتنا إذا عرضت أعمالنا
القيحة عليك !! ، اللهم اغفر ما علمت ، ولا تهتك ما سرت .

• **إلهي** . . إن كنا عصيناك بجهل ، فقد دعوناك بعقل ، حيث علمنا أن لنا
رباً يغفر الذنوب ولا يبالى . .

يا من أقام لي غرس ذكرى ، وأجرى لي أنهاراً تجري ، وجعل لي أيام عيد
في اجتماع الوري ، وأقام لي فيهم أسواق التقوى ؛ أقبلت إليك معتمداً
عليك ، محتلى القلب من رجائك ، ورطب اللسان من دعائك ، في قلبي من
الذنوب زفرات ، ومعى عليها ندامات ، إن أعطيتني قبلت ، وإن منعتني

رغبت ، وإن تركتني دعوت ، وإن دعوتني أجبت ، فأعطني إلهي ما أريد ،
فإن لم تعطني ما أريد ؛ فأرزقني الصبر على ما تريد .

• **اللهم** ، ارحم غربتي في الدنيا ، وارحم مصرعي عند الموت ، وارحم
قيامي بين يديك .

• **اللهم** ، إن خطيئي تعذبتني ، وتوبيي تذبوني ؛ فعيشني طول وعري بين
تعذيب وتذويب .

• **واسألك** منك ، إذا شاهدتني وحميتي تسبق إلى سواك ، أم كيف لا أهني
في طلب رضاك .

• **إلهي** . . ما أشوقني إلى لقاءك ، وأعظم رغبتني لجزائك ، وأنت الكريم
الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ، ولا يبطل عندك شوق المشتاقين .

• **إلهي** . . إن كان دنا أجلي ولم يقربني منك عملي ، فقد جعلت الاعتراف
بالذنب وسائل علي ، فإن عفوت فمن أولئك منك بذلك ؟ ، وإن عدلت فمن
أعدل منك هنالك ؟ .

• **إلهي** . . قد جرت على نفسي بالنظر لها ، وبقي لها حسن نظرك ، فالويل
لها إن لم تسدعها .

• **إلهي** . . إنك لم تزل هي براء أيام حياتي ، فلا تقطع عني برك بعد مماتي ،
ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي بإحسانه أن يسمفني عند مماتي بنفرائه .

• **إلهي** . كيف أياش من حسن نظرك بعد مماتي ، ولم تولني إلا الجميل
في حياتي .

• **إلهي** . إن كانت ذنوبي قد أخافتني ، فإن محبتي لك قد أجارتني ، فتول
من أمري ما أنت أهله ، وحُد بفضلك على من غره جهله .

• **إلهي ..** لو أردت إهانتني لما هديتني ، ولو أردت فضيحتني لم تسترني ،
فمتعني بما له هديتني ، وأدم لي ما به سترتني .

• **اللهم ،** يا واسع المغفرة ، ويا باسط اليدين بالرحمة ، افعل بي ما أنت
أهله .

• **إلهي ..** أذنبت في بعض الأوقات ، وأمنت بك في كل الأوقات ، فكيف
يغلب بعض عمري مذنباً جميع عمري مؤمناً ؟!

• **إلهي ..** لو سألتني حسناتي لجعلتها لك مع شدة حاجتي إليها ، وأنا
عبد ، فكيف لا أرجو أن تهب لي سيئاتي مع غناك عنها ، وأنت رب ؟! ، فيا
من أعطانا خير ما في خزائنه ، وهو الإيمان به قبل السؤال ، لا تمنعنا أوسع ما
في خزائتك ، وهو العفو مع السؤال .

• **إلهي ..** حاجتي حاجتي ، وعدتي فاقتي ، فارحمني .

• **إلهي ..** كيف أمتع بالذنوب من الدعاء ، ولا أراك تمتع مع الذنب من
العطاء ؟! ، فإن غفرت فخير راحم أنت ، وإن عذبت فغير ظالم أنت .

• **إلهي ..** أسالك تذلاً ، فأعطني تفضلاً .

• **اللهم ،** اجعل طاعتك همي ، وقو عليها جدي ، وسخ نفسي عن
الدنيا ، واشغلني بما ينفعني ، وبارك لي في قواها حتى ينقضي مني حالي ،
وامن علي وارحمني ، حين تعيد بعد الموت خلقي ، ومن سوء الحساب
فعافني ، يوم تبعثني فتحاسبني ، ولا تعرض عني ، يوم تعرضني بما سلف من
ظلمي وجرمي ، وأمني يوم الفرع الأكبر ، يوم لا تهمني إلا نفسي ، وارزقني
نفع عملي ، يوم لا ينفعني عمل غيري ، وكما منتت علي بالإسلام فامن علي
بطاعتك ، وبترك معاصبك أبداً ما أبقيتني ، ولا تفضحني بسرائري ، ولا تحذلني
بكثرة فضائحي .

• **سبحانك خالقى** ، أنا تائب إليك فاقبل توبتي ، واستجب دعائى ، وارحم شبابى ، وأقبل عثرنى ، وارحم طول عبرتى ، ولا تفضحنى بالذى قد كان منى ، سبحانك خالقى ، أنت غياث المستغيثين ، وقرّة أعين العابدين ، وحبيب قلوب الزاهدين ، فاليك مستغاثى ومقطعى ، فارحم شبابى ، واقبل توبتى ، واستجب دعوتى ، ولا تحذلنى بالمعاصى التى كانت منى ، ولا تجعلنى لنار جهنم وقوداً ، بعد توحيدى وإيمانى بك .

• **اللهم** . وسيلتى إليك : نعمك علتى ، وشفيعى إليك : إحسانك إلتى ، **اللهم** ، إليك تقصد رغبتى ، وإياك أسأل حاجتى ، ومنك أرجو نجاح طلبتى ، ويديك مفاتيح مسألتي ، لا أسأل الخير إلا منك ، ولا أرجوه من غيرك ، ولا أياأس من روحك بعد معرفتى بفضلك ، يا من جمع كل شيء بحكمته ، ويا من نفذ في كل شيء حكمه ، يا من الكريم اسمه ؛ لا أحد لي غيرك فأسأله ، ولا أثق بسواك فأمله ، ولا أجعل لغيرك مشيئة من دونك أعتصم بها ، واتوكل عليه ، فمن أسأل إن جهلتك ؟ ، وبمن أثق بعد إذ عرفتك ؟

• **اللهم** ، إن تقنى بك ، وإن ألهمتني الغفلات عنك وأبعدتني العثرات منك بالاغترار ، أنا نعمة منك أجري في نعمك ، لا أزداد على سابقة علمك ، ولا أنتقص من عزيمة أمرك ، فأسألك يا متتهن السؤالات ، وأرغب إليك يا موضح الحاجات ، سؤال من قد كذب كل رجاء إلا منك ، ورغبة من رغب عن كل ثقة إلا عنك ، أن تهب لي إيماناً أقدم به عليك ، وأوصل به عظم الوسيلة إليك ، وأن تهب لي يقيناً لا توته بشبهة إفاك ، ولا توته خطرة شك ، ترحب به صدري ، وتيسر به أمري ، ويأوي إلى محبتك قلبي ، حتى لا ألهو عن شكرك ، ولا أنعم إلا بذكرك .

• يا من لا تُملّ حلاوة ذكره ألسن الخائفين ، ولا تكل من الرغبات إليه

مدامع الخاشعين ، أنت متهم سرائر قلبي في خفايا الكتم ، وأنت موضع رجائي بين إسراف الظلم ، من ذا الذي ذاق حلاوة مناجاتك فلها بمرصاة بشر عن طاعتك ومرضاتك ؟ يا من بعصر وكتاب إليه ، فريض كأنه لم يعصر ، بكرم لا يوصف ، وتحن لا ينبت ، يا حنانا بشفقتك ، يا متجاوزا بعظمتك ، لم يكن لي حول فأنقل عن معصيتك إلا في وقت أيقظتني فيه لمحبتك ، خضعت لك وخشعت لك إلهي لتعزني بإدخالني في طاعتك ، ولتنتظر إلي نظر من ناديت فأجابك ، واستعملت بمعورتك فأطاعك ، يا قريب ، لا تبعد عن المغترين ، يا ودود ، لا تعجل على المذنبين .

• **اللهم** ، استعملنا بسنة نبينا ، وتوفنا على ملكه ، وأوزعنا بهديه ، وارزقنا مرافقته ، وعرفنا وجهه في رضوانك والجنة ، اللهم خذ بنا إلى سبيلك وسنته ، نعوذ بك أن نخالف سنته وسبيله ، اللهم أقر عينه بمن يتبعه من أمته ، واجعلنا منهم ، وأوردنا حوضه ، واسقنا مشربا رويًا لا نظما بعده أبدا ، اللهم الحقنا بنينا غير خزايا ولا نادمين ، ولا خارجين ولا فاسقين ، ولا مبدلين ولا مرتابين ، واجعلنا من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

• **إلهي** .. إن كان صفر في جنب طاعتك عملي ، فقد كبر في جنب رجائك أملی .

• **إلهي** .. كيف أنقلب من عندك محروما وقد كان حسن ظني بك منوطا ١٢٤ .

• **إلهي** .. فلا تبطل صدق رجائي لك بين الآدميين .

• **إلهي** .. إن كانت أسفطنتي الخطايا من مكارم لطفك ، فقد آنسني اليقين إلى مكارم صفتك .

• **إلهي** . . إن أمتنتني العقلة من الاستعداد للقاءك ، فقد نهشتي المعرفة لكرم
آلائك .

• **إلهي** . . إن دعائي إلى النار أليم عقابك ، فقد دعائي إلى الجنة جزيل
ثوابك .

• **اللهم** ، اجعلنا من الذين تفكروا فاعتبروا ، ونظروا فأبصروا ، وسمعوا
فتعلقت قلوبهم بالمنازعة إلى طلب الآخرة ، حتى أناخت وانكسرت عن النظر
إلى الدنيا وما فيها ، ففتقوا بنور الحكم ما رنقه ظلم العقلات ، وفتحوا أبواب
مغاليق العمى بأنوار مفاتيح الضياء ، وعلموا محاسن الذاكرين بحسن مواظبة
استيلاء الشاء ، **اللهم** ، اجعلنا من الذين ترأست عليهم ستور عصمة الأولياء ،
وحضت قلوبهم بطهارة الصفاء ، وزيتها بالفهم والحياء ، وطيرت همومهم في
ملكوت سمواتك حجابًا حتى تسهي إليك ، فرددتها بظرائف الفوائد ، **اللهم**
اجعلنا من الذين سهل عليهم طريق الطاعة ، وتمكنوا في أزمنة التقوى ، ومنحوا
بالتوفيق منازل الأبرار ، فزبنوا وقربوا وكرموا بخدمتك .

لك الحمد يا ذا المن والطول والآلاء والسعة ، إليك نوجهنا ، وبفنائك
أنحنا ، ولمعروفك تعرضنا ، وبقربك نزلنا ، يا حبيب الثائبين ، يا سرور
العابدين ، يا أنيس المنفردين ، يا حرز اللاجئين ، يا ظهر المتقطعين ، يا
من حبب إليه قلوب العارفين ، وبه أنست أفئدة الصديقين ، وعليه عطقت رهبة
الخائفين ، يا من أذاق قلوب العابدين لذيق الحمد ، وحلاوة الانقطاع إليه ، يا
من يقبل من تاب ويعفو عن أناب ، ويدعو المولئين كرمًا ، ويرفع العقيلين إليه
تفضلًا ، يا من يتأمن على الخاطئين ، ويحلم عن الجاهلين ، وبنا من حل عقدة
الرغبة من قلوب أوليائه ، ومحا شهوة الدنيا عن فكر قلوب خاصته وأهل
محبه ، ومنحهم منازل القرب والولاية ، وبنا من لا يضيع مطيعًا ، ولا ينسى

صبيًا ، وبا من منح بالنوال ، وبا من جد بالاتصال ، يا ذا الذي استدرك بالتوبة
ذنوبنا ، وكشف بالرحمة غمومنا ، وصلى عن جرمنا بعد جهلنا ، وأحسن إلينا
بعد إساءتنا ، يا أنس وحشتنا ، ويا طيب سقمنا ، يا غياث من أسقط يده ،
وتمكن جبل السماصي من رقبته ، وأسفر خفُّ الحيا عن وجهه ؛ عجب لنا رحمة
منك وعافية بين يديك ، يا خير من قصر ، وأرأف من رحم وعفا .

• **الهي** . . فلاني أعتز لك اللهم بما دل عليه صنعك ، وشهد لك فعلك ،
فهب لي اللهم تطلب العزيمة إليك ؛ لأن من لم يشبعه الولوع باسمك ؛ ولم
يروه من ظمئه ورود غدران ذكرك ، ولم ينسه جميع الهموم رضاه عنك ، ولم
يله عن جميع الملامح تعدد آلائك ، ولم يقطعه عن الأنس بغيرك مكانه منك ؛
كانت حياته ميتة ، وميته حسرة ، وسروره حُصّة ، وأنسه وحشة .

• **الهي** . . عرفني عيوب نفسي ، وافضحها عندي لأتضرع إليك في التوفيق
للتزهد عنها ، واهتدل إليك بين يديك خاضعًا ذليلًا في أن تخلصني منها ،
واجعلني من عبادك الذين شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم ، تجول في ملكوتك
وتتفكر في عجائب صنعك ، ترجع بفوائد معرفتك وعوائد إحسانك ، قد
ألبسهم خُلْعَ محبتك ، وخلعت عنهم لباس التزين لغيرك .

• **الهي** . . لا تترك بيني وبين أقصى مرادك حجابًا إلا هتكته ، ولا حاجزًا
إلا رفعتَه ، ولا زَغْرًا إلا سهلتَه ، ولا بَلِيًّا إلا فتحتَه ، حتى تقيم قلبي على الحق
في معرفتك ، وتديقني طعم محبتك ، وتبرد بالرضا منك فؤادي وجميع
أحوالي ؛ حتى لا أختار غير ما تختاره ، وتجعل لي مقامًا فسيحًا في ميدان
طاعتك .

• **الهي** . . كيف استرزق من لا يرزقني إلا من فضلك ١٢ ، أم كيف
استخطك في رضا من لا يقدر على ضري إلا بتمكينك ١٣ ، فيا من أسأله إني أنا

به وإيحاشاً من خلقه ، ويا من إليه التجائي في شدتي ورجائي ؛ ارحم غربتي ،
وهب لي من المعرفة ما أزداد به بقيتاً ، ولا تكلني إلى نفسي الأمانة بالسوء
طرفة عين .

• إلهي .. لو أصبت مؤثلاً في الشدائد غيرك ، أو ملجأ في المنازل سواك ،
لحق لي أن لا أعرض إليه بوجهي عنك ، ولا أختاره عليك ؛ لقديم إحسانك
إلي وحديثه ، وظاهر منك علي وباطنها ، ولو تقطعت في البلاد إرباً إرباً ،
وانصبت علي الشدائد صبا صبا ، ولا أجد مشكن غيرك ، ولا مفرجاً لما بي
عني سواك ، فيا وارث الأرض ومن عليها ، ويا باعث جميع من فيها ؛ ورث
ألمي فيك مني ألمي ، وبلغ همي فيك متهم وسائلي .

نعم إخوتاه :

هذه أدعية سلفنا .. ما أطيبها .. ما أرقها .. ما أطيب أملهم في
المناجاة ، ما أقربهم من طريق النجاة ، ما أقل ما تعبوا ، وما أيسر ما نصبوا ،
وما كان إلا القليل ثم نالوا ما طلبوا ، لو ذاق الغافل شراب أنيسهم في الظلام ،
أو سمع الجاهل صوت حنينهم في القيام ، وقد نصبوا لما انتصبوا له الأقدام ،
وترنموا بأشرف الذكر وأحلى الكلام ، وضربوا على شواطئ أنهار الصدق
الخيام ، وركزوا على باب اليقين بالحق الأعلام ، وزموا مطايا الشوق إلى دار
السلام ، وسارت جنود حبهم والناس في الغفلة نيام ، وشكوا في الأسحار ما
يلقون من وقع الغرام ، ووجدوا من لذة الليل ما لا يخطر على الأوهام ، وإذا
أسفر النهار تلقوا بالصيام ، وصابروا الهواجر بهجر الشراب وترك الطعام ،
وتدرعوا دروع التقى خوفاً من الزلل والآثام ، فنورهم يُخجلُ شمس الضحى
ويُزري بندر التمام ، فلاجلهم ثبت الأرض ، ومن جرأهم يجري القمام ، وبهم

يُسَامَحُ الْخَطَاةُونَ وَيُصْفَحُ عَنْ أَهْلِ الْإِجْرَامِ ، فَإِذَا نَازَلَهُمُ الْمَوْتُ طَلَبَ لَهُمْ
كَأْسُ الْحَمَامِ ، وَإِذَا دَفَنُوا فِي الْأَرْضِ فَخُتَتْ بِحِفْظِهَا تِلْكَ الْعِظَامُ ؛ فَعَلَى الدُّنْيَا
إِذَا مَاتُوا مِنْ بَعْدِهِمُ السَّلَامُ .



فَكُلِّجْ رَمَضَانَ

قِنَاعِ الْفَوَائِدِ وَالْعَنَاءِ وَالْعَمَارِ

وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى

الْأَدْوِيَةِ الرَّمَضَانِيَةِ

وداع رمضان

أيها الإخوة.. أنا أحبكم في الله..

ها هو الضيف الكريم يلوح بالرحيل ، تمضي أيامه مسرعة وكأنها حلم جميل .

فأيها الضيف الكريم على رسلك ؟ فقلوبنا لازالت مشتاقة إلى وضيئك .
انتظر.. . تمهل فما أجل مقامك ، وما أحلى أيامك .. وما أمتع صيامك !!
لقد ذقنا فيك لذة في غيرك ما ذقناها ، لقد عشنا فيك عيشة في غيرك
ما عشناها!

فكيف ترحل عنا بعد أيام لنا حلوة قضيناها ١٤ ، إن رحيلك عنا مصيبة أبداً
لن ننساها.. .

ولكن تلك مقادير ربي قدرها وسواها ، فאלلهم أجرنا في مصيبتنا يا رب.. .

إخوتاه..

ولت أيام رمضان مسرعة ، ولم يبقَ منه إلا أيام قلائل ، ووجب علينا
التنبه ، والتوبة لما فات ولما بقي .. بقي إخوتاه عشرة أيام .. فانتبهوا فسوف
تمر هي الأخرى كلمح البصر .

ألا فشمروا عن ساعد الجد في هذه العشر ، واهجروا لذيق العنام ، واقتدوا
بنيكم ﷺ ، فقد كان يخص العشر الأواخر بأعمال لا يعملها في بقية الشهر ؛
يخصها بالاعتكاف والقيام ، والاختسال كل ليلة بين العشاءين ، والتنظيف
والنطيب ، وإحياء الليل كله ، فمن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ

يجتهد في رمضان مالا يجتهد في غيره ، وفي العشر الأواخر منه مالا يجتهد في غيره^(١) ، وروى عنه عليه السلام أنه «كان يخلط العشرين الأول بصلاة ونوم ، فإذا دخل العشر ؛ لم يَلُقْ غَمَضًا»^(٢) ، طوى فراشه ، واعتزل نسائه ، وأحيا ليله ، واجتهد في دعاء ربه .

وقد كان السلف إذا دخلت العشر ؛ رفعوا الهمة إلى منتهاها ، وبذلوا كل الطاقة ، وكيف لا والعشر هي آخر السباق .

قال طلحة بن عبيد الله : إن الخيل إذا قاربت رأس مجراها ؛ أخرجت كل ما عندها .

فالسعيد من اغتم موسم العمر قبل ذهابه ، وحاسب نفسه قبل قراءة كتابه ، وراقب مولاه مراقبة من يعلم أنه يراه في ذهابه وإيابه .

فينبغي إخوتاه أن تراعي هذا الفضل مدة صمرنا ، ولا نضيع هذه الليالي المباركات ، التي أخبر النبي ﷺ قطعاً أن ليلة القدر فيها ؛ فلعل أحدنا يكون قد مات قبل أن يدرك العشر الأواخر في العام القادم : ﴿أَنْ تَقُولَ نَقَرٌ بِحَضْرَتِكَ عَلَى مَا قَرِطُ فِي جَنِّبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَيْنَ التَّيْرِينَ ۝﴾ أو تقول لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [الزمر: ٥٦-٥٧] ، أو تقول : ﴿يَلَيْسَتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣] .

إخوتاه . . .

اللَّهُ سبحانه وتعالى يقول : ﴿رَسَّارِعُوا إِنَّ مُمْغِرَةً مِنْ رِيحِكُمْ وَجَّتُو عَنْهَا السَّحَابَ وَالْأَرْضَ أَغَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [ال عمران: ١٣٣] .

اللَّهُ سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] .

(١) أخرجه مسلم (١١٧٥) . (٢) ضعفه ابن حجر في «اللسان» (٣٨١/٤) .

وهذه الأيام في آخر الشهر نحتاج للمناقشة حتى يستطيع الإنسان الحصول على أعلى الدرجات ، ونحتاج إلى المسارعة بل ومساابقة الأنفاس لأنها تمر مر السحاب ، وكل لحظة مرت لا تعود ولا تعوض ؛ فسابق أخى الحبيب أجلك ، وأدرك رضا الله بعملك ، واشحذ همتك ؛ فهذا أوان جدك .

وظائف آخر الشهر :

أولاً : رقة صادقة مع الله ومع النفس :

لا بد أيها الإخوة من رقة صادقة دون كذب أو خداع أو مواربة ، لم يبق من الشهر إلا القليل فماذا أنت صانع فيه ؟

في هذه الرقة تنظر قلباً وبعد تفرغ تام :

- هل أدت العبادات على وجهها ؟
- هل عشت رمضان حقيقة كما يحب ربنا ويرضى ؟
- هل ذاق قلبك طعم العبادات ؟
- هل حصلت التقوى المنشودة المفصودة من وراء هذا الصيام ؟
- هل تلوّث القرآن وسعته وأحيا الله به مَوَات قلبك ؟
- هل تغير البيت وتحول نمط الحياة عندك فصرت عبداً ربانياً ؟
- هل أحسست بتغيير فعلي في قلبك فرأيت نوراً جليداً ؟
- هل بعد هذا التغيير عازم على ثبات فلن تعود إلى المعاصي ؟
- هل تظن بعد هذه الليالي الطويلة أنك قد أعتقت ربّك من النار ؟
- هل بعد كل تلك الليالي وفيها من فرص المغفرة ما فيها ؛ تظن أنك قد غفر لك ما تقدم من ذنبك ؟

أيا الحبيب المحب ، لا تجامل . . ولا تتجاهل . .

قف وقفة صادقة واسنن بالله على نفسك واصدقني ، لا : بل اصدق الله
بصدقك وأجب عن الأسئلة ، وما زالت أمامك فرصة ، هيا ركز في الأيام الباقية
واعمل عمل رجل يهد أن يستدرك ما فات .

هيا انطلق وتخلص من قيودك ، وتبرأ من صوبك ، والنمس رضا ربك . .
هيا اعمل ودعك من الكسل ، وودع الأمل ، وسارع الأجل ، ولا تترك
فرصة للعمل إلا وعملت بها . .

اعتكف كل الباقي ، وداوم على العبادة ، واجتهد في البكاء وطلب
العفو . .

أيا الإخوة . . كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله
وإتقانه ، ثم يتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ
يُؤْتُونَ مَّا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

قال علي بن أبي طالب : كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل ،
الم تسمعون الله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّا نَقْبَلُ أَهْلَهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ،
انت قد عملت ، ولكن هل قبل منك ؟ ، هذا هو الأخطر ، قبول العمل ،
فكم من عمل يتقنه صاحبه ويحسبه ويزينه ثم يرده الله عليه ولا يقبله ، وذلك
بسوء نية صاحبه ، اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم .

لذلك قال بعض السلف : الخوف على العمل ألا يتقبل أشد من العمل ، وقال
عبد العزيز بن أبي رواد : أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح ، فإذا فعلوه وقع
عليهم الهم أيقبل منهم أم لا ، هذا هو قلق السلف وفهمهم ، فكم من مغرور بعمله
وليس له منه شيء ، كم من معجب بصلاته وليس له فيها حسنة !!

ولذلك خرج عمر بن عبد العزيز على الناس في يوم عيد الفطر ، فقال في خطبته : أيها الناس ، إنكم صمتُم لله ثلاثين يومًا ، وقمتُم ثلاثين ليلة ، وخرجتم اليوم تطلبون من الله أن يتقبل منكم . . فإلهم تقبل منا يا رب . وكان عبد الله بن مسعود يقول في آخر ليلة من رمضان : من هذا المقبول منا فنهيه ، ومن هذا المحروم منا فتمزيه ، أيها المقبول هنيئًا لك ، أيها المردود جبر الله مصيبتك .

فيا أرباب الذنوب العظيمة ، الغنيمة الغنية ، في هذه الأيام الكريمة ، فما منها جوهْر ولا قيمة ، فمن يعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة ، والمنحة الجسيمة ، يا من اعتقه الله من النار ، إياك أن تعود بعد أن صرت حرًا إلى رِق الأوزار ، أيعذك مولاك عن النار وتقترب منها !! ، وينقذك منها وأنت ترقع نفسك فيها ولا تحيد عنها !! . ويا أيها العاصي ، لا تقنط من رحمة الله بسوء أعمالك ، فكم يعتق من النار في هذه الأيام من أمثالك ؛ فأحسن الظن بمولاك وتب إليه ؛ فإنه لا يهلك على الله إلا هالك .

ثانيًا : ملازمة الاستغفار :

أيها الإخوة ، لقد رأيت أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بعد الحج بالاستغفار فقال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفْكَرَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا إِنَّهُ لَبِكَ اللَّهُ هَظُورٌ رَجِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩٩] ، وذكر الله عن العابدين المتجهدين أنهم كانوا يختمون صلاتهم بالاستغفار ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ ۚ ﴿١٧﴾ رَّبَّ الْأَضَلِّ هُمْ يَسْتَفِيرُونَ ﴾ [الدريث : ١٧-١٨] .

قال الحسن : مدُّوا الصلاة إلى السَّحَرِ ثم جلسوا يستغفرون .

وكان من هدي النبي محمد ﷺ إذا انتهت من الصلاة أن يستغفر ثلاثًا فيقول : استغفر الله . . استغفر الله . . استغفر الله . .

لذلك نقول : أكثر من الاستغفار في نهاية صيامك ، استغفر الله كثيراً توفق ما انفتق من صيامك .

كان بعض السلف إذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه ، سبحانه الله ، إنا كان هذا حال السلف الذين أحسنوا عبادتهم وأتقوها وأخلصوا فيها ، فكيف حال المبشرين مثلنا في عباداتهم !! وقال عمر بن عبد العزيز في كتابه إلى الأمصار بمناسبة آخر رمضان : قولوا كما قال أبوكم آدم : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَوْ تَضَيَّرْنَا وَرَحِمْنَا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ [الأعراف : ٢٣] ، وقولوا كما قال نوح عليه السلام : ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي أَهْلُكُنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [هود : ٤٢] ، وقولوا كما قال موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [التقصير : ١٦] ، وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَخَّرْنَاكَ إِنَّا هَكَكَتُ مِنْ الظُّلُمَاتِ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : الغيبة تخرق الصيام والاستغفار يرقعه ، فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مرقع فليعمل .

وعن ابن المنكدر قال : الصيام جُئْتُهُ من النار ما لم يخرقها ، والكلام السوء يخرق هذه الجُئْتُهُ ، والاستغفار يرقع ما تخرق منها .

فصيامنا هذا يحتاج إلى استغفار نافع ، وعمل صالح له شافع ، كم نخرق صيامنا بسهام الكلام ، ثم نرقعه وقد اتسع الخرق على الراقع ، كم نرقع خروقه بمخيط الحسنات لم نقطعه بحسام السمات القاطع .

يا رب ، أرحم من حسناته كلها سيئات ، وطاعاته كلها خفلات .

وقريب من هذا أمر النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها في ليلة القدر بسؤال العفو : فإن المؤمن يجتهد في شهر رمضان في صيامه وقيامه ، فإذا قرب فراغه وصادف ليلة القدر لم يسأل الله تعالى إلا العفو كالسيء المقصر .

كان صلةً بنُ أشنيم يُحيي الليل ثم يقول في دعائه عند السحر : اللهم إني أسألك أن تجبرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة ؟!

انفع الاستغفار ما قارنته التوبة وهي حل عقدة الإصرار ، فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود ، وعزمه أن يرجع إلى المعاصي بعد الشهر ؛ فمردود ، وباب القبول عنه مسدود ، قال كعب : من صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر بعد رمضان أنه لا يعصي الله ؛ دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب ، ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان عصي ربه فصيامه عليه مردود .

عباد الله . . شهر رمضان قد أوشك على الانتهاء ، فمن منكم حاسب نفسه فيه لله وانتصف ، من منكم قام في هذا الشهر بحقه الذي عَرَفَ ، من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبني له فيها غرماً من فوقها غرف ، ألا إن شهركم قد أخذ في النقص ؛ فزيدوا أنتم في العمل فكأنكم به وقد انصرف ، فكل شهر عسى أن يكون منه خلف ، وأما شهر رمضان فمن أين لكم منه خلف ؟!

ثالثاً : سؤال الله العفو ، والتركيز على هذا السؤال ، والاتشغال بذلك :

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ : أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها ؟ ، قال : «قولي اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني»^(١) .

العفو من أسماء الله تعالى ، وهو يتجاوز عن سيئات عباده ، الماحي لآثارها عنهم ، وهو يحب العفو فيحب أن يعفو عن عباده ، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض ، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه ، وعفوه

(١) أخرجه أحمد (١٧١/١) ، وصححه الألباني (٣٣٣٧) في «الصحيحة» .

أحب إليه من عقوبته ، وكان النبي ﷺ يقول : «أعوذ برضاك من سخطك
وبمعافاتك من عقوبتك»^(١) .

قال يحيى بن معاذ : لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه ؛ لم يتل بالذنب
أكرم الناس عليه ، يشير إلى أنه ابتلي كثيرا من أوليائه وأحبابه بشيء من
الذنوب ، ليعاملهم بالعفو فإنه يحب العفو ، قال بعض السلف الصالح : لو
صلحت أحب الأعمال إلى الله تعالى ، لأجهدت نفسي فيه ، فرأى قائلًا يقول له
في منامه : إنك تريد ما لا يكون ، إن الله يحب العفو ، أن يعفو ، وإنما أحب
أن يعفو ، ليكون العباد كلهم تحت عفوه ، ولا يُدَلُّ أحدٌ منهم بعمل .

وقد جاء في حديث ابن عباس مرفوعًا أن الله ينظر ليلة القدر إلى المؤمنين
من أمة محمد ﷺ فيعفو عنهم ويرحمهم إلا أربعة : مدمن خمر ، وعاقا ،
ومشاحنًا ، وقاطع رحم .

لما عرف العارفون بجلاله خضعوا ، ولما سمع المذنبون بعفوه طمعوا ،
ما ثم إلا عفو الله أو النار ، لولا طمع المذنبين في العفو لاحتزقت قلوبهم
باليأس من الرحمة ، ولكن إذا ذكرت عفو الله استروحت إلى برد عفوه .

كان بعض المتقدمين يقول في دعائه : اللهم إن ذنوبي قد عظمت ، فجلت
عن الصفة ، وإنها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني .

وقال آخر منهم : جرمي عظيم ، وعفوك كثير ، فاجمع بين جرمي وعفوك يا
كريم . . اللهم اعف عنا .

يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر ، أكبر الأوزار في جنب عفو الله
يصفر ؛ وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي

ليالي العشر ، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ، ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحاً ولا حالاً ولا مقالاً ، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال الملئب المقصر ، قال يحيى بن معاذ : ليس بعارف من لم يجعل غاية أمله من الله العفو .

كان مَطْرُفُ يقول في دعائه : اللهم ارض عنا ، فإن لم ترض عنا فاعف عنا ، من عظمت ذنوبه في نفسه لم يطمع في الرضا ، وكان غاية أمله أن يطمع في العفو ، ومن كملت معرفته لم ير نفسه إلا في هذه المنزلة .

رابعاً : بلل أقصى حد في الاجتهاد :

في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره » .

أخي الحبيب ، ينبغي أن يكون الاجتهاد في أواخر الشهر أكثر من أوله لشئين :

أحدهما : لشرف هذه العشر ، وطلب ليلة القدر .

والثاني : لوداع شهر لا يدرى هل يلقى مثله أم لا .

وقد يحصل من بعض الناس العكس ، أنك تجد في أول رمضان شيئاً من النشاط والهمة في العمل ، ثم يصاب بالفتور بعد ذلك ، أو ينشغل بظواهر تشغله عن إكمال الشهر كما ينبغي .

رغم أن المفروض هو العكس لو كان للعمل ثمرة ؛ فإنه كلما زاد من الطاعات والعبادات التي يؤديها كل يوم في رمضان يترقى درجة إن كان من المقبولين ، فتزداد طاعاته وقرباته في اليوم التالي ، حتى يصل إلى أقصى علو همة عند نهاية الشهر ، كما كان هذا شأن النبي ﷺ وأصحابه ، فإنه كما مر معنا كان ﷺ إذا دخل العشر شدَّ المِثْرَ ، وأيقظ أهله ، وأحيا الليل كله .

وقد ذُكر عن بعض السلف أنه حين أتاه الموت وفي سياق السكرات ، كان يقوم ويقعد - يعني يصلي - فقبل له : في مثل هذه الحال ؟ ، أرح نفسك ، فقال : إن الخيل إذا بلغت إلى رأس مجراها ، أخرجت أقصى ما عندها ، وأنا أسابق بأنفاسي ، فانت الآن - أيها الحبيب - تسابق الساعات ، فرمضان على وشك الانتهاء ، فابدل أقصى ما تستطيع ، ولتمض هذه الأيام العشر إن مضت بغير أكل ولا شرب ولا نوم وليكن ما يكون .

قبل لبعض السلف : لا تبك ، فإنك إن بكيت عميت ، قال : ذلك لعيني شهادة ، فبكى حتى عمي ، أفهم ما قصدت الإشارة إليه ، وارغب فيما عند الله ، واستعن بالله .

خامساً : إياك والعجب والغرور :

عن أبي بكره رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يقولن أحدكم : صُمتُ رمضان كُلَّهُ ، ولا قُمتُ رمضان كُلَّهُ »^(١) ، فلا أدري أكره التزكية أم لا بد من غفلة .

أخي الحبيب ، إياك والأمراض القلبية ؛ إنما شرع الصيام والقيام وتلك الأعمال التي أدبتها في رمضان لتزكية النفس وإصلاح القلب ؛ ولكن هناك بعض الأمراض المستوطنة التي يصعب اقتلاعها بسهولة ، منها هذا الداء اللعين والمرض الخبيث : العجب ورؤية النفس .

قال ابن القيم - عليه رحمة الله : بين العمل وبين القلب مسافة ، وفي تلك المسافة قُطَاع طرق تقطع الطريق على العمل أن يصل إلى القلب ، فتجد الرجل كثير الصلاة كثير الصيام ، كثير الذكر وتلاوة القرآن ولم يصل إلى قلبه من عمله شيء ، لا خوف ، ولا رجاء ، ولا محبة ، ولا يقين ، ولا رضا ، وقد تستولي

(١) أخرجه أبو داود (٢٤١٥) ، وضعفه الألباني (٢٠٦٢) في «ضعيف أبي داود» .

النفس على العمل الصالح فتصير، جندًا لها فتصول به وتطفئ، فترى الرجل أعبد ما يكون، أزهد ما يكون، وهو عن الله أبعد ما يكون.

الشاهد من هذا الكلام أن النفس قد تستولي على العمل الصالح فتصول به وتطفئ؛ فاحذر من ذلك، أن تستولي نفسك على مشاق الأعمال في رمضان، من صيام وقيام وقرآن وذكر واحتكاف وغيرها، وتصول بها على سبيل الفخر، وتتفخ بها بالزهو والتعالي على الآخرين، فتخسر كل ذلك، وتفقد ثواب العمل، ونتيجة العمل، فالحذر الحذر.

إن من علامات القبول أن يزداد الإنسان انكسارًا ودُّلاً وخضوعًا للرب جل جلاله.. فازدد دُّلاً؛ تزدد قُرْبًا.

عباد الله.. إن شهر رمضان قد حزم على الرحيل، ولم يبق منه إلا القليل، فمن منكم أحسن فعله بالتنام، ومن فرط فيه فعله بالحسن والعمل بالختم، اغتنموا منه ما بقي من الليالي البيرة والأيام، واستودعوه عملاً صالحاً يشهد لكم عند الملك العلام، وودعوه عند فراقه بأزكى تحية وسلام.

إخوتاه.. قلوب المتقين إلى هذا الشهر تجم، ومن ألم فراقه تئن، كيف لا تجري للمؤمن على فراقه دموع، وهو لا يدري هل بقي له في عمره إليه رجوع.

يا حسرة من فاته الخير في رمضان، كم أصبح المسكين فما قبل النصيح، كم دُعي إلى المصالحة فما أجاب إلى الصلح، كم شاهد الواصلين فيه وهو متباعد، كم مرت به زُمُر السائرين وهو قاعد، حتى إذا ضاق به الوقت، وخاف المقت ندم على التفريط حيث لا ينفع الندم، وطلب الاستدراك في وقت العدم.

إخوتاه . .

أيام العشر أيام الحياة . فيها الخيرات والبركات ، والأجور الكثيرة ،
والفضائل الجزيلة ، فيها تتركز الأعمال ، وتُنال الآمال ، كيف لا والنبي ﷺ
كان يسهر ليله ، ويحجول كُله ، ويقوم الليل كُله .

هذه العشر تُملا فيها المساجد ، ويخشع فيها الراكع والمساجد ، وينهض إلى
الخيرات كل قاعد ، ويصير الراغب كالزاهد ، شرف الله أوقات رمضان على
سائر الأوقات ، وخصَّ العشر الأواخر بمزيد فضل وإكرام ، فأجزل فيها
الإفضال والإنعام ، ودليل فضله أن فيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر .



ليلة القدر

فضلها عظيم ، وخيرها عميم ، وكيف لا وقد شهدت نزول القرآن الكريم ، الذي يقود من اعتصم به إلى جنات المخلد والنعيم ، كفى بقدر ليلة القدر أنها خير من ألف شهر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ۚ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۚ مَلَكٌ مِنْ حَيْثُ مَقْلَعِ الْقَبْرِ ۚ ﴾ [القدر : ١-٥] .

ليلة مباركة ، من حُرم خيرها فقد حُرم الخير كله ، ولذلك يستحب للمسلم الحريص على طاعة الله أن يحييها إيماناً وطمئناً في أجرها العظيم ، بالقيام والذكر والقرآن والدعاء ، ومن فعل ذلك عُفِر له كل ما مضى من ذنوبه ، قال رسول الله ﷺ : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً ، عُفِر له ما تقدم من ذنبه »^(١) .

ويستحب فيها الدعاء والإكثار منه ، وخاصة بما جاء عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، أرايت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ، ماذا أقول ؟ ، قال ﷺ : « قولي : اللهم إني أعوذ بك من الضر والنقص »^(٢) .

وقد كان السلف يخصصون ليلة القدر بمزيد اهتمام ، فكان ثابت البناني يلبس أحسن ثيابه ، ويتطيب ، ويطيب المسجد بالنفوس والدُخْن في الليلة التي يُرجى فيها ليلة القدر .

وكان لعميم الداري رحمته الله حُلَّة اشترها بألف درهم ، وكان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٥) ، مسلم (٧٦٠) .

(٢) أخرجه أحمد (١٧١/٦) ، وصححه الألباني (٣٣٣٧) في «الصحيحة» .

وكما كانوا يستعدون لها بالتزيين الظاهر ، فإنهم علموا أنه لا يكمل تزئين الظاهر إلا بتزيين الباطن بالنوبة والإنابة إلى الله تعالى ، وتطهيره من أدناس الذنوب وأوضارها ؛ فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن لا تغني شيئاً .

فلا يصلح لمناجاة الملوك في الخلوات إلا من زين ظاهره وباطنه ، وطهرهما ، خصوصاً لملك الملوك الذي يعلم السر وأخفى ، فمن وقف بين يديه فليرين له ظاهره باللباس وباطنه بلباس التقوى .

روي عن مالك بن أنس أنه إذا كانت ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب ، ولبس حلة وإزاراً ورداء ، فإذا أصبح طواههما فلم يلبسهما إلا مثلها من قابل .

فعلني المسلم إذا أن يتحرى هذه الليلة ، فهي فرصة عمره وحياته ، ومعلوم من السنة أن معرفتها رفعت ؛ لأن الناس تخاصموا : عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : خرج النبي ﷺ ليلة القدر ، فتلاحى رجلان من المسلمين (أي : تخاصما) ، فقال : «إني خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم ، فالتسموها في التاسعة والسابعة والخامسة»^(١) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «أريت ليلة القدر ، ثم أبقيتني بعض أهلي فنسيتها ، فالتسموها في العشر الفوابر»^(٢) .

وورد أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه التمسها في الوتر من العشر الأواخر ، فقال ﷺ : «التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان في وتر ؛ فإني قد رأيتها فأنسيتها»^(٣) .

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٦) .

(١) أخرجه البخاري (٤٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٧٨٠) .

قال البخوي : وبالجمله ، أبهم الله هذه الليلة على الأمة ؛ ليجتهدوا في العبادة ليالي العشر طمعا في إدراكها ، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة . . وأخفى رضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها ، وسخطه في المعاصي ليتتهروا عن جميعها ، وأخفى قيام الساعة ؛ ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها .

فخلاصة القول : أن المسلم يتحرى ليلة القدر في أوتار العشر الأواخر : ليلة إحدى وعشرين ، وثلاث وعشرين ، وخمس وعشرين ، وسبع وعشرين ، وتسع وعشرين ، فإن ضعف وعجز عن طلبها في الوتر الأواخر ؛ فليطلبها في أوتار السبع البواقي : ليلة خمس وعشرين ، وسبع وعشرين ، وتسع وعشرين ، والله تعالى أعلم .

قال ابن رجب الحنبلي رحمته الله : كل زمان فاضل من ليل أو نهار فإن آخره أفضل من أوله ، كيوم عرفة ويوم الجمعة ، وكذلك الليل والنهار عمومًا آخره أفضل من أوله ، وكذلك عشر ذي الحجة والمحرم آخرهما أفضل من أولهما . ولقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ اعتكف في العشر الأوسط من رمضان ، قبل أن يعتكف العشر الأواخر النعامة ليلة القدر قبل أن يتبين له ﷺ أنها في العشر الأواخر ، ثم لما تبين له ذلك اعتكف العشر الأواخر حتى قبضه الله عز وجل .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد منزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله »^(١) ، وشد منزره أي اعتزل النساء ، ويحتمل أن يريد به الجهد في العبادة ، ولم يكن النبي ﷺ إذا بقي عشرة أيام من رمضان يدع أحدًا

(١) متفق عليه ، البخاري (١٩٢٠) ، مسلم (١١٧٤) .

من أهله يطبق القيام إلا أقامه ، وتأكد ليغافلهم في أكد الأوتار التي ترجى فيها ليلة القدر .

وسميت ليلة القدر لأنها أنزل فيها كتاب ذو قدر ، على لسان ملك ذي قدر ، على رسول ذي قدر ، وعلى أمية ذات قدر .

أخي . .

يؤمن العمر كله إلا هذه الليلة ، الليلة التي نزل فيها القرآن جملة إلى السماء الدنيا ، الليلة التي يُقَدَّرُ فيها أحكام تلك السنة ، وتكتب فيها الملائكة الأقدار ، الليلة التي تنزل فيها الملائكة .

لقد كان رسولكم ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها ، ويشتكى الناس لتلك الليلة ، كان يرامل ابتغاء لتلك الليلة ، فيا من ضاع عمره في لا شيء ، استدرك ما فاتك في ليلة القدر ، فإنها تُحسبُ بالعمر .
ليلة . . يقبل الله فيها التوبة من كل تائب ، يكتب فيها من أم الكتاب ما يكون في سنتها من موت وحياة ورزق ومطر .

وعن مجاهد : صيامها وقيامها أفضل من : صيام ألف شهر وقيامه ليس فيها ليلة القدر .

وعن كعب الأحبار : نجد هذه الليلة في الكتب خطوطاً تحط الذنوب .
وهي ليلة مباركة تشرف فيها الأرض بالملائكة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ليلة القدر ليلة السابعة ، أو التاسعة والعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة أكثر في الأرض من عدد الحصن»^(١) .

ومن علامات ليلة القدر أنها تكون ليلة لا باردة ولا حارة ، وتشرق الشمس

(١) أخرجه أحمد (٥١٩/٢) ، وسنه الألباني (٢٢٠٥) في «الصحيحة» .

يومها بلا شعاع : قال رسول الله ﷺ : « ليلة القدر ليلة سمحة ، طليقة ، لا حارة ولا باردة ، تصبح الشمس صبيحتها ضئيفة حمراء »^(١) ، وقال ﷺ : « تطلع الشمس صبيحة تلك الليلة ليس لها شعاع ، مثل الطست حتى ترتفع »^(٢) ، ولها علامات أخرى تظهر أكثرها بعد انقضاء الليلة .

ومن حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال : « في ليلة القدر لا يحل للكوكب أن يرمن به حتى يصبح ، وإن أمارها أن الشمس تخرج صبيحتها مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ »^(٣) ، وروى عن ابن عباس أن الشيطان يطلع مع الشمس كل يوم إلا ليلة القدر ؛ وذلك أنها تطلع لا شعاع لها .

وقال مجاهد في قوله تعالى : « مَلَكٌ مِنْ حَتَّى تَطْلُعَ الْفَجْرُ » : سلام أن يحدث فيها داء أو يستطيع شيطان أن يعمل فيها شيء ، وعن الضحاك عن ابن عباس قال : في تلك الليلة تصغد مرودة الجن ، وتغل عفاريت الجن ، وتفتح فيها أبواب السماء كلها ، ويقبل الله فيها التوبة لكل نائب .

ابن آدم . لو عرفت قدر نفسك ما أهتمها بالمعاصي ، أنت المختار من المخلوقات ، ولك أعدت الجنة إن اتقيت فهي أقطاع المتقين والدنيا إقطاع إبليس ، فهو فيها من المنظرين ، فكيف رضيت لنفسك بالإعراض عن أقطاعك ومزاحمة إبليس على أقطاعه ، وأن تكون غداً معه في النار من جملة أتباعه ، إنما طردناه عن السماء لأجلك حيث تكبر عن السجود لأبيك ، وطلبنا قربك لتكون من خاصتنا وحزبنا ، فعاديتنا وواليت عدونا .

(١) أخرجه الطبراني (١٣٩) في « الكبير » ، وحسنه الألباني (٥٤٧٢) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٧٨) ، وصححه الألباني (١٢٢٩) في « صحيح أبي داود » .

(٣) أخرجه أحمد (٣٢٤/٥) ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حسن .

وتحزن النساء لفوات قيام ليلة القدر بسبب حيض أو نقاس ، ولكن عليهن بإحسان العمل طوال الشهر لكي يتقبله الله منهن ، قال جوير: قلت للضحاك: أرايت النساء والحائض والمافر والنائم لهم في ليلة القدر نصيب؟ ، قال: نعم ، كل من تقبل الله عمله يعطيه نصيبه من ليلة القدر ، ومعنى هذا أن الذي أحسن العمل في شهر رمضان يتقبل الله منه ، والذي يتقبل الله منه لم يحرمه نصيبه من ليلة القدر .

إخوتاه . .

ليلة القدر . . ليلة يفتح فيها الباب ، ويُقرب فيها الأحياء ، ويُسمع الخطاب ، ويُرد الجواب ، ويُعطى للعاملين عظيم الأجر .

ليلة . . ذاهبة عنكم بأفعالكم ، وقادمة عليكم غذا بأعمالكم ، فإلبت شعري ماذا أودعتموها ، وبأي الأعمال ودعتموها ، أتراها ترحل حامدة لصنيعكم . . أو ذامة تضيعكم .

ليلة القدر . . عند المحبين ليلة الحظوة بأنس مولا هم وقربه ، وإنما يفرون من ليالي البعد ، ففيها تنزل الأملاك بالأنوار والبر .

إخوتاه . .

في العشر الأواخر ، احترسوا من الغفلات القوائل ، وتيقظوا فيها قبل لحاق الأواخر بالأوائل ، واعتذروا فيها فإنها قلائل ، قبل أن يرد اعتذار العاصي بتكذيبه ، عظموها فإنها عظيمة الأمر ، وانتظروا وارقبوا فيها بحسن اليقظة ليلة القدر ؛ فإنها غريبة خريبة ، وعجيبة عجيبة .

إخوتاه . .

هذه فرصتكم الأخيرة في هذا الشهر للنجاة . . فتأهبوا للعشر بالعزم

الصادق على الخير ، واجعلوا همكم مصروفة إلى حراستها لا غير ؛ فإنها عشر بالبركات الوافرة قد حُفَّت ، وبالكرامة الظاهرة قد زُفَّت ، فأعدوا لقدومها عُدَّة ، واسألوا الله فيها التوفيق إلى أن تكملوا العُدَّة ، والحذر الحذر من التفريط والإهمال والتكاسل فيها عن صالح الأعمال .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَوَّيْ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ كَانٌ مُشْكُورًا ﴾ [الإسراء : ١٩] .

إخواناه . . يا مؤمنون . .

﴿ بَعَثْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ مَا لَكُمُ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنْفِرُوا يُمْلِكْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَتَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة : ٣٨-٣٩] .

إخواناه . .

إن شهر رمضان قد قُربَ رحيلُهُ وأزِفَ ، وهو ذاهبٌ عنكم بأفعالكم ، وقادمٌ عليكم غداً بأعمالكم ، فبالت شعري ماذا أودعتموه ، وبأي الأعمال ودعتموه ، أنراه يرحل حامداً صنيعكم أو ذامناً تضييعكم ، ما كان أعظم بركات ساعاته ، وما كان أحلى جميع طاعاته ، كانت لياليه عتقا ومباهاة ، وأوقاته أوقات خُدم ومناجاة ، ونهاره زمان قرينة ومصافاة ، وساعاته أحيان اجتهد وصعابة ، فبادروا البقية بالتقية قبل فوات البر ونزول البرية وتخلي عنك جميع البرية .

أين المخلص المتعبد ، أين الراهب المتزهّد ، أين المنقطع المتفرد ، أين العامل المجود ، هيهات . . بقى عبد الدنيا ومات السيد ، وهلك من خطره خطأ وعاش المتعمد ، وصار مكان الخاشعين كل منافق متمرد . . رحل عنك شهر الصيام ، وودعك زمان القيام ، والحق النصح وقد لام ، أشرق شمس

الإيقاظ وتنام ؛ فاستترك ما قد بقي من الأيام ، قد رأيناك توانيت في الأولى والثانية والثالثة ؛ فما بعد أن دنا الصبح .

أنترك من حُبِّ وأنت جَارٌ وتطلُّبهم وقد بنَّذَ الصَّرَارُ
وتبكي بعد تأيُّبهم أشيافاً وتَسألُ في المنازل أين ساروا
تَرنَّحت سؤلهم وهم خُصُورٌ وترجُو أن تُخَبِّركَ الدُّيَارُ
فَنفْسُكَ لَمْ وَلَا تَلَمْ المَطَابَا ومث كَعْدَا فليس لك اهْتِلَارُ

خَاتَمُكَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ . . إِيَّاهُ يَا شَهْرَ الشُّهُورِ . . مررت كالطيف وأسرع
الخطا . . فكنت كالحلم لا كبقية الآماد . . وعليكم السلام يا شهر الإيمان . .

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ رَمَضَانَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَتِلَاوَةِ
الْقُرْآنِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ التَّجَاوُزِ وَالْغَفْرَانِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الْبَرَكَةِ
وَالْإِحْسَانِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ التَّحَفِ وَالرَّضْوَانِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ
الْأَمَانِ ، كُنتَ لِلْعَاصِينَ حَبْسًا ، وَلِلْمُتَّقِينَ آسًا ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ النَّسْكِ
وَالْتَعَبِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ وَالتَّهَجُّدِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ
التَّرَاوِيحِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الْأَنْوَارِ وَالْمَصَابِيحِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ
الْمُنَجَّرِ الرِّبِيحِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرًا يُتْرَكُ فِيهِ الْقَبِيحُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَنْسَ
الْعَارِفِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَخْرَ الْوَاصِفِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ الْوَاقِعِينَ ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَوْضَةَ الْعَابِدِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرًا يَتَسَابَقُ فِيهِ الْمُتَقُونَ ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ غَوَادٍ لِفِرَاقِكَ مُحْزُونِ .

فِيَا لَيْتَ شِعْرِي : هل تعودُ أيامك أو لا تعودُ ، ويا ليتنا تحققنا ما شهدُ به علينا
يومُ الورودِ ، ويا ليتنا علمنا من المقبولِ منا ومن المَطْرُودِ ، وهل إذا عادت
أيامك فنحن في الوجودِ ، وننافسُ أهلَ الركوعِ والسجودِ ، أم قد انطبقت علينا
اللُحُودُ ، ومَزَقْنَا الْبِلَى والدودُ ، فيا أسفا لتصرُّمك يا شهر السُّعُودِ .

وَإِذَا حَزَمْتَ عَلَى الرَّجِيلِ فَلْتَمَا حُزُنَ الْفِرَاقِ يَحُزُّ فِي الْأَكْبَادِ

فيا شهرنا غير مُودِّع ودعناك ، وغير مقلبي فارقناك ، كان بهارك صدقة وصياما ، وليلتك قراءة وقيامًا ، فعليك منا تحية وسلامًا ، أتراك تعود بعدها علينا ، أو يُدركنا العنود فلا تروى إلينا ، مصابيحنا فيك مشهورة ، ومساجدنا منك معمورة ، فالآن تطفأ المصابيح ، وتنقطع التراويح ، ونرجع إلى العادة ، ونفارق شهر العبادة .

يا شهر رمضان ترفق ، دموع المجبين تذوق ، قلوبهم من ألم الفراق تُشقق ، عسى وقفة للوداع تطفى من نار الشوق ما أحرق ، عسى ساعة توبة وإقلاع ترفو من الصيام ما تحرق ، عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق ، عسى أسير الأوزار يطلق ، عسى من استوجب النار يعتق .

اللهم أعتقنا من النار يارب ، **اللهم** تقبل منا رمضان ، **اللهم** تقبل منا الصلاة والصيام والقيام وسائر الأعمال ؛ إنك سميع عليم . **اللهم** سلطنا لرمضان ، وسلّم رمضان لنا ، وتسلمنا منا مُتقبلًا . **اللهم** أعِدْ علينا رمضان أعوامًا عديدة ، وأزمنة مديدة .

اللهم لك الحمد على أن وفقنا لصيام رمضان وقيامه . **لك الحمد** يارب على أن وفقنا لقيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا . **لك الحمد** بالإيمان ، **ولك الحمد** بالإسلام ، **ولك الحمد** بالقرآن ، **ولك الحمد** بالصلاة والصيام والقيام والصدقة والإحسان وقراءة القرآن . **لك الحمد** أولًا وأخيرًا . **لك الحمد** لا تُحصى ثناء عليك ؛ أنت كما أثنيت على نفسك . . . نحمدك خفيًا يُؤاقي نعمك ويكافئ مزيذك . . . ونستغفرك من جميع الذنوب والخطايا والطاعات ونتوب إليك ؛ إنك أنت الثواب الغفور الرحيم .



وَمَا نَا بَعْدَ مِضَانِكَ

(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا

وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)

وماذا بعد رمضان ؟

جاء رمضان .. ومضى رمضان ..

سوق قام ثم انقضى ، ربح فيه من ربح ، وخسر فيه من خسر ، ويتوجع المسلم لفراق رمضان ويظل يتذكر أيامه ولياليه كيف كانت عامرة بالخيرات ، ممثلة بالعبادات ، منيرة بالطاعات ..

ويتهيء رمضان وإذا بالمساجد تعود مرة أخرى خاوية على عروشها إلا من أهلها الذين هم أهلها ، ويتباكى الدعاة إلى الله على جهده على مدار شهر بذلوه ، وإذا هم في نهاية الأمر لم يجدوا له الأثر الذي ظنوه وانتظروه ..

لماذا يبتكس الناس بعد رمضان وينشغلون مرة أخرى بدنياهم بعد أن ذاقوا حلاوة القرب من مولاهم ؟

لما مات رسول الله ﷺ وقف أبو بكر يقول : من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ..

وهأنذا أقول : من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد انقضى ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٥١﴾ وَسَبَقَنَ رَبُّهُ فَبِئْسَ الْمَلِكُ ﴿٥٢﴾﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] ، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ يُقْرَءُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [التصوير: ٨٨] .

احبني في الله ..

قال ربكم جل جلاله : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَفَقَّصَتْ عَنْهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْهَكَتْهَا﴾ [النحل: ٩٢] .. هل رأيت امرأة تنزل ثوباً وتغزل ثم تغزل ، وبعد أن تم لها ذلك قامت فنقضت غزلها .. أعادت الثوب خيطاً كما كان ، فهل هذا

فعل إنسانٍ عاقل . .

مكذا حالك : إنك بعد أن كنت تقوم الليل إحدى عشرة ركعة يوميًا في رمضان ؛ تريد أن تترك هذا كله فلا تقوم الليل ولو بأربع ركعات ، فأين أثر القيام فيك إنا ١٩

أنت قد وجدت لذة في قيام رمضان ؟ ، فلماذا تحرم نفسك من هذه اللذة ؟ ، لماذا تحرم نفسك من الأجر ؟ ، لماذا تترك سوسة الكسل تنخر في إيمانك ١٩

إخوتاه . . إن ديننا هو دين الاستقامة لا يصلح فيه التلون والتغلت والزوغان ، قال الله سبحانه ونحالي لرسوله ﷺ : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود: ١١٢] ، فاستقم على أمر الله . . استقم على طاعة الله حتى تلقاه فيكون ذلك يوم عيدك الحقيقي ، قال ربنا جل جلاله : ﴿ وَاعْتَصِمْ بِرَبِّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] ، واليقين : الموت ، فكن رباتيًا ولا تكن رمضانيًا .

استقم على طاعة الله ولا تتلون .

لما جاء حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل رضي الله عنه الموت جلس عبد الله بن مسعود عند رأسه فقال : أوصني ، فقال له : ألم يأتك اليقين ؟ ، قال ابن مسعود : بلى وعزة ربي ، فقال له حذيفة : فإياك والتلون ؛ فإنه دين الله واحد .

إنك لا بد أن تخرج من رمضان بقلب قد ألف الطاعة وأحبها واعتادها حتى صارت له كالهواء والماء للإنسان ، فإياك أن تقس إيمانك بالشاغل إلى الأرض ، والإخلاد إلى الكسل ، والرضا بالقعود والنكوص .

إنني أريدك أيها الحبيب أن تكون شخصية ربانية مدني حيلك ، لا على

فترات مقطعة في حياتك فتكون رجلَ المناسبات ، إياك أن تهجر الطاعة ، لا تهجر حفظ القرآن وتلاوته . . فالأعمال لم تنقطع بعد انتهاء رمضان ، لم يُرفع عنك القلم بعد رمضان ، قبل لأحد الصالحين : أيهما أفضل : رجب أم شعبان ؟ ، فقال : كن ربانيا ولا تكن شعبانيا !! ، لا بد أن تثبت وتصطبّر وترمي نفسك وتلزمها .

إن أول خطوات طريق الفشل والضياع أن تتحكم فيك نفسك وتسيرك كيف شئت ، قم تقوم ، اخرج تخرج ، نم تنام ، كل تأكل ، لا بد أن تمتلك أنت زمام المبادرة ، لا بد أن تتحكم أنت في نفسك وتذلّلها لطاعة الملك جل جلاله .

أيها الإخوة ، لازالت الأعمال بعد رمضان لم تنقطع .

فالقرآن لا يهجر بمجرد انتهاء رمضان ، بل حافظ على وردك الثابت فيه ، ذم على ذلك فالقرآن هو الذي يزكّي نفسك ويصلح قلبك ، ويثبتك على طريق الحق ، فلنستمر في قراءة القرآن جزءين في اليوم على الأقل ، ثم زد إلى ثلاثة ثم إلى خمسة لتختتم كل أسبوع كما كان يفعل الصحابة .

كذلك القيام لم ينقطع ، قم كل ليلة بإحدى عشرة ركعة ، فالنبي ﷺ كان لا يترك قيام الليل ، فإذا فاته يوماً من وجع أو غيره صلى من النهار ثني عشرة ركعة ، وذكر أن الحسن بن صالح باع جارية له ، فلما انتصف الليل قامت فنادتهم : يا أهل البيت ، الصلاة . . الصلاة ، قالوا : طلع الفجر ؟ ، قالت : وأنتم لا تصلون إلا المكتوبة ١١٤ ، ثم جاءت إلى الحسن فقالت : بعني إلى قوم لا يصلون إلا المكتوبة ١١٤ . . . رُدّني .

والصيام لم ينقطع ، فعليك أن تبادر بصيام ستة أيام من شوال حتى تكون كأنك صمت السنة كلها ، رمضان ثلاثون يوماً ، والحنة بعشر أمثالها فيكون ثلاثمائة ، وستة أيام بعشر أمثالها إذا ستون يوماً ، فتكتمل السنة ، كأنك صمت

سنة كاملة ، قال رسول الله ﷺ : «من صام رمضان ثم أتبعه بشأ من شوال ، كان كصيام الدهر»^(١) ، وهناك ثلاثة أيام في كل شهر كان النبي ﷺ يصومها ويأمر بصيامها هي الأيام البيض : ثالث عشر ، رابع عشر وخامس عشر من كل شهر عربي .

قال أبو هريرة رضى الله عنه : «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث لن أذهبن ما عشت : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، وألا أنام حتى أوتر»^(٢) ، وأريدك أن تنبه جيداً إلى قوله رضى الله عنه : لن أذهبن ما عشت .

وهناك غير ذلك صيام الاثنين والخميس ، قال ﷺ : «تعرض الأصمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»^(٣) .

وهناك الصوم في المحرم ، فيستحب فيه الصيام استحباباً عظيماً ، قال رسول الله ﷺ : «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم»^(٤) .

باع قوم من السلف جارية ، فلما قرب شهر رمضان رأيتهم يتأهبون له ويستعدون بالأطعمة وغيرها ، فسألهم فقالوا : نتهياً لصيام رمضان ، فقالت : وأنتم لا تصومون إلا رمضان ! ، لقد كنتُ عند قوم كُلِّ زمانهم رمضان ، رُدوني عليهم ..

وأنواع الصيام كثيرة كصيام العشر الأوائل من ذي الحجة ، وصيام شعبان ؛ بل كان رسول الله ﷺ يصوم حتى يقول الصحابة : لا يفطر ، ويفطر حتى

(١) أخرجه مسلم (١١٦٤) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (١١٢٤) ، مسلم (٧٢١) .

(٣) أخرجه أحمد (٢٠١/٥) ، وصححه الألباني (١٠٤١) في «صحيح الترغيب والترهيب» .

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٣) .

يقولوا : لا يصوم ، فالصيام مدرسة لتزكية النفس ، وهي وصيتي الخاصة للشباب وخصوصاً في هذه الأيام التي امتلأت بالفتن ، أسأل الله أن ينجيني وإياكم منها .

والأعمال الصالحة كلها لم تنقطع بانقطاع رمضان .

قيل لبشر : إن قومًا يتعبدون ويجهتدون في رمضان فقط ، فقال : بشر القوم لا يعرفون لله حقاً إلا في رمضان .

إن الصالح الذي يتعبد ويجهتد السنة كلها ، فأكثر من الصدقة والإنفاق في سبيل الله ، كلما مَنَّ الله عليك بفضله ، وأكثر من ذكر الله وتسيحه في كل أحوالك وفي كل أحيائك .

حتى الاعتكاف لم ينقطع بانتهاء رمضان ، فالاعتكاف مشروع طيلة السنة .

إخوتاه . . بادروا بالأعمال الصالحة فطوبى لمن بادر صمره القصير ، فعمُر به دار المصير ، وتبياً لحساب الناقد البصير ، قبل فوات القدرة وإعراض النصير .

كان الحسن يقول : عجبْتُ لأقوام أُمروا بالزاد ، ونودي فيهم بالرحيل ، وجلس أولهم على آخرهم وهم يلعبون !!

وكان يقول : يا ابن آدم ، السكينُ تُشخذ ، والثور يُسجر ، والكبشُ يُعتلف .

وقال أبو حازم : إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها في أوان كسادها ؛ فإنه لو جاء وقت نفاقها لم تصلوا فيها إلى قليل ولا كثير .

وكان عون بن عبد الله يقول : كم من مستقبل يوم لا يستكمله ، وكم من مؤمل لغد لا يدركه ، إنكم لو رأيتم الأجل ومسيره ؛ لأبغضتم الأمل وغروره .

وكان أبو بكر بن عياش يقول : لو سقط من أحدكم درهم لظل يومه يقول :
 إنا لله . . ذهب درهمي ، وهو يذهب عمره ولا يقول : ذهب عمري ، وقد
 كان لله أقوام يبادرون الأوقات ، ويحفظون الساعات ، ويلتزمونها بالطاعات .
 هذا الفارق عمر عليه السلام ما مات حتى سرّد الصوم .

وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تسرد ، وسرد أبو طلحة بعد رسول الله
 أربعين سنة .

وقال نافع : ما رأيت ابن عمر صائماً في سفره ، ولا مفطراً في حضره .
 وقال ثابت البناني : ما تركت في المسجد سائنة إلا وختمت القرآن
 عندها .

وقيل لعمر بن هاني : لا نرى لسانك يفتر من الذكر فكم تسبح كل يوم ؟ ،
 قال : مائة ألف ، إلا ما تخطئ الأصابع .

وصام المنصور بن المعتمر أربعين سنة وقام ليلاً ، وكان الليل كله يكي ،
 فتقول له أمه : يا بني ، قتلت قتيلاً ؟ ، فيقول : أنا أعلم بما صنعت بنفسي .
 قال الجعاني : لما حضرت أبو بكر بن عياش الوفاة بكى أخته ، فقال : لا
 تبكي ، وأشار إلى زاوية في البيت ، إنه قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية
 عشر ألف ختمة .

كان بعض السلف يقول : صم الدنيا واجعل فطرك الموت ، الدنيا كلها
 شهر صيام المتقين يصومون فيه عن الشهوات المحرمات ، فإذا جاءهم الموت
 فقد انقضى شهر صيامهم واستهلوا عيد فطرهم .

وقد صمت عن لذات فقري كلها ويوم إفاكم ذاك فطر صيامي
 من صام اليوم عن شهواته أفطر عليها بعد معاته ، ومن تعجل ما حرم عليه

قبل وفاته ؛ عوقب بحرمانه في الآخرة وفواته ، قال الله تعالى : ﴿ أَذْهَبَتْكُمْ حَيَاتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ (الأحزاب: ٢٠) .

كان الإمام علي يقول في آخر ليلة من رمضان : ليت شعري من هذا المقبول فنهيه ، ومن هذا المحروم فتعزيه .

وكذلك كان يقول ابن مسعود رضي الله عنه : من هذا المقبول منا فنهيه ؟ ، ومن هذا المحروم منا فتعزيه ؟

وكان المستفاد من ذلك أولاً أن قبول الأعمال غيب ، وأن غاية ما كان من سعي المكلفين إنما هو في تحصيل صور الأعمال ومظاهرها ، وأما المعول والذي عليه المدار في القبول ؛ إنما هو حقائق الأعمال ومقاصدها .

فليت شعري من هذا المقبول فنهيه ، ومن هذا المحروم فتعزيه ؟

إن ذلك غيب ، لا يدري أحدٌ أين المقبول ؟ ، وأين المحروم ؟

واستفدنا كذلك أنه لا بد بعد انقضاء العمل من وقفة المحاسبة للنفس ، والنظر فيما كان فيه هذا العمل ، وهل وقع هذا العمل من الله تعالى موقع القبول ، أو كان هذا العمل في محل الرد والحرمان ؟

فاكتسبت النفس لذلك وجلاً بعدما ظنت انقضاء زمان السعي والمجاهدة ، جاءها زمان آخر . . زمان المحاسبة للنفس ، والمعاقبة على تقصيرها ، والمجاهدة لشكر نعم الله عز وجل عليها .

قال بعض السلف : كانوا يجتهدون في العمل الصالح ، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم : أيقبل منهم أم لا ، فما يتفكرون من وجلهم وإشفاقهم في أثناء أعمالهم ، وما يذهب عنهم وجلهم ولا إشفاقهم بعد انقضاء تلك الأعمال ، لا يدرون قبلت منهم أعمالهم أم ذهبت تلك الأعمال في غير محل القبول ؟

واستفدنا كذلك من قول الصحابييين الجليلين أن لا يزال العبد واقفاً بباب الله ، فهذا المقبول لا ينقضي بعمله المقبول سعيه ، بل يقتضي هذا العمل المقبول سعيًا موصولاً في شكر نعمة الله عز وجل التي آتاه ، وفي القيام بحق الله عز وجل في التوفيق للعمل الصالح ، وفي مزيد التنعم بما أذاقه الله عز وجل من حلاوة الطاعة .

وكذلك ذلك المحروم ، لا ينقطع به الرجاء من ربه الكريم جل جلاله سبحانه وتعالى ؟ بل إن حرمانه ذلك يعني ذهاب جولة من جولات السعي بسبب سوء فعله ومرذول قصده ، فإذا حصل له التنبيه لذلك فلا بد أن تكون جولة سعيه الأخرى احظن بالقبول وأرجى لاستحقاق رحمة أرحم الراحمين .
مَنْ هذا المقبول الذي أعين على الصيام والقيام ، وعلن إصلاح وظائف الأعمال من الصلوات المكتوبات والجمعات .

مَنْ هذا المقبول الذي أعين على وظيفة الصدقة ووظيفة تلاوة القرآن ، وختم له رمضان بالسداد في الأعمال الصالحات ؟
مَنْ هذا المقبول فنهيه ؟

مقتضيات القبول :

أولاً : الانكسار لعظمة الله :

وتهتنتنا له وتهانينا إليه بفضل الله عز وجل الذي آتاه ، وأن ذلك يعني منه مزيد انكسار لعظمة الله ، وعرفان بنعمة الله عز وجل ، ومزيد سعي لشكران تلك النعم .

فمن أبي عمران الشيباني : قال موسى يوم الطور : يا رب . . إن أنا صليتُ فمن قبلك ، وإن أنا تصدقتُ فمن قبلك ، وإن أنا بلغتُ رسالاتك فمن قبلك ، فكيف أشكرك ؟ ، فقال الله تعالى لموسى : الآن شكرتني .

فهذا قول الكلیم . . کلیم الله عز وجل . . وهو قول العارف بفضل الله المقر بإحسانه ، قال : يا رب ، إن أنا صليت فمن قبلك ، لا من سعي نفسي ، ولا من تحصيلها ، فلو وُكِّلْتُ إلى نفسي ، ولو وُكِّلْتُ النفس إلى ما فيها ؛ لما كان من العبد إلا العجز والتقصير ، والتواني والذنب ، والخطيئة والسيئات .

يا رب . . إن أنا صليتُ فمن قبلك ، وإن أنا تصدقتُ فمن قبلك ؛ فكذلك ليس المال من تحصيلي ؛ بل هو من رزقك وفضلك وعطائك ، ولو شئت لم أكتسب شيئاً من ذلك المال ، وقد أحضرت الأنفس الشُّح ، وجُبلت على الإمساك والبخل ، فلولا أن تجود عليّ بمساعدة شُح نفسي ؛ ما كان مني صدقة ولا إنفاق .

فيا رب ، إن أنا تصدقتُ فمن قبلك ، فليس لي من ذلك العمل أيُّ شيء أنه لنفي .

ويا رب ، إن أنا بلغت رسالاتك فمن قبلك ، فليس ذلك البيان ، ولا الشفقة على المكلفين ، ولا الإعانة على البلاغ ، ولا إيصال ذلك إلى قلوب المكلفين ، ولا حركة المكلفين بموجب ذلك ، وليس شيء من ذلك من سعي العبد ولا من تحصيله ؛ بل كل ذلك بفضل الله عز وجل وإحسانه .

وإن أنا بلغت رسالاتك فمن قبلك ؛ فكيف أشكرك ؟

فلو كانت الصلاة شكراً ، فما هي من سعيي ، والشكر فعل ينسب إلى العبد لا إلى صاحب الإنعام والإكرام .

وإن كانت الصدقة شكراً ، فهي كذلك من فضلك ؛ فليس ينسب إلى العبد شيء من ذلك .

وإن كان البيان عن الله والبلاغ لرسالته شكراً ؛ فهو كذلك من الله عز وجل لا من المخلوقين .

ذهبت حيل السعاة في شكر الله ، وعجزوا عن شكر الله عز وجل على نعمه ، فأصبح إقرارهم بالعجز هو إعلانهم بالشكر لله عز وجل على نعمائه . فكان جواب الكريم للكليم : الآن شكرتني .

إقرارك بعجزك عن الشكر هو حقيقة ذلك الشكر ، فإن شكر نعمة الله عز وجل يكون بنعمة أخرى من الله عز وجل وفضل وإحسان ، يستوجب شكرًا آخر ، حتى يكون الشكر الآخر نعمة أخرى تستوجب شكرًا آخر ، وهكذا . فيقتضي الحال إلى الإقرار بالعجز ، والإعلان بالقصور ، وأن شكر نعمة الله عز وجل هو الإعلان بالعجز عن شكره .

ثانيًا : شهود مِنَّ الله :

فليت شعري مَنْ هذا المقبول فنهنيه ، على فضل الله الذي آتاه ، وأن ذلك يقتضي الإعلان بشكر نعمة الله ، والإعلان بالعجز عن القيام بذلك ، وأن ذلك يقتضي مع تلك التهمة الالتفات للعمل والنظر إليه ، حتى يشهد منة الله عز وجل فيما كان ، وحتى يرى تقصير نفسه في كل عبادة يرى فيها أوجه عجزه وأبواب قصوره وضعفه وتوانيه وتباطئه مع فضل الله عز وجل السابق ، وإحسان الله تعالى الغالب عليه .

ثالثًا : مطالعة عيب النفس والعمل :

وتهمة المقبولين تعني التفاتًا إلى نعمة رب العالمين ، وتعني رجوعًا إلى هذه الأعمال التي كانت ، بالنظر إليها ، والتفتيش في أوجه القصور والنقص فيها ، وأنه كان ينبغي أن تكون هذه الأعمال أفضل مما تادت ، وأن حق الله عز وجل أعظم من ذلك ، وأن حق خطايا هؤلاء المقبولين وسيئاتهم يقتضي عملاً أكثر ، فما يُزيل أدران قلوبهم أضعاف أضعاف ما قدموا ؛ بل إن هذه السيئات والعيوب

تقتضي منهم سعيًا موصولًا وعبادةً غيرَ مقطعة وشغلًا دؤبًا بذكر الله عز وجل ومحبة إلى الممات ، لا يقوم حق الله عز وجل بدون ذلك .

فليت شعري من المقبول ؟ ، حتى يستحق تلك التهاني ، وينال مع تلك التهاني تنبيهات على سعيه .

رابعًا : استقامة القلب :

ليت شعري من هذا المقبول فتنهيه ؟ ، حتى تكون تهنتنا له على ما نال قلبه من ذلُّ الله عز وجل وتعظيم لأمره ، وانكسار من ذلك القلب ، ورقة على الخلق ليستديم ذلك الحال ، وليتحول إلى شخص آخر بعد منحة الله عز وجل له في رمضان ، وعطائه إليه وإحسانه .

خامسًا : الثبات على العمل الصالح :

ليت شعري من المقبول فتنهيه ؟ ، بأن يرجو موسم رمضان آخر بينهما عبادة موصولة ، وشغلٌ بالله عز وجل وطاعة وخدمته ومحبة ، شغلٌ دائمٌ غيرُ منقطع .

ليت شعري من هذا المقبول فتنهيه ؟ ، حتى تكون تهنتنا له سببًا لثباته على ما وفقه الله عز وجل له من العمل الصالح .

فما يقتضي مع انقضاء رمضان صيامه . .

وما يذهب مع ذهاب ليالي رمضان قيامه . .

وما يعود إلى ما كان منه من وحشةٍ بينه وبين مصحفه وورده قرآنه . .

ليتحول إلى شخصٍ مقتدٍ بالنبي ﷺ ، فقد كان عمله ﷺ دِينَةً^(١) .

(١) متفق عليه ، البخاري (١٨٨٦) ، مسلم (٧٨٣) .

وأخبر ﷺ : « إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل أدومها وإن قل »^(١) ، فأحب العمل أدومه وإن قل ، فيكون تهتنا للمقبولين حياً لدوامهم على ما آتاهم الله عز وجل من أسباب التوفيق ، فيقتدون في ذلك بسنة النبي ﷺ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] .

تهانينا . . تهانينا

أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن لا تغتر ، إنما قبلت بتوفيق الله ، وتسديد الله ، وفضل الله ورحمته ، وليس منك ؛ فليتعلق قلبك بالله شكراً لله .
أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن لا تفرح بعملك ؛ فإن الله يستحق أكثر من ذلك .

أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن احرم قلبك حتى لا تضيع لذة الطاعة التي حصلتها في رمضان .

أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن احذر المشي والقعود مع البطالين والافتقار بهم .

أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن اعلم أن علامة القبول الازدياد كل يوم من الطاعة .

أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن مل نفسك : هل قوة الاندفاع للعبادة ضعفت عندك أم لا ؟

أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن هل لو مت الآن ستجد الله راضياً عنك .

(١) متفق عليه ، البخاري (٦٠٩٩) ، مسلم (٧٨٣) .

أيها المقبول ، **هانيئا** ؛ ولكن سل نفسك : هل عملي يلغني أعلى الجنان أم يكفي لمجرد نجاتي من النار ؟

أيها المقبول ، **هانيئا** ؛ ولكن احذر الفتور والقفود عن طاعة الله .

أيها المقبول ، **هانيئا** ؛ ولكن إذا لعبت أو لهوت بعد رمضان فهذه علامة الخسران .

أيها المقبول ، **هانيئا** ؛ ولكن احذر أن يعود قلبك لفساوته بعد أن انجلت في رمضان .

أيها المقبول ، **هانيئا** ؛ ولكن احذر أن تهدم ما بنيت ، وتعبت فيه وسهرت من أجله .

أيها المقبول ، **هانيئا** ؛ ولكن احذر أن تكون رمضانيًا ، تتعامل مع الله شهرًا وتركه أحد عشر .

أيها المقبول ، **هانيئا** ؛ ولكن احذر أن تزوغ بقلبك بعد أن ذقت وعرفت ، حتى لا تثبت على نفسك الحجة يوم القيامة .

أيها المقبول ، **هانيئا** ؛ ولكن اعلم أن واجب الشكر لله يحتم عليك أن تشكر نعمة الطاعة التي وفقك الله إليها وأعانك عليها بالعمل ، قال تعالى : ﴿اعْمَلُوا عَلَيْهِ مَا لَ تَأْوَدَ شُكْرًا وَفَلْيَمِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبا: ١٣]

أيها المقبول ، **هانيئا** ؛ ولكن لا تنهن نفسك بعد أن أكرمك الله بالعبودية له وحده .

أيها المقبول ، **هانيئا** ؛ ولكن احذر أن تعصي ربك وتهجر كلامه .

أيها المقبول ، **هانيئا** ؛ ولكن احذر جمود العين وسوء الأخلاق .

أيها المقبول ، **هاتينا** ، ولكن احذر تضييع الأوقات ، فكما كنت حريصاً على الوقت في رمضان حافظ عليه بعده .

أيها المقبول ، **هاتينا** ، ولكن حافظ على الشحنة الإيمانية الكبيرة التي معك وزد عليها ولا تنقص .

أيها المقبول ، **هاتينا** ، ولكن هل أنت حزين بانتهاء الشهر أم فرحان ؟

أيها المقبول ، **هاتينا** ، ولكن أريدك أن تقارن بين قلين : قلبك في رمضان ، وقلبك بعد رمضان . . انظر وتأمل .

أيها المقبول ، **هاتينا** ، ولكن سل نفسك : هل أنا بعد رمضان مقبل على الدنيا بقلبي وعقلي أم أن الآخرة مازالت أكبر همي ؟

أيها المقبول ، **هاتينا** ، ولكن احذر أن ينتهي الصيام بانتهاء رمضان .

أيها المقبول ، **هاتينا** ، ولكن السعيد من استعد ليوم الوعيد .

أيها المقبول ، **هاتينا** ، ولكن احذر من الاعتماد على ما قدمت ؛ فإن من يحب مولاه يواصل السير إليه .

أيها المقبول ، **هاتينا** ، ولكن احذر الالتفات والمكر ؛ فإله معك يسمعك ويراك .

أيها المقبول ، **هاتينا** ، ولكن اعلم أن الحقيقة ، حقيقة القلب لا الظاهر فحسب ، قال تعالى : ﴿رَبُّكَ أَظْهَرَ بَمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ نُكُورًا صَلِيلِينَ لَكِنَّهُ حَكِيمٌ فَلَا تُرِيدُكَ عَفْوَراً﴾ [الاسراء: ٢٥] .

أيها المقبول ، **هاتينا** ، ولكن احذر ضياع التوحي التي حصلتها .

أيها المقبول ، **هاتينا** ، ولكن احذر أن يقال لك : تعازينا . .

وليت شعري من هذا المحروم فتعزیه ؟

حتى يرى أن مصيبة الدين أعظم من مصيبة الدنيا ، وأن الضر الذي يكون في عمله الصالح ينبغي أن يكون أشد عليه من ضره في بدنه أو ماله ، وأنه مهما أصابه من مصائب الدنيا ، فحق جبرانها وتعويضها مضمون ، وأما مصيبة الدين فحفظه من الله عز وجل قد ذهب ، وحفظه من الآخرة قد ولّى .

مقتضيات الحرمان :

فليت شعري كيف يستدرك ذلك ، وقد فات وذهب بذهاب أيامه وأزماته ؟

أولاً : الإلترار بظلمه لنفسه :

ليت شعري من هذا المحروم فتعزیه ؟ ، وكلنا ذلك المحروم ، حتى يعلم أن ما أصابه بكسبه ومردول عمله وصيئاته في قصده ووجهته ، وأن ذلك مع إحسان الله عز وجل وفضله غير لائق منه ، وغير مناسب لعقله وإيمانه ، وأن الله تعالى لم يظلمه شيئاً ، ولكن ظلم نفسه .

قال سبحانه في الحديث القدسي : « يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصياها عليكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »^(١) .

ثانياً : التبه لشوم السيئات :

ليت شعري من هذا المحروم فتعزیه ؟ ، ويعلم أن هذه السيئات والتفريطات إنما هي نتائج سابق السيئات والتفريطات ، وأن جزاء الحسنات التوفيق لحسنات بعدها ، وأن عقوبة السيئة الخذلان حتى يقع في سبيل تلوها وتكون بعدها .

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) .

ثالثاً : لزوم الوقوف بالباب :

ليت شعري من هذا المحروم حتى نعزیه ؟ ، ويكون عزاؤنا أن فضل الله عز وجل الواسع يقتضي لزوم الوقوف بالباب ، وألا يفارق العبد باب ربه مهما كان من ظلم العبد أو سوء فعله ، فلا يزال من الله عز وجل الكرم والجود ، وإن كان من العبد البخل والإمساك ، ولا يزال من الله عز وجل الإحسان والعطاء ، وإن كان من المكلفين الإساءة وسوء الفعل .

رابعاً : لزوم التوبة :

ليت شعري من هذا المحروم فنعزیه ؟ ، ويعلم أن الله عز وجل يبسط يده بالله ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس في مغربها ، ويعلم أن باب الله عز وجل لا يزال مفتوحاً ، وأن الله تعالى لا يرد توبة التائب ، والله عز وجل أفرح بتوبة أحدكم من أحدكم وقع على بعيه وقد أضله في أرض فلاة^(١) .

فلا تزال التوبة متاحة ما لم تبلغ روحك أيها المحروم حلقومك ، فمتى أمدك الله عز وجل وأفسح في أجلك فلا تزال مدة تراجعك قائمة ، لا يزال أمر توبتك لازماً غير معفي أنت منه .

خامساً : إصلاح العمل :

ليت شعري من هذا المحروم فنعزیه ؟ ، حتى يعلم أنه لا بد له من أن يصلح عمله ؛ حتى يكون عمله ذلك بالنية الخالصة لرب العالمين . .

وحتى يكون عمله ذلك وفق سنة النبي ﷺ . .

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٩٤٩) ، مسلم (٢٦٧٥) .

وحتى يكون عمله ذلك خاليًا من آفة الغرور وآفة العجب ، فلا يرى عملاً يُعجبُ به ؛ بل يرى فضل الله الذي يستوجب انكساره وذهابه لربه ، وإعلانه بالعجز عن شكره ، ولا يرى نفسه التي تأدّي منها العمل ، بل يرى نفسه التي هي سبب القصور في العمل والعجز عن القيام بحق الله تعالى .

سابعًا : إنما يتقبل الله من العتقين :

قال علي رضي الله عنه : « كونوا لقبول العمل أشد منكم اهتمامًا بالعمل ، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وقال بعضهم : لأن أكون أعلم أن الله يتقبل مني متقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وقال بعضهم : كانوا يدعون الله عز وجل ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر أخرى أن يتقبل منهم رمضان .

كل ذلك يعني أن رمضان بذهاب أيامه لم ينقض ، وأن وظائف رمضان لا تزال قائمة ، وأن ما كان من عمل في رمضان فلا يزال ينادي على المكلفين ويستجيب اهتمامهم بقبول ذلك العمل ، بعدما وقع منهم العمل ، فقد كانوا يجتهدون في العمل الصالح ، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا ، وكان خوفهم ألا يقبل منهم عملهم أشد عليهم من العمل نفسه ، فما يذهب بذهاب مواسم الطاعات الإقبال على الله عز وجل ، ولا الاهتمام بالأعمال الصالحات .

بل إذا ذهبت مواسم الطاعات ؛ بقي بعد ذلك استكمال حقوق هذه الطاعات ، واستتمام ما يكون من لوازمها ، من النظر فيها ، والتفتيش في آفاتنا ، والحذر من إفشائها ؛ حتى نكون أبعث عن الرياء .

نمازينا .. نمازينا

أيها المحروم ، **نمازينا** ! أيها المحروم جَبَّرَ اللَّهُ مصيبتك ، ولكن لم تنته الدنيا بانتهاه رمضان وما زال في الممر بقية ، وما زال ربنا جل جلاله يسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، ويسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، فتنب وقد تاب الله عليك .

أيها المحروم ، **نمازينا** ! ولكن لا تياس : ﴿أَلَا يُجِبُونَ أَنْ يَقِرَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: ٢٤) ، إذا كان في الصوم دعوة مستجابة ؛ ففي كل ليلة ربك يقول في الثلث الآخر : «هل من سائل فأعطيه» ، ما زالت أمامك فرصة لم تت ، القضية أنك لن تخلد في جهنم مادمت موحداً ، ما زالت أمامك فرص .

أيها المحروم ، **نمازينا** ! ولكن قف لتتظر من أين أتيت ، لم خُذلت ، بنم انتكست ، لا شك أنه من عند نفسك ، ﴿وَمَا زُكَّ بِظُلْمٍ لِّلْعَمِيدِ﴾ (الصمت: ٤٦) ، الفرص كانت أمامك متاحة وانت خذلت نفسك ، أنت أوكست نفسك ، ﴿وَمَا عَلَّمْتَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا هُمْ التَّالِفِينَ﴾ (الاعراف: ٧٦) ، فلذلك قف لتخلص من النفس الأمارة بالسوء ، قف لتأمل كيف ضاع منك رمضان كما ضاع سنين ، قف فالعزم لا يلدغ من جحرٍ واحد مرتين .

أيها المحروم ، **نمازينا** ! ولكن إن كان قد ضاع منك رمضان ؛ فإن الله الحي باقي معك على الدوام ، يدعوك للإقبال عليه والإنابة إليه ؛ فأقبل تُقبل .

أيها المحروم ، **نمازينا** ! ولكن اعلم أن أبواب الرحمة مفتوحة طوال العام ، قال رسول الله ﷺ : «إن الله يقبل توبة العبد ما لم تطلع الشمس من مغربها»^(١) .

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٣) .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكنك لازلت حياً تستطيع أن تستدرك ما فاتك ؛ بالتوبة والعزم على استغلال رمضان القادم من الآن ؛ فاستعد .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن اعلم أن مواسم الطاعة متنوعة وكثيرة ، ومن فضل الله علينا أنها في كل شهر ، فبعد رمضان ست من شوال ، ثم عشر من ذي الحجة ، ثم الحج ، ثم شهر المحرم ، وهكذا مواسم وطاعات طوال العام .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن أمامك صيام الاثنين والخميس ، وثلاثة أيام من كل شهر ، وقيام إحدى عشرة ركعة يومياً ، والصدقة ، وقراءة القرآن وغير ذلك ، فهي أبواب للخير في رمضان وغيره ؛ فأقبل ولا تحزن .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن حاول أن تقوم بعمره في الفترة القادمة ؛ لتعرض ما فاتك وتجهزه .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن لا تخف ولا تحزن ؛ فالكريم سبحانه شكورٌ بشكر على القليل ، ثم ينميه ، ولكن بشرط الإخلاص .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن اقتنص كل فرصة بعد ذلك تأتيك في طاعة الله .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن قل : قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل ، وتعلم من أخطائك حتى تتقدم بعد ذلك .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن في لحظة تستطيع أن تكون ولياً حقاً . . . نقياً حقاً ، بالتوبة والإقبال على الله ، والندم على ما فات ، والعزم على الإصلاح .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن لا تيأس ؛ فإنه ﴿لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ نَفْعِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف : ٨٧] .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن معك سلاح قوي تستطيع أن تفتح به كل مغلق وهو الدعاء ، فالزم التضرع والافتقار .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن ندمك على ما فاتك يُرضي الله عنك
فيرحمك ، فأبشر مادمث نادماً عازماً .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن أبشر فانت مسلمٌ موحدٌ تصلي وتذكر الله
وتحب نيك محمداً ﷺ ؛ فيرجى لك ومنك الخير .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن حاول مرة أخرى ، وتأمل بالنمل ، المخلوق
الضعيف الذي يحاول مرات ومرات ؛ حتى يسلك الطريق الذي يريد .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن أبشر ؛ فإن لك رباً هو الله ، الغني القوي
الحنان المثلان الملك الرحمن الرحيم الودود اللطيف يقول : «من تقرب مني
شبراً تقربت إليه فراسخاً» .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن أبشر بجنة عرضها السموات والأرض إن
استغمت وعُدت إلى الله .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن لازالت معك الجوهرة العظيمة ، والمعجزة
الخالدة ، تراها وتمسكها بيدك : القرآن الكريم ، فاسعد به واثله ليلاً ونهاراً .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن أبشر وتفاءل بندمك وتوبتك وتحسرك على
ما فات منك ، فتلك علامة صحة قلبك ، وادع الله أن يبلغك الخير .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن انتظر أن نقول لك : تهانينا .

ليت شيعري من المحروم فتعزبه ١ ، حتى يحبس نفسه على طاعة الله
ويمنعها من مآلوفاتها ومحبوباتها وشهواتها ، ويعلم أن ذلك الحرمان إنما أصابه
لاستغراقه في تحصيل شهواته ، ولتركه سنن النبي ﷺ حتى قعدت به عاداته
ومآلوفاته عن فوزٍ عظيم . يا حسرة على ما فاتته !! .

من صام رمضان وهو يعزم إذا ذهب رمضان أن لا يعصي الله تعالى ؛ فإنه

مقبولٌ بغير حساب ولا عذاب ، ومن صام رمضان وهو يعزم إذا ذهب رمضان أن يعصي الله تعالى ، فصومه مردود عليه ، وعمله غير مقبول منه .

فليت شعري من هذا المحروم فتمزيه ؟ ، حتى يكون عزاؤنا له إلزاماً له ببداية توبته واستكمال استقامته ، وحذره من أن لا يأتيه رمضان آخر ، حتى يكون ذلك تحذيراً له من أن يأتيه الموت بغتة ، ﴿لَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِهَئِذَاكَ عَلَى مَا قُرِطٌ فِي جُبِّ آفَاقٍ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٨ بَلَى قَدْ جَاءَ تِلْكَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَأُشْكِرْتُ وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦-٥٩] .

وقد يسأل : كيف أصرف أنني من المقبولين ؟

والجواب والله أعلم :

(١) أن يجد قلبه أقرب إلى الله ، وأنس به وأحب إليه ، فهذه ثمرة الطاعة وعلامة القبول .

(٢) أن يحب الطاعات ويقبل عليها ، ويشعر أن أبوابها تنفتح له ويسر له فعلها ، ويشعر أن أبواب المعاصي تغلق عنه ويصرف عنها ، ويكرهها ويستكف عن فعلها .

(٣) أن لا يفقد الطاعات التي كان يقوم بها في رمضان ، بل يواظب عليها ، بل ويستحدث بعد رمضان أعمالاً لم تكن له قبل رمضان .

(٤) أن لا يعود إلى الذنوب التي تاب منها في رمضان ، فقد تكلم العلماء فيمن تاب من ذنب ثم عاد إليه ، أن هذا دليل على أن توبته لم تقبل ؛ لأنها لو قبلت لما عاد إلى الذنب مرة أخرى ، لذلك ثبت في الحديث أن «من أساء في

الإسلام أخذ بالأول والآخر^(١)، أي عوقب بذنوبه السابقة أيضًا؛ لأن في الإساءة بعد التوبة حبوط للتوبة، ولعل من أسرار هذا، الأمر بالعمل الصالح بعد التوبة، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، ﴿وَالَّذِينَ تَابُوا لِيَعْمَلُوا صَالِحًا إِنَّمَا يُغْنِي عَنْهُمْ اللَّهُ وَعَمَلُهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ لَا يَعْزُبُ عَنْهُمْ وَهُمْ لَا يَحْزَنُونَ﴾ [النحل: ١٨٢]، وقال رسول الله ﷺ: «وانبع السيئة الحسنة تمحها»^(٢)، فاشتراط العمل الصالح بعد التوبة حزم في منع الرجوع إلى الذنب.

(٥) استشعار المنة، وعدم الإدلال بالعمل:

قد يتلوى العبد بعد رمضان بشعور غامر أنه أدى ما عليه، وحبس نفسه في رمضان عن أشياء كثيرة مما يشتهي، فتجده يوم العيد عاصيًا!!، وهذه من علامات عدم القبول، أن يقلب على عقيه بعد رمضان مباشرة، ﴿وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ صَعْبِهِ فَلَنُصْعِرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [الاحقاف: ١٨٤]، ولذلك من علامة القبول أن تجده خائفًا على العمل وجلًا ألا يتقبل، مستشعرًا فضل الله ونعمته عليه، متحدثًا بذلك، شاكراً لأنعم الله، مواصلاً للذكر.

(٦) ذكر ابن رجب - عليه رحمة الله وبركاته - أن من علامات قبول رمضان: صيام ست من شوال، وذكر لصيام الست فوائد عظيمة لا يستطيع أن أغفلها، فخذها هنيئًا مريئًا، وافرح إن صمت الأيام الست بهذه النيات، ولعل فعمك لهذه الفوائد وعملك بها رزق ساقه الله إليك لقبلك، فهي أيها المقبول أبشر بعد أن تعمل:

(١) متفق عليه، البخاري (٦٥٢٣)، مسلم (١٢٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٣/٥)، وحسنه الألباني (٩٧) في «صحيح الجامع».

فوائد صيام ست من شوال بعد رمضان :

(١) تحصيل نوب صيام الدهر : وذلك أن صيام الدهر -والله يجزى على الحسنة عشر أمثالها - يعني أن يكتب للعبد صيام عشرة أشهر مقابل صيام شهر رمضان ، ويكون صيام الستة أيام قائما مقام ثواب صيام شهرين آخرين ، فيكون العبد بذلك قد استكمل ثواب صيام دهره .

(٢) صيام شوال وشعبان كصلاة السن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها ، فيكمل بذلك ما حصل في الفرائض من خلل ونقص ، فإن الفرائض تكمل بالتوافل يوم القيامة ، كما ورد عن النبي ﷺ من وجوه متعددة ، وأكثر الناس في صيامه للفرض نقص وخلل ، فيحتاج إلى ما يجبره ويكمله من الأعمال ؛ ولهذا عن النبي ﷺ أن يقول الرجل : صمت رمضان كله أو قمت رمضان كله ، قال الصحابي : لا أدري أكره التزكية ، أم لابد من غفلة .

وكان عمر بن عبد العزيز رحمته الله يقول : من لم يجد ما يتصدق به فليصم ، يعني من لم يجد ما يخرج صدقة للفطر في آخر رمضان فليصم بعد الفطر ، فإن الصيام يقوم مقام الإطعام في تكفير السيئات ، كما يقوم مقامه في كفارات الأيمان وغيرها من الكفارات .

(٣) معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صيام رمضان ؛ فإن الله تعالى إذا تقبل عمل عبده وفقه لعمل صالح بعده ، كما قال بعضهم : ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها ؛ كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى ، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة ، كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها ، فمن رام أن يعلم مدى قبول عمله من ذلك ، فليعود نفسه على الصيام والقيام من جديد حتى يكون صيام الثاني علامة قبول صيام الأول ، وحتى يكون قيامه الآخر علامة على قبول قيامه السابق عليه .

من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها ، فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى ، وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية . . ما أحسن الحنة بعد السيئة تمحوها ، وأحسن منها الحنة بعد السيئة تلوها ، وما أقيح السيئة بعد الحنة لمحقتها وتعفوها . . ذنب واحد بعد التوبة أقيح من سبعين ذنبا قبلها ، النكسة أصعب من المرض وربما أهلكك ، ملوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات ، وتعوذوا به من تقلب القلوب ، ومن الخور بعد الكور ، ما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة ، وأفحش فقر الطمع بعد غنى الفناة .

(١) صيام رمضان يستوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب ، وأن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر ، وهو يوم الجوائز ، فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرا لهذه النعمة ؛ فإن شكر النعمة إنما يكون بفعل من جنسها ؛ حتى يكون الصيام نعمة تستوجب شكرا بصيام آخر ، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب ، ألم تر أن رسول الله ﷺ يقوم حتى تنفطر قدماء ، فيقال له : تفعل ذلك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ ، فيقول ﷺ : « أفلا أكون عبدا شكورا »^(١) ، فكان قيامه ﷺ ذلك القيام الطويل حتى تنورم قدماء . . ثم حتى تنفطر قدماء . . ثم حتى تشقق قدماء بعد تورمها ، كل ذلك شكرا لله عز وجل على مغفرته لذنوبه .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره ، وغير ذلك من أنواع شكره فقال : ﴿ وَنُحْمِلُهُمَا الْعِهَةَ وَلِنُكْفِرُوا عَنْكَ مَا هَدَيْتَكُمْ وَلِنُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإحسانه عليه ، ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكرا عقيب ذلك .

(١) متفق عليه ، البخاري (١٠٧٨) ، مسلم (٢٨١٩) .

من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها ، فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى ، وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية . . ما أحسن الحنة بعد السيئة تمحوها ، وأحسن منها الحنة بعد الحنة تلوها ، وما أقيح السيئة بعد الحنة تمحقها وتعفوها . . ذنب واحد بعد التوبة أقيح من سبعين ذنبا قبلها ، النكسة أصعب من المرض وربما أهلكت ، سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات ، وتعوذوا به من تقلب القلوب ، ومن الخور بعد الكور ، ما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة ، وأفحش فقر الطمع بعد غنى الفناعة .

(٤) صيام رمضان يستوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب ، وأن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر ، وهو يوم الجوائز ، فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرا لهذه النعمة ؛ فإن شكر النعمة إنما يكون بفعل من جنبها ؛ حتى يكون الصيام نعمة تستوجب شكرا بصيام آخر ، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب ، ألم تر أن رسول الله ﷺ يقوم حتى تنفطر قدماءه ، فيقال له : تفعل ذلك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ ، فيقول ﷺ : «أفلا أكون عبدا شكورا»^(١) ، فكان قيامه ﷺ ذلك القيام الطويل حتى تورم قدماءه . . ثم حتى تنفطر قدماءه . . ثم حتى تشقق قدماءه بعد تورمها ، كل ذلك شكرا لله عز وجل على مغفرته لذنوبه .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره ، وغير ذلك من أنواع شكره فقال : ﴿رَلِّسْجِلْرَا أَلْسِدَّةٌ رَلِّسْجِلْرَا أَلَّةَ مَلِكٍ مَا هَدَنَكُم رَلِّسْجِلْرَا تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانتة عليه ، ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكرا عقيب ذلك .

(١) متفق عليه ، البخاري (١٠٧٨) ، مسلم (٢٨١٩) .

كان بعض السلف إذا وُقِّقَ لقيام ليلة من الليالي ؛ أصبح في نهارها صائماً ،
ويجعل صيامه شكراً للتوفيق للقيام .

وكان وهيب بن الورد يُسأل عن ثواب شيء من الأعمال كالطواف ونحوه
فيقول : لا تسألوا عن الثواب ، ولكن سلوا ما الذي على من وُقِّقَ لهذا العمل
من الشكر ؛ للتوفيق والإعانة عليه .

كل نعمة على العبد من الله عز وجل في دين أو دنيا تحتاج إلى شكر عليها ،
ثم التوفيق للشكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان ، ثم التوفيق للشكر
الثاني نعمة أخرى يحتاج إلى شكر آخر ، وهكذا أبداً فلا يقدر العبد على القيام
بشكر النعم ، وحقيقة الشكر الاعتراف بالعجز عن الشكر .

(٥) أن الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في شهر رمضان لا تنقطع
بانقضاء رمضان ؛ بل هي باقية بعد انقضائه ما دام العبد حياً ، وهذا معنى
الحديث أن الصائم بعد رمضان كالكاثر بعد الفار ، يعني كالذي يفر من القتال
في سبيل الله ثم يعود إليه ، وذلك لأن كثيراً من الناس يفرح بانقضاء شهر
رمضان ؛ لاستئصال الصيام وملله وطوله عليه ، ومن كان كذلك فلا يكاد يعود
إلى الصيام سريعاً ، فالمائد إلى الصيام بعد فطره يوم الفطر يدل عوده على
رغبته في الصيام وأنه لم يمله ولم يستغله ولا تكرر به .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « أحب الأعمال إلى الله الحال
المرحل »^(١) ، وفسر بصاحب القرآن بضرب من أوله إلى آخره ، ومن آخره إلى
أوله ، كلما حل ارتحل ، والمائد إلى الصيام سريعاً بعد فراغ صيامه ، شبيه
بقارئ القرآن إذا فرغ من قراءته ثم عاد إليه ، في المعنى ، والله أعلم .

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٤٨) ، وضعفه الألباني (١٦٣) في «السلسلة الضعيفة» .

(٦) في صيام هذه الأيام الستة من شوال استدراك لما فات العبد من وظائف الصيام ، من وظائف إصلاح نفسه ، وإقامتها على أمر الله عز وجل ، ومن الوظائف المرجوة كذلك من الصيام من الإحسان إلى الفقراء ، ومن إدراك نعمة الله عز وجل في الأمور ، ومن شكر نعم الله عز وجل ، ومن تخلي العبد للذكر والفكر ، فإن شأنه في الفطر أن يكون مشغولاً عن الذكر والفكر ، والصيام معين له على ذكر الله عز وجل والتفكير في آخره .

(٧) في صيام أيام شوال إعلان بقاء وظائف العبادة ما بقي العبد دهره ، فليست تذهب مع المواسم الطامحات ، بل إن ذهبت المواسم فلا يزال الله عز وجل أهل العفو وأهل المغفرة ، ولا تزال مغفرة الله عز وجل وعفوه يُرجَّوان بالعبادة من الصيام والقيام ، فما تنقضي أمد الدهر وظيفة الصيام ، وما تنقضي مدة حياة العبد وظيفة القيام وتلاوة القرآن .

(٨) في صيام هذه الأيام من شوال ، وفي إتباعها رمضان من غير مهلة ولا تراخ ، إعلان بعدم سآمة العبد من العبادة ، وأنه لم ينتظر ذهاب رمضان وانقضائه ، وأنه ما ملّ وقوفه بباب ربه ، وما سبّم التعرض لفضله وعطائه ونواله ، وأنه لا يزال باقياً مُصبراً ، باقياً على وظيفة العبادة ، مصراً على التعرض لفضل الله عز وجل وعطائه .

سألة قضاء رمضان أولاً أم ست من شوال ؟

عن أم سلمة أنها كانت تأمر أهلها : من كان عليه قضاء من رمضان أن يقضيه الغد من يوم الفطر ، فمن كان عليه قضاء من شهر رمضان فليبدأ بقضائه في شوال ، فإنه أسرع لبرائه ذمته ، وهو أولئ من التطوع بصيام ست من شوال ، فإن العلماء اختلفوا فيمن عليه صيام مفروض ، هل يجوز أن يتطوع قبله أم لا ؟ ، وعلى قول من جواز التطوع قبل القضاء فلا يحصل مقصود صيام ستة أيام من شوال إلا لمن أكمل صيام رمضان ، ثم أتبعه ستاً من شوال .

فمن كان عليه قضاء من رمضان ثم بدأ بصيام ستٍّ من شوال تطوعاً لم يحصل له ثواب من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال ؛ حيث لم يكمل عدة رمضان ، كما لا يحصل لمن أفطر رمضان لعذر بصيام ستة أيام من شوال أجز صيام السنة بغير إشكال .

ومن بدأ بالقضاء في شوال ، ثم أراد أن يتبع ذلك بصيام ستٍّ من شوال بعد تكملة قضاء رمضان كان حسناً ؛ لأنه يصير حيث قد صام رمضان وأتبعه بست من شوال ، ولا يحصل له فضل صيام ستٍّ من شوال بصوم قضاء رمضان ؛ لأن صيام الست من شوال إنما يكون بعد إكمال عدة رمضان .

ومن علامات القبول أيضاً :

١- إذا كنت بعد رمضان تسارع إلى الطاعات محباً لها ، وترك المعاصي أنفةً منها ؛ فتلك من علامات القبول ، وإذا رأيت أبواب الخير تفتح لك مثل البكاء ، ورقة القلب ، والسهر ، وقلة النوم فهذه من ثمرات رمضان أيضاً ، كما هي في رمضان أو أزيد ، فهذه من علامات القبول .

٢- إذا كنت بعد رمضان أفضل مما كنت عليه قبل رمضان ، وتستشعر أن لك قلباً جديداً ينبض بحب الله ، وتحس أنك تحب ربك أكثر ، وتحب ذكره والقيام بين يديه ، وتحب شكره وتحب الإقبال عليه ، فهذه من علامات القبول .

حراسة الطاعات :

ثم إنه أيها الأحبة في الله إذا كان حَقُّ كل عمل إذا صُحِبَ بالإخلاص ، فكانت النية فيه غير مشوبة برياء أو سُمعة ؛ كان لا بد في ذلك العمل من حراسة له ؛ حتى لا يتطرق إليه ضرب من ضروب الخلل .

والحراسة تكون :**أولاً : بالحذر من الإدلال بالطاعة :**

أول ذلك حراسة ذلك العمل من أن يحصل من العبد به من على الله عز وجل ، أو على خلقه ، فما يرى ذلك العمل حتى ينتظر حقاً بتقاضاه من المخلوق ، أو شيئاً يوجب له شيئاً آخر من الرب عز وجل ، فهو وإن كان ثم عمل ، فلا يزال يرى نفسه أقل إخوانه وأكثرهم ذنباً وأشدهم عيوباً ، فما له عليهم حق بتقاضاه بعمله .

وهو كذلك لا يُبدلُ بذلك العمل على ربه ، لا يرى أنه صنع شيئاً له على الله عز وجل به حق أو دلال ، بل يرى ذلك العمل نعمة الله عز وجل التي تستوجب منه شكراً آخر ، وسعيًا موصولاً ، واجتهادًا غير منقطع إلى الممات .

ثانيًا : بالحذر من العجب :

حق العمل بعد انقضائه الحذر من أن يدرك النفس به عجب ، ودفع العجب بشهود منة الله عز وجل عليك ، وتقصير نفسك ، فتندفع رؤيتك لعملك ، حين تكون مستغرقًا برؤية نعمة الله عز وجل لا برؤية عملك .

ثالثًا : بالحذر من الغرور :

وحق ذلك العمل بعد انقضائه حذر النفس من الغرور ، فغرورها مبني على نسبة ما كان من السعي لكسبها ، ومن العمل لتحصيلها ، وهي نسبة كاذبة غير صحيحة ، فما كان من سعي أو كسب ؛ فذلك فضل الله عز وجل ، عطاؤه ومنته ، إحسانه وجوده ، لا نسبة لشيء من ذلك للعبد ألبتة .

رابعًا : بالمداومة على الطاعات :

وحق ذلك العمل بعد انقضائه أن يعلم المرء أن علامة قبوله إنما هي

التوفيق لنطائره وأمثاله بعد انقضائه ، وأن يعلم أن انقضاء موسم ذلك العمل يعني استجماع عدوه قوته في حبه عن المزيد من ذلك العمل ، حتى يجمع العدو اللعين كل الموانع والقواطع عن الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، فيحصل بعد رمضان انحدار شديد لما كان من الأعمال الصالحة بذهابها وفواتها .

خامساً : بالاستعانة بالله لدفع الشواغل :

فحق تلك الأعمال التي أوتينموها وأعانكم الله عليها أن تحذروا لها من مكاييد العدو المترصد بها ، حتى إذا جمع الشواغل ، وكثر الهموم والموانع والقواطع ، كان عندكم من استعانتكم بالله عز وجل ، واستعدادكم لقوته ، كان عندكم من ذلك ما يدفع الشواغل والموانع والقواطع ، وإلا فإن أي استسلام لذلك يعني ذهاب رمضان وانقطاعه بأعماله الصالحات ، ويعني رجوع العبد إلى مرذول عاداته وسى مألوفاته التي هي حبس عن الله عز وجل ، وانقطاع عن السير إليه ، وتقصير في تحصيل أسباب النجاة .

إخوتنا ..

اعلموا أن الراحة لا تُنال بالراحة ، ومعالي الأمور لا تُنال بالفنور ، ومن زرع حصه ، ومن جد وجد .

لله ذرأ أقوام شغلهم تحصيل زادهم عن أهاليهم وأولادهم ، وما بهم ذكر المال عن المال في معادهم ، وصاحت بهم الدنيا فما أجابوا شغلاً بمرادهم ، ونوسدوا أحزانهم بدلاً من وسادهم ، واتخذوا الليل مسلكاً لجهادهم واجتهادهم ، وحرسوا جوارحهم من النار عن غيهم وفسادهم .

أقبلت قلوبهم ترعى حق الحق ؛ فذهلت بذلك عن مناجاة الحق .

فالأبدان بين أهل الدنيا تسعى ، والقلوب في رياض الملكوت ترعى .

نازلهم الخوف فصاروا وإلهين ، وناجاهم الفكر فعادوا خائفين .
 وجنّ عليهم الليل فباتوا ساهرين ، وناداهم منادي الصلاح : حيّ على
 الفلاح ، فقاموا متجهين .
 وهبّت عليهم ريح الأسحار فتيقظوا مستغفرين ، وقطعوا بند المجاهدة
 فأصبحوا وأصلين .
 فرجعوا وقت الفجر بالأجر .. فيا خيبة النادمين .

إخواني في الله ..

إن عمل الصالحات لا ينقطع عنك ما دامت فيك روح .. فعل الطاعات
 لا يسقط عنك ما دام يتردد فيك نفس .. وأيما وجدت خيرًا فسارع إليه
 وشارك .. اللهم ارزقنا فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ،
 وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين .. ربنا آتنا في الدنيا حسنة ،
 وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .. اللهم خذ بنواصينا إلى ما نحب
 وترضى ؛ إنك على ما تشاء قدير .. وبالإجابة جدير .

إخواناه ..

هذه الشهور والأعمال والليالي والأيام كلها مقادير للأجال ، ومواقيت
 للأعمال ، ثم تنقضي سريعًا ، وتمضي جميعًا ، والذي أوجدنا وابتدعها
 وخصها بالفضائل وأودعها باقي لا يزول ، ودائم لا يحول ؛ هو في جميع
 الأوقات إله واحد ، ولأعمال عباده رقيب مشاهد .

فبحان من قلب عباده في اختلاف الأوقات بين وظائف الخدم ؛ ليسغ
 عليهم فيها فواضل النعم ، ويعاملهم بنهاية الجود والكرم .

لما انقضت الأشهر الثلاثة الكرام التي أولها الشهر الحرام ، وآخرها شهر

الصيام ؛ أقبلت بعدها الأشهر الثلاثة ، أشهر الحج إلى البيت الحرام ، فكما أن من صام رمضان وقامه عُفْر له ما تقدم من ذنبه ؛ فمن حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه .

فما يمضي من عمر المؤمن ساعة من الساعات إلا ولله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات ؛ فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف ، ويتقرب بها إلى مولاه وهو راجٍ خائف ، والمحِبُّ لا يَمَلُّ من التقرب بالنوافل إلى مولاه ، ولا يأمل إلا قربه ورضاه .



فهرسنا

الصفحة	الموضوع
٧	■ مقدمة
١٣	■ فضائل رمضان
٣٧	■ الاستعداد لرمضان
٤٩	• تمرينات الاستعداد :
٤٩	١- التدريب على تجويد التوبة
٥٩	٢- التدريب على تعظيم الشعائر
٦٠	٣- التدريب على استقامة القلب
٦١	٤- تدريب القلب على الأنفة من المعاصي
٦٢	٥- الترويض على الانكسار لله عز وجل
٦٤	٦- اتصال الأورام الخيثة
٦٨	٧- إجراء بعض تعارين العزيمة
٦٩	٨- ترويض الحواس
٧٠	٩- الاستحضار الذهني للعبادات قبل الشروع فيها
٧١	١٠- لزوم جناب الاحتشام ودوام الإطراق
٧٣	١١- ملاحظة المنة
٧٤	١٢- تهذبة نمط الحياة
٧٧	■ كيف نستقبل رمضان؟
٧٩	• الوصايا العشر قبل دخول الشهر :
٧٩	١- هذنة مع المناقشات والجدال

- ٢- هذنة في العمل مع الزملاء والمثولين ٨٠
- ٣- هذنة مع نفسك للتخلص من سموم القلب ٨١
- ٤- هذنة مع الأرحام والوالدين ٨٥
- ٥- هذنة مع النفس لترك الذنوب والمعاصي ٨٦
- ٦- هذنة مع طول الغياب خارج المنزل وكثرة الارتباطات ٨٨
- ٧- هذنة مع كثرة النفقات والتبذير ٨٨
- ٨- هذنة مع العقول والقلب من التفكير والتدبير للدنيا ٩٠
- ٩- هذنة مع استهلاك الأعضاء ٩١
- ١٠- هذنة مع الهموم ٩٢
- **كيف تعيش رمضان** ٩٥
- أولاً : تحديد الأهداف ٩٧
- ثانياً : الطريق لتحقيق الأهداف ١٠٣
- **روحانيات صائم** ١٠٥
- يوم في حياة صائم ١٠٧
- البرنامج ١٣٠
- نصائح ١٣٢
- وصيتي لك ١٣٤
- **مشاهد العبودية في رمضان** ١٣٧
- المشهد الأول : مشهد التوحيد ١٣٩
- المشهد الثاني : مشهد الصبر والشكر ١٤١
- المشهد الثالث : مشهد القبض والبسط ١٤٢
- المشهد الرابع : حسن الخلق ١٤٣

- ١٤٥ • المشهد الخامس : الزهد في الدنيا
- ١٤٩ • المشهد السادس : مشهد الإيثار
- ١٥٢ • المشهد السابع : استعمل المعاني الإيجابية للصوم
- ١٥٨ • المشهد الثامن : مشهد الجود والإحسان
- ١٥٩ ■ رمضان والقرآن
- ١٦٣ • فضائل القرآن
- ١٧١ • تحصيل لذة النلاوة وقراءة القرآن :
- ١٧١ • الآداب الظاهرة
- ١٧٣ • الآداب الباطنة
- ١٨٨ • استلراك مهم
- ١٨٨ • واقع الأمة مع القرآن
- ١٩٢ • كيف رين النبي ﷺ الصحابة على القرآن ؟
- ١٩٤ • أهدافنا المحددة في قصة القرآن
- ١٩٥ • المطلوب منك
- ١٩٧ ■ قيام رمضان
- ١٩٩ • فوائد صلاة التراويح
- ٢٠٥ • إحياء عمر لسة الجماعة في التراويح
- ٢٠٦ • فضل أداء التراويح جماعة
- ٢٠٧ • تطور التراويح في العصر النبوي
- ٢٠٧ • عدد ركعات قيام رمضان
- ٢٠٨ • حضور النساء الجماعة في التراويح
- ٢١٠ • إذا ما الليل أظلم كابدوه

- وصف المتجهدين وليلهم ٢١١
- بكائهم وبحر الدموع ٢١٦
- إذا قمت أبقت أهلك ٢١٧
- لِمَ كُلْ هذا الاعتناء بالليل ؟ ٢١٨
- ما يعين على التهجّد : ٢١٨
- الأسباب الظاهرة ٢١٨
- الأسباب الباطنة ٢٢١
- المبشرات الباطنة لقيام الليل ٢٢٥
- آداب القيام ٢٢٥
- واذنبوا ! ٢٢٨
- **الاعتكاف** ٢٢٩
- خلوة النبي ﷺ في غار حراء ٢٣٢
- هدي النبي ﷺ في الاعتكاف ٢٣٧
- مقاصد الاعتكاف ٢٣٨
- حكم الاعتكاف ٢٣٩
- شروط الاعتكاف ٢٣٩
- أركان الاعتكاف ٢٤٠
- زمانه وبداية وقته ٢٤٠
- محظورات الاعتكاف ٢٤٠
- أهداف الاعتكاف ٢٤١
- المعنى الحقيقي للاعتكاف ٢٥٨

- كيف نُحَصِّل حلاوة الاعتكاف؟ ٢٥٨
- برنامج الاعتكاف ٢٦٠
- نصائح الاعتكاف ٢٦٦
- فتح ثغرات أخرى لذوي الهمم العالية ٢٦٨
- في نهاية الاعتكاف ٢٦٩
- **عمرة رمضان** ٢٧١
- عظمة رمضان ٢٧٢
- لماذا نعتمر؟ ٢٧٤
- كيف نعتمر؟ ٢٨٥
- مشاهد العبودية في العمرة ٢٩٧
- مسالة المكث في مكة أفضل من المدينة ٣٠٨
- **نسائم الأسحار** ٣١١
- تعظيم حال الدعاء ٣١٤
- آداب الدعاء ٣١٦
- من أدعية السلف ومناجاتهم ٣٢٢
- **وداع رمضان** ٣٣٥
- حال النبي ﷺ والسلف عند دخول العَشر ٣٣٧
- وظائف آخر الشهر: ٣٣٩
 - ١- وقفة صادقة ٣٣٩
 - ٢- ملازمة الاستغفار ٣٤١
 - ٣- سؤال العفو والتركيز فيه ٣٤٣
 - ٤- بذل أقصى حد في الاجتهاد ٣٤٥

- ٣٤٦ • - إياك والعجب والغرور
- ٣٤٨ • أيام العشر أيام الحياة
- ٣٤٩ • ليلة القدر :
- ٣٤٩ • فضلها
- ٣٤٩ • ما يُستحب فيها
- ٣٥٠ • تحزيها
- ٣٥٢ • لماذا سُميت ليلة القدر ؟
- ٣٥٢ • علاماتها
- ٣٥٤ • احترس .. دخلت عليه العشر الأواخر
- ٣٥٥ • قُرْبُ الرحيل .. فإين المخلص المتعب
- ٣٥٦ • حنائيك يا شهر الصيام
- ٣٥٦ • السلام عليك يا شهر رمضان
- ٣٥٧ • فيا شهرنا غير مُؤدّع ودعناك
- ٣٦١ • وماذا بعد رمضان ؟
- ٣٦١ • جاء رمضان .. ومضى رمضان
- ٣٦٣ • لا زالت الأعمال بعد رمضان لم تقطع
- ٣٦٨ • من المقبول ومن المحروم ؟
- ٣٦٨ • مقتضيات القبول
- ٣٧٢ • هالينا .. هالينا
- ٣٧٥ • مقتضيات الحرمان
- ٣٧٨ • تعازينا .. تعازينا
- ٣٨١ • كيف أحرف أنني من المقبولين ؟

- ٢٨٣ فوائد صيام الست من شوال
- ٢٨٦ مسألة قضاء رمضان أولاً أم صيام الست
- ٢٨٧ ومن علامات القبول
- ٢٨٧ حراسة الطاعات
- ٢٨٩ وأخيراً: الراحة لا تُنال بالراحة
- ٢٩٢ الفهرس



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥ م

رقم الإيداع / ١١٦٩٧٨

الترقيم الدولي XX - ٨٤ - ٦٠٩٢ - ٩٤٤

دار

التقوى للنشر والتوزيع

شبرا الخيمة

هاتف : ٤٧١٥٥٠٦

٢٢٣١١٠٣ - ٤٧٣١٨٢٤

مكتبة

سوق الأخرى

هاتف

٠٢ - ٣٢٨٧١٨٩

٠١٠١٦٥٧١٧٣